

الجمال

فضله . حقيقته . أقسامه

تأليف

شيخ الاسلام احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني
وتلميذه العلامه ابن قيم الجوزية

دراسة وتحقيق

ابراهيم بن عبدالله الحازمي

عفا الله عنه وسدد خطاه

بسم الله الرحمن الرحيم
حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

دار الشريف للنشر والتوزيع
ص. ب ٥٢٧٩ - تلفون ٤٧٧٩٤٩١

القسم الأول
الدراسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْقَائلُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ
خَلْقَهُ﴾ . [سورة السجدة، الآية: ٧].

والسائل: ﴿صَنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . [سورة النحل، الآية: ٨٨].

والصلة والسلام على قائد الغر المحجلين، سيد الأولين والآخرين، ورسول رب العالمين، المهدأة رحمة للعالمين. الذي وصفه رب بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ
عَظِيمٍ﴾ . فكان أحسن الناس خلقاً وخلقاً صلٰ الله عليه وعلى آله وسلم.

وبعد: فالإحساس بالجمال أمر فطري، أصيل في جبلة الإنسان، فالإعجاب به دائم، والميل إليه طبيعة في النفس، تهفو إليه حيث وجد، وتشتاقه إذا غاب وقد. إن الجمال عنصر مقصود في هذا الكون، وإن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق، وإن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي. ونظرة في النساء كافية لرؤيه هذه الحقيقة وهذه الزينة.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «والطبع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الأنوار الأزهار والأطياف المليحة الألوان الحسنة النفع، المناسبة الشكل... ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبًا بالطبع^(١)».

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في صدر حديثه عن الجمال: «... والقلوب
المطبوعة على محبتة، كما هي مفطورة على استحسانه».

* وكل شيء في هذا الكون الفسيح الجميل الرائع. من الذرة الصغيرة إلى أكبر الأجرام، ومن الخلية الساذجة إلى أعقد الأجسام، كلها يتجلّ فيها الإحسان والإتقان.

(١) أحياء علوم الدين (٤/٢٩٨).

كل شيء... هذه السمكة، هذا الطائر.. ثم هذا الإنسان.. وهذا الكوكب السيّار وهذا النجم الثابت وهذه الأفلاك والعوالم كل شيء.. كل شيء حينما امتد البصر متقن الصنع، بديع التكوين.. يتجلّى فيه الإحسان والإتقان^(١).

فكأني بل أخي القاريء تقول: هلاً عرفت لنا الجمال فما أحوجنا إليه وإلى تعريفه.

فنتقول وبالله التوفيق.

تعريف الجمال والحسن لغة واصطلاحاً.

الجمال: مصدر الجميل، والفعل: جمل.

قال ابن سيده: الجمال: الحسن يكون في الفعل والخلق.

وقال الرازي في مختار الصحاح^(٢): **و(الجمال)**: الحُسْن وقد (جُمْل) الرجل بالضم (جمالاً) فهو (جميل) والمرأة (جميلة) و(جمالاء) أيضاً بالفتح والمد.

وقال ابن الأثير: والجمال يقع على الصورة والمعان. ومنه حديث: «إن الله جميل يحب الجمال» أي حَسَن الأفعال كامل الأوصاف. الحسن: ضد القبح ونقضه.

حسن الشيء: زينته.

والحسنة: ضد الشيئه. والإحسان: ضد الإساءة.

و«أحسن كل شيء خلقه». يعني حَسَن. يقول: حَسَن خلق كل شيء.

ويأتي الحُسْن بمعنى الجمال.

* الفرق بين الحُسْن والجمال.

«الحسن في الأصل للصورة، ثم استعمل في الأفعال والأخلاق».

(١) انظر في ظلال القرآن: تفسير سورة السجدة - للأستاذ سيد قطب.

(٢) (ص: ١١١) وانظر لسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري.

«والجمال في الأصل للأفعال والأخلاق والأحوال الظاهرة ثم استعمل في الصورة».

فالجمال هو: ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق ومن كثرة المال والجسم ، وليس هو من الحسن في شيء ، ألا ترى أنه يقال لك : في هذا الأمر جمال ، ولا يقال لك فيه حسن ، وفي القرآن .

﴿ولكم فيها جمال حين ترثيرون وحين تسرحون﴾.

والقرآن الكريم استعمل لفظ «الجمال» في نطاق ضيق لم يتجاوز ثلث مرات . واحدة منها بصيغة المصدر ، والباقي كانت صفة . وكلها في مجال الأخلاق عدا قوله تعالى : ﴿ولكم فيها جمال . . .﴾ الآية . يعني الخيل والإبل . أما لفظ «الحسن» فقد ورد في القرآن الكريم كثيراً ، صيغته المختلفة . وقد استعمل في الصور كما استعمل في المعاني^(١) .

(١) انظر فيها تقدم الفروق في اللغة لأبي الحسن العسكري ص: ٨٠ - ٨١

الألفاظ الجمالية

استعملت اللغة العربية الكثير من الكلمات للتعبير عن الجمال، بعضها في المجال العام، وبعضها الآخر في مجالات خاصة.

ففي كتاب «فقة اللغة» للشاعري نجد فصلاً تحت عنوان : في تقسيم الحسن .
حدد فيه لكل كلمة مجال استعمالها ، فقال : الصباحة في الوجه ، الوضاءة في البشرة ، والجمال في الأنف ، والحلوة في العينين والملاحة في الفم ، والظرف في اللسان ، والرشاقة في القد ، واللباقة في الشمائل ، وكمال الحسن في الشعراء .
 واستعمل القرآن الكريم الكثير من الألفاظ للتعبير عن الجمال ومن ذلك .
 الجمال والحسن ، والبهجة ، والزينة . كما أشار إلى بعض وسائل التجميل كالخلية والريش والزخرف كما استعمل ألفاظاً أخرى للتعبير عن آثار الجمال منها :
 السرور والعجب ولذة الأعين . .

قال تعالى : ﴿ .. إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴾ . فالسرور أثر من آثار رؤية الجمال .

وقال تعالى في صدر الحديث عن الجنة : ﴿ .. وفيها ماتشتته الأنفس وتلذ الأعين ﴾ . ولذة العين أثر من آثار رؤية الجمال .

* والجمال سمة واضحة مقصودة في الصنعة الإلهية ، فحيثما اتجهت ببصرك فثمة هناك ما يجذبك بلونه الأخاذ ، أو بصنعته المحكمة ودقته المتناهية أو بتناسق أبعاده وتوازتها . أو بتالف الألوان وتدخلها .

تأملات

تأمل أخي المسلم : في ليلك الهديء ، في صفاء السماء وتلاؤ النجوم ، واسبع بفكرك وراء تلك المسافات الشاسعة التي لم تعد تقاس بالأميال بل بالضوء .. . وتدَّرَّكَ قول الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ . [سورة آل عمران، الآية ٢٠].

* تأمل البحر وسكونه وما فيه من عجائب خلق الله ، ثم تأمله هائجاً مغواراً تتلاطم الأمواج فوقه .. .

* تأمل القمر وقد أطلَّ من علياء سمائه يبده بنوره ظلمة الليل الحالك . فإذا بالأرض يغمرها ضياء فضي ينساب في كل جنباتها يطغى عليها الحب والحنان .. .

* ومع إشراقة الشمس حيث تلامس خيوطها الذهبية تلك الالاية البراقة اللامعة من الندى ، وقد توجت أوراق الشجر وبراعم الورد يمحكي جمال قصة .. . وتلك الفراشة .. . وذلك الطائر .. . تعانقت فيهم الألوان تعبيراً عن إتقان الصانع .

* وتلك النبتة وقد تسلقت ذلك الجدار وألقت بنفسها عليه فإذا به وقد اكتسى غلالة سندسية من أوراقها تدفع عنه برد الشتاء .

ما ورد في حسنة الباهر عليه السلام (*)

- ١ - عن البراء بن عازب قال: كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أحسن الناس وجهًا، وأحسنهم خلقًا، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير.
- ٢ - وعنه رضي الله عنه قال: كان النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه مربوغاً بعيد مابين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنيه، رأيته في حلة حمراء لم أر شيئاً قط أحسن منه.
- ٣ - وعنه رضي الله عنه قال: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، له شعر يضرب منكبيه، بعيد مابين المنكبين، لم يكن بالقصير ولا بالطويل.
- ٤ - وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه في ليلة إضحيان (٣)، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهمو عندي أحسن من القمر.
- ٥ - وعن أبي اسحاق السباعي قال: سأله رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر.

(١) رواه البخاري (٥٦٤/٦) في المناقب: باب صفة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه.

(٢) رواه البخاري (٥٦٥/٦) في المناقب: باب صفة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه رقم (٢٣٣٧).

(٣) رواه مسلم رقم (٢٣٣٧) (٩٢).

(٤) رواه الترمذى في الشمائل رقم (٨) وفي السنن رقم (٢٨١٢) وفيه سوار بن الأشعث فيه ضعف. ولكن الحديث صحيح فقد رواه الدارمى وأبو الشيخ ص: ١٠٧ والحاكم (١٨٦/٤) وصححه ووافقه الذهبي والطبرانى في الكبير (١٨٤٢).

(٥) رواه البخاري (٥٦٥/٦) والترمذى في الشمائل والسنن (الجامع) وأحمد (٤/٢٨١).

(*) أي مضيئه مقمرة.

(*) هذا فصل من كتابنا: «الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه كأنك تراه».

٦ - وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال في حديث التوبة المشهور:

لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه وكان إذا سرّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر.

٧ - وعن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت: دخل النبي ﷺ عليها يوماً مسروراً وأسارير وجهه تبرق.

٨ - وعن أبي اسحاق الهمداني عن امرأة من همدان سماها قالت: حججت مع النبي ﷺ فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن، فقلت لها شبهيه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

٩ - وعن جابر بن سمرة قال له رجل: أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف؟ قال. لا. بل مثل الشمس والقمر مستديراً.

١٠ - وعن الجريري، عن أبي الطفيل قال: قُلْتُ له: أرأيْت رسول الله ﷺ؟ قال: نَعَمْ. كان أَبْيَضَ، مليح الوجه. وفي رواية: أَبْيَضَ مليحًا مُّقْصَدًا^(٤).

١١ - وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ: صفي لي رسول الله ﷺ قالت: «يابني لو رأيْتَه رأيْتَ الشمس طالعة». وفي رواية البيهقي «لو رأيْتَه لقلت الشمس طالعة».

(٦) رواه البخاري (٦/٥٦٥) وانظر كتابنا «الفرج بعد الشدة والضيق».

(٧) رواه البخاري (٦/٥٦٥).

(٨) رواه يعقوب بن سفيان الفسوبي وإسناده حسن إن شاء الله.

(٩) رواه أحمد والبيهقي في الدلائل وإسناده صحيح.

(١٠) رواه مسلم (٤/١٨٢٠) (٢٣٤٠).

(١١) رواه يعقوب بن سفيان وإسناده لا يأس به إن شاء الله ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

(*) أي ليس بجسيم ولا نحيف ولا قصير ولا طويل بل حسن الجسم.

١٢ - وعن أم معبد أنها وصفت رسول الله ﷺ فقالت: رأيتُ رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلغ الوجه، [و] كان أجمل الناس وأجمله من بعيد، وأجهر الناس وأحسنه من قريب.

١٣ - وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأنورهم لوناً، لم يصفه واصف فقط بمعنى صفتة إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، يقول هو أحسن في أعين الناس من القمر، أزهر، يتلألئ وجهه ﷺ تلألئ القمر.

(١٢) رواه الحاكم في المستدرك (١٠، ٩/٣) وصححه والبيهقي . ورواه البغوي في شرح السنة (١٣) وابن مندة والبيهقي وغيرهم وهو حديث حسن إن شاء الله وسيأتي .

(١٣) رواه أبو نعيم الأصبهاني في الدلائل ص: ٥٦٣ ، والبيهقي في الدلائل (٢٩٨/١) وابن أبي خيثمة في تاريخه وابن عساكر، وأشار إليه الحافظ في الفتح وسكت عنه. وما سكت عنه فهو حسن وفيه صحيح بن عبد الله أبو محمد الفرغاني . فيه مقال . انظر ميزان الاعتدال (٣٠٧/٢) رقم ٣٨٥٥ . وبباقي رجاله ثقات . قال الحازمي عفوا الله عنه: الحديث لا يأس به له شواهد كثيرة ومتعلدة في وصفه ﷺ بذلك . . والله أعلم .

أمور تزيد من الجمال الظاهري والباطني

- ١ - التنظف والتزيين.
- ٢ - التسوك بالسواك.
- ٣ - استخدام العطور فقد كان للنبي ﷺ سُكّة (قارورة) يتطيب بها.
- ٤ - تسریح الشعر وتنظیفه لقوله ﷺ في الحديث الصحيح : «من كان له شعر فليکرمه».
- ٥ - التکحل بالإتمد عند النوم فقد قال ﷺ : «عليکن بالإتمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر». حديث صحيح.
- ٦ - صفاء الباطن وصلاح الظاهر.
- ٧ - الصدقۃ فإنها تزيد في السعادة وهذا أمر موجب.
- ٨ - الابتعاد عن الحسد فإنه يولد براکين داخلية تبدو آثارها للمتفرسين الصادقين.
- ٩ - الحرص الشديد على الدنيا فإنه يتعب قلبه وملک جسده.
- ١٠ - الابتعاد عن الهم والغم فإنها سم قاتل للبدن - نسأل الله العافية والسلامة -.
- ١١ - الصدق فهو منجاة دنيا وأخرى.
- ١٢ - الإحسان إلى الآخرين وبذل المعروف.
- ١٣ - الجود والكرم.
- ١٤ - محبة المؤمنين والصحابة فمن سبهم صيره الله إلى القبح في آخر عمره.
- ١٥ - الابتعاد عن الغيبة والنميمة.
- ١٦ - المحافظة على أوامر الله وأوامر رسوله.

- ١٧ - محبة الله ومحبة رسوله .
- ١٨ - قراءة القرآن بتدبر .
- ١٩ - صلاح القلب فهو ملك الأعضاء .
- ٢٠ - الإكثار من صلاة الليل . فمن كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنها - وهذا أمر مشاهد ومحسوس .
- ٢١ - الزوجة الصالحة تزيد الإنسان بهاء وراحة وهي جنة من جنات الدنيا - نسأل الله من فضله - .
- ٢٢ - انتشار الصدر .
- ٢٣ - الذكاء والفتنة .
- ٢٤ - الجار الصالح فهو يجعلك مطمئن النفس إليه وإلى أهلك .
- ٢٥ - العافية والسلامة .
- ٢٦ - المركب الحسن فهو من أسباب السعادة - والسعادة تعطي النفس طمأنينة وهدوء .
- ٢٧ - الإكثار من التعبد لله . وطلب الدعاء منه أن يعطيك جمالاً باطنًا وظاهرًا .

الجمال المعنوي: مكارم الأخلاق

أما بالنسبة للجمال المعنوي، فقد جاءت رسالة الإسلام تتم مكارم الأخلاق وتدعو الناس إلى المسابقة في الخير والمسارعة إلى البر، وإلى تحقيق: «التي هي أحسن» لا القنوع بفعل الحسن فحسب، وإثار: «الفضل» لا الوقوف عند حد العدل، والسعى إلى «المندوب». والأحسن والأكمل وتجاوز الواجب والفرض: «وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم». [البقرة: ٢٣٧]، . «وليعفوا ولি�صفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم». [النور: ٢٢]، . «فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان». [البقرة: ١٧٨]، . «فإمساك بمعروف أو تسريع بإحسان». [البقرة: ٢٢٩]، . «وإن كان ذو عشرة فنرة إلى ميسرة وأن تَصَدِّقُوا خير لكم إن كتم تعلمون». [البقرة: ٢٨٠]، . «وإذا حيتكم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها». [النساء: ٨٦]، . «ولاتقربوا مال اليتيم إلا بالي هي أحسن حتى يبلغ أشدَّه». [الأنعام: ١٥٢]، . «وجادلهم بالي هي أحسن». [النحل: ١٢٥]، . «ولاتستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالي هي أحسن».

[فصلت: ٣٤].

* * *

التذوق الجمالي

تعني رسالة الإسلام بتربية الذوق الجمالي وتؤكد أن الاستمتاع بالجمال والسعى المقبول سمة الإنسان السوي، المرهف الحس العميق الإدراك، اللماح لروعة الخلق وعظمة الخالق وجليل نعماه: «**فَلَمَنْ حَرَمْ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبَادِهِ** **وَالطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، قَلْ هِيَ لِلنَّبِيِّنَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». [الأعراف: ٣٢].

والقرآن يوجه النظر إلى: «الجمال» في خلق الله إلى جانب «المنفعة»: «**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فَرُوقٍ. وَالْأَرْضَ مَدَدَنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتَنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبَصَّرَ وَذَكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْنَا. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مَبَارِكًا فَأَنْبَتَنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بِاسْقَاتِهَا طَلَعَ نَضِيدِ. رَزْقًا لِلْعَبَادِ وَأَحْيَنَا بِهِ بَلْدَةَ مِيتَا، كَذَلِكَ الْخَرُوجُ**». [ق: ١١/٦]. «**فَأَنْبَتَنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَا بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا**». [النمل: ٦٠]، «**زَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفَظَا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**». [فصلت: ١٢]، «**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفَّهُ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكِلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْيَحُونَ وَحِينَ تَسْرُحُونَ. . . وَالْخَيلُ وَالْبَغَالُ وَالْحَمِيرُ لَتَرْكِبُوهَا وَزِينَةٌ، وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**». [النحل: ٨-٦]، «**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكِلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلْيَةً تَلْبِسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَا خَرَ فِيهِ**». [النحل: ١٤]، «**إِنَّا جَعَلْنَا مَاعِلَ الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لَنْبَلُوهُمْ أَهْمَ أَحْسَنُ عَمَلًا**». [الكهف: ٧].

وخلق الإنسان نفسه يحقق الفعالية الوظيفية لكن لا يغفل عن الجمال: «**لَقَدْ**

خلقنا الإنسان في أحسن تقويم». [التين: ٤]. «الذي خلقك فسوأك فعدوك». [الانفطار: ٧].

وال المسلم مأمور باتخاذ الزينة عند الخروج إلى الجماعة: «بابني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد». [الأعراف: ٣١]. وهو مدعو لتجنب مامن شأنه خروج رائحة كريهة من فمه وهو ملتحم مع الجماعة في صفو الصلاة، مندوب إلى السواك في كل صلاة فضلاً عن الطهارة السابعة الشاملة للجسم والثوب والمكان. وقد أخبر رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام أنه قد حب إليه الطيب، وفي الصحيح أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد تطيب قبل إحرامه لحجه بأطيب الطيب: «ورؤي وبيص الطيب في مفارق رأسه»^(١) وروى ابن اسحاق أن عبد الله بن زيد بن ثعلبة حين أخبر رسول الله صلوات عليه برؤيه في شأن الآذان قال له ﷺ: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى صوتاً»^(٢).

ويصور القرآن الجنة في جمال وجلال ينفعل بها أصحاب الحس المرهف ويشيع بين المؤمنين تذوق الجمال: «وجوه يومئذ ناعمة. لسعيها راضية. في جنة عالية. لاتسمع فيها لاغية. فيها عينٌ جارية. فيها سررٌ مرفوعة. وأكوابٌ موضوعة. ونمارقٌ مصفوفة. وزرابي مبتوية»^(٣). [الغاشية: ٨-١٦]. ويعرض القرآن صورة جمالية رفيعة لنور الله تأخذ بالأباب: «الله نور السموات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري، يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسْه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل

(١) الحديث في الصحيح.

(٢) سيرة ابن هشام: بتحقيق السقا والأباري وشلبي ط ٢ مكتبة مصطفى الحلبى بالقاهرة - القسم الأول ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

شيء علیم . في بیوت أذن الله أن ترفع ويدکر فيها اسمه ﴿ . [النور: ٣٥ - ٣٦] . وقد تأتي الصناعة بصور من الجمال الباهر في حياتنا الدنيا تتحدث بنعمة الله وتستخدم في طاعته كما ورد عن صرح سليمان الذي دخلته ملکة سبأ : ﴿ فلما رأته حسبته لُجَّة وکشفت عن ساقیها ، قال إنه صرح مفرد من قواریر ، قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت نفسي مع سليمان الله رب العالمين ﴾ [النمل: ٤٤] .

* * *

الجمال جزاء العمل الصالح

إن واضح المنهج الإلهي هو خالق الإنسان، ولذا كان التناستك كاملاً بين المنهج وبين تلك الفطرة التي فطر الإنسان عليها.

وبما أن للحسن أثره البالغ على النفس، فقد جعله الله بعض الجزاء على العمل الصالح، ونتيجة للاستقامة في هذه الحياة، وبهذا يكون الجمال هو العنصر البارز في الثواب الذي أعده الله لعباده المتقين. وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى ذلك في الكثير الكثير من آياته، حيث جاء التركيز على حاسة البصر أكثر من غيرها. وحاسة البصر هي الوسيلة لاستشعار هذا اللون من النعيم.

ولنستمع إلى بعض هذه الآيات الكريمة:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرَضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكُمْ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَنَضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً. أُولَئِكَ هُمُ الْجَنَّاتُ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَابًا خَضْرًا مِنْ سَنَدَسٍ وَاسْتَبْرَقَ مِنْكَيْنٍ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكَ نَعْمَلُ الثَّوَابَ وَحَسِنَتْ مَرْتَفِقًا﴾^(٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَؤُلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ، وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(٣).

(١) سورة التوبه، الآية ٧٢.

(٢) سورة الكهف، الآيات ٣٠، ٣١.

(٣) سورة الحج، الآيات ٢٣، ٢٤.

وتنتقل العين عبر هذه المشاهد من جمال إلى جمال.. الجنات التي التفت
أشجارها بعضها على بعض، وتلقت أغصانها.. والماء الجاري مناسب
رراق.. والخلية.. تتعانق فيها الألوان من ذهب أصفر إلى لؤلؤ أبيض..
والثياب.. السنديس والاستبرق والحرير مناسبة الألوان في خضرتها مع الجو
العام.. إنها مشاهد تحرر العين على أيّها تستقر!

وفي مشهد آخر، حيث تقل الكلمات، وتُلغى آفاق المسافات، ويسرح الفكر
والنظر.. ويتساوق العموم الذي تعنيه «ما» في قوله تعالى: «وَفِيهَا مَا تَشْهِدُ
الْأَنفُسُ»^(١). مع الخلود الذي يعني العموم الزمني.. فإذا جمال النص جزء من
جمال الحقيقة..

«ادخلوا الجنة أنتم وأزواجهم تحبرون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب
وأكواب وفيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون»^(١).

وتأخذ «لذة الأعين» مكانتها، في إشارة خاصة بها من بين كل ما شتهي
الأنفس.. ولذا فالصحاف، لا يشار إلا إلى مافيها ولكن يشار إلى مادتها، فهي
وحدها المناسبة لذلك الجمود والسرور حيث يتتوفر كل ماتشتهي الأنفس،
وتحمّله وترغبه.

كانت تلك مشاهد إجمالية لذلك الجزء، أبرزت فيها الخطوط العريضة والمعالم
الكبيرة.

ونحب أن نعيش مع واحد من النصوص التي تناولت الأمر بشيء من
التفصيل: «... فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نفحة وسروراً. وجزاهم بما
صبروا جنة وحريراً. متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زهريراً.
ودانية عليهم ظلاماً وذلت قطوفها تذليلاً. ويطاف عليهم بآنية من فضة
وأكواب كانت قواريراً. قواريراً من فضة قدروها تقديرًا. ويُسقون فيها كأساً

(١) سورة الزخرف الآيتان ٧٠ - ٧١.

كان مزاجها زنجيلاً. عيناً فيها تسمى سلسيلًا. ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتم حسبتهم لؤلؤاً مثوراً. وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكاً كبيراً. عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضةٍ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً. إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً^(١).

إنه مشهد يشع الجمال من كل أرجائه، ويدو كذلك في كل جزئية من جزئياته. وهو مع ذلك يؤدي دوره في أداء المتع حقه من الوصف والإيضاح وهكذا يلتقي المتع والجمال. وهي سمة واضحة في كل نعيم الآخرة.

إن كلمة «الجلنة» بمقدار ماتعني من النعيم، فهي ترسم لوحة الجمال الطبيعي حيث تلتف الأشجار يعانق بعضها بعضًا. فتبدوا أقواساً منتظمة أو غير منتظمة وكل يؤدي دوره في إتمام اللوحة . . .

وفي «الأرائك» . . إنها ليست مجرد سرر يأخذ الإنسان راحته عليها، بل هي التي أحاطت منها بالستائر والمحجال. لا لتغيب من فيها عن النظر، وإنما لتؤدي دورها في جمال المنظر . .

و «الظلال» ليست ظلالاً تقي حر الشمس، فهم «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً». ولكنها لأداء الجمال. وللظلال حيثاً وجدت دورها الجمالي الكبير. و «دنو» الظلال يعطي المشهد جمال الحركة وحيويتها.

و «الآنية» ليست مجرد أوعية لتؤدي الغرض فيها أعدت له، ولكنها جمالية من الجماليات، وما زال الناس في دنياهم قديماً وحديثاً يعنون بجماليات هذه الأواني، فصلتهم بها يومية . .

إنها من الفضة، والفضة ترسم في المخيلة ذلك اللون الرائع مع لمعان ليس بالشديد، يوحى بالصفاء . . والأكواب من نفس المادة، ولكنها في تركيب آخر يؤدي مهمة الكوب من حيث الاستعمال ويؤدي التناصق مع بقية الآنية من حيث

(١) سورة الإنسان الآيات ١١ - ٢٢ .

اللون والمادة.. إنها قدرت تقديرًا محكمًا، حيث رقت ودقت صفحتها، فأصبحت شفافة، فهي في مادتها فضية، وفي شفافيتها زجاجية.. إنه الجمال. وأما الولدان الذين يؤدون الخدمة فهم اللؤُ وكمي به وصفًا إلهيًّا من الحرير بأنواعه.. السندس والاستبرق في لون ينساب مع اللون العام فلا يحدث النافر في الألوان.. بل التكامل والتناسق.. وكذا الخل..

وفي قوله تعالى: «وإذا رأيت ثمَّ رأيت..». تأكيد على أهمية حاسة البصر وأن جزءًا كبيرًا من ذلك النعيم يحصل عن طريقها.

ولاتغفل النصوص الكريمة الجانب النفسي للإنسان، وماليه من أثر على طلاقة وجهه وإشراقته، وهو يعيش في ذلك النعيم. فهو الصفحة التي تعكس كل ما يحيط بها في بلاغه وإيجار. وقد وردت الإشارة إلى ذلك في آيات كثير منها ما ورد في النص السابق: «ولقاهم نصرة وسرورًا». ومنها قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»^(١).

إن آثار النعيم بكل أبعاده - والجمال يبدو منها جميًعا - ستشرق في وجوه أولئك الذين كتب الله لهم الفوز برضوانه، يعرف ذلك ويحس به كل من رأهم.

«إن الأبرار لفي نعيم، على الأرائك ينظرون، تعرف في وجوههم نصرة النعيم»^(٢).

إنها صورة الإنسان الذي يتناسب مع الجو السابق المذكور.. فالوجوه الكالحة المظلمة، لا تصلح له وتسبب تناحرًا في اللوحة الكبرى..

ما تقدم مدى اهتمام النصوص بعرض الجمال، وماذاك - كما قلنا - إلا لما له من أثر عميق في النفس، فكان هذا الوصف بيانًا للجزاء من جهة، وإغراء بالعمل الصالح وحثًا عليه من جهة أخرى.

(١) سورة القيمة الآيات ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة المطففين الآيات ٢٢ - ٢٤.

وينهذا نتبين مدى الدقة في المنهج الإسلامي وهو يتعامل مع النفس الإنسانية فهو يلبي كل حاجاتها من خلال الفطرة في تغطية شاملة للك متطلباتها من حاجات وأسواق .

من الآثار الجمالية لحضارة الإسلام

من آثار حضارة الإسلام المعروفة إنشاء الحمامات والمغاسل وموارد المياه العامة استجابة لأوامر الإسلام في الطهارة والوضوء والغسل. وكان في الجانب الشرقي من بغداد وحده في القرن الثالث الهجري خمسة آلاف حمام، وروى الخطيب البغدادي أنه كان في بغداد في عهد المقتدر العباسي ٢٧ ألف حمام وصلت في عهود أخرى إلى ٦٠ ألفاً. ويدرك المقرizi إنه كان بالفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً. ويدرك المقرizi إنه كان بالفسطاط ألف ومائة وسبعون حماماً. وكان الحمام متعدد الحجرات وقد رصفت أرضه بالفسيفساء وبطنت جدرانه بالرخام، وقد أحاطت حجرات الحمام بقاعة وسطى واسعة تتوجّها قبة تخللها كوات صغيرة عليها زجاج ينفذ خلاله الضوء، وكانت هذه القاعة تدفأ بالبخار المتصاعد من نافورة ماء في وسط الحوض، وتهيأ حجرات للاسترخاء وتناول المشروبات الدافئة المهدئة.

وقد تجاوب الفن مع تعاليم الإسلام في تحريم تصوير الأحياء أو تجسيمهم، فأبدع الزخارف المتميزة المستمدّة من النباتات والأشكال الهندسية والتي عرفت بالزخرفة العربية (arabesque) فضلاً عن إبداع الصور الرائعة من الخط العربي واستخدامه في الزخرفة. كما بهرت الأنوار نقوش المسلمين الزخرفية على الثياب والسجاد والخزف القيشاني (أو الزليج) وتقدمت صناعة المينا والزجاج وتذهيبه وتلوينه وتطعيم الخزف والنقش على النحاس ويرز ذلك في كنوز الآثار الباقية وما اشتملت عليه من كؤوس وأواني للزهور وثريات، وازدهرت صناعة العطور والحلبي^(١).

(١) آدم متز: الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ - ٦. حتى: تاريخ العرب ترجمة نافع ج ٢ ص ٤٢١ - ٤٢٢ ، ٤٣٢ - ٤٣٨ ، ٤٤٢ - ٤٤٣ ، ٥٢٣٥ - ٥٣٨.

باب من كان يضرب به المثل من الصحابة في الجمال

جرير بن عبد الله البجلي كان كامل الجمال حتى قال فيه عمر هو يوسف هذه الأمة وكان المصطفى يحبه ويكرمه لذلك قاله المناوي في فيض القدير وقول عمر المذكور فيه أخرجه ابن سعد والخرائطي في اعتلال القلوب وقال فيه المصطفى لما ورد عليه سيدخل عليكم من هذا الفخ أو من هذا الباب من خير دي يمن على وجهه مسحة ملك أخرجه ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم وأخرجه الطبراني عنه قال كان إذا قدمت على رسول الله ﷺ الوفود دعاني فباهاهم بي وأخرج الطبراني في الكبير والحكيم من طريق صابر بن سالم بن حميد بن يزيد بن عبد الله بن ضمرة بن مالك البجلي عن أبيه عن سالم عن أبيه حميد عن أبيه يزيد قال حدثني أختي أم القضايب عن أبيها عبد الله بن ضمرة أنه كان قاعداً عند النبي ﷺ فطلع جرير فبسط له رداءه وفي صحيح البخاري وشمائل الترمذى عن جرير قال ماحججني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رأني إلا ضحك قال المناوى ماحججني منعنى من الدخول عليه مع خواصه وخدمه وقال ابن سلطان ولعل وجه التبسم له كل مرة في رؤيته أنه رأه مطهر الجمال فإنه كان له صورة حسنة على وجه الكمال هـ وأخرج الترمذى في الشمائى أيضاً عن جرير قال عرضت بين يدي عمر فألقى جرير رداءه ومشى في إزار فقال خذ رداءك فقال عمر للقوم مارأيت رجلاً أحسن من جرير إلا مابلغنا من صورة يوسف عليه السلام ومن طريق إبراهيم بن إسماعيل الكهمى قال كان طول جرير ستة أذرع وقال عبد الملك بن عمر رأيت جرير بن عبد الله وكان وجهه شقة قمر وكان نعله ذرعاً فيه هـ أنظر جميعه في حاشية العلقمي على الجامع الصغير على حديث إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ونقل ابن سلطان على الشمائى عن أبي عثمان مولى عمرو بن حرث عن عبد الملك بن عمير قال رأيت

جرير بن عبد الله وكان وجهه شقة قمر ومن كان يضرب به المثل في حسن الصورة
دحية الكلبي وكان جبريل ينزل على صورته وروى العجلي في التاريخ عن عوانة
بن الحكم قال أجمل الناس من كان جبريل ينزل على صورته وقال ابن عباس وكان
دحية إذا قدم المدينة لم تبق مخدرة إلا خرجت تنظر إليه ذكره ابن قتيبة في الغريب
وقد سبق عن الفتوحات المكية أنه بلغ من أثر جمال دحية في الخلق أنه لما قدم
المدينة واستقبله الناس مارأته امرأة حامل إلا ألقت ما في بطئها وعن العمدة للعنيفي
أن دحية هذا كان يمشي متلثلاً خشية أن تفتن به النساء .

الجمال عنصر مقصود

وإذا كان الجمال هو السمة التي يهمنا الحديث عنها، فلنستمع قول تفسير الظلال في بعض شرحه لآلية الكريمة: «الذي أحسن كل شيء خلقه».

قال مؤلفه رحمه الله تعالى: «اللهم إن هذا هو الحق الذي تراه الفطرة وتراء العين ويراه القلب ويراه العقل، الحق المتمثل في أشكال الأشياء ووظائفها. وفي طبيعتها منفردة وفي تناصقها مجتمعة، وفي هيئاتها وأحواها ونشاطها وحركاتها، وفي كل ما يتعلّق بوصول الحسن والإحسان من قريب أو بعيد».

«سبحانه... كل شيء مقدر، لا يزيد عن حد التناصق الجميل الدقيق ولا ينقص. ولا يتقدم عن موعده ولا يتاخر، ولا يتجاوز مداه ولا يقصر. كل شيء من الذرة الصغيرة إلى أكبر الأجرام، ومن الخلية الساذجة إلى أعقد الأجسام. كلها يتجلّ فيها الإحسان والإتقان...».

كل شيء هذه السمة هذا الطائر ثم هذا الإنسان وهذا الكوكب السيار وهذا النجم الثابت وهذه الأفلاك والعالم كل شيء حيثما امتد البصر متقدن الصنع بديع التكوين يتجلّ فيه الإحسان والإتقان.

«والعين المفتوحة والحس المتوفّر والقلب البصير، ترى الحسن والإحسان في هذا الوجود بتجمّعه، وتراء في كل أجزائه وأفراده، والتأمل في خلق الله حيثما اتجه النظر أو القلب أو الذهن، يمنحك الإنسان رصيداً ضخماً من ذخائر الحسن والجمال ومن إيقاعات التناصق والكمال، تجمع السعادة من أطرافها بأعلى ما في ثياراتها من مذاق وتسكّبها في القلب البشري، وهو يعيش في هذا المهرجان الإلهي الجميل البديع المتقدن. يتملّم آيات الإحسان والإتقان في كل ما يراه وما يسمعه وما يدركه

في رحلته على هذا الكوكب. ويحصل من وراء أشكال هذا العالم الفانية بالجمال الباقي المنبع من جمال الصنعة الإلهية الأصلية».

«إن هذا الوجود جميل ، وإن جماله لا ينفد ، وإن الإنسان ليرتقي في إدراك هذا الجمال والاستمتاع به إلى غير محدود ، قدر ما يريد ، وفق ما يريد له مبدع الوجود».

إن عنصر الجمال المقصود قصدًا في هذا الوجود

وإذا كانت المشاهدة هي البرهان فيها يُنظر، فإن هنالك من العوالم مالا يقع تحت بصرنا، إما لأن آلية إبصارنا غير معدة لرؤيتها أصلًا، وإما لأنه من الدقة بحيث لم تهيا الوسائل بعد لإمكانية رؤيتها. وسواء أكان ماغاب عننا من هذا الصنف أم من ذاك فإن عنصر الجمال أصيل فيه أصالته عنصر الجمال فيما يقع تحت حواسنا.

انظر إلى ذرة من الثلج تحت المجهر، تر بناءً هندسياً هو الجمال بعينه. إن عيننا المجردة لم تكن قادرة على التعرف على هذا الجمال قبل وجود الوسيلة. ولكن الوسيلة ليست هي التي أوجدت الجمال، إنه موجود قبلها ووجوده في أصل التكوين إن الإنسان ليملأه خشوع شديد وهو يسمع قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تَبْصِرُونَ﴾^(١). إنه جلال القسم ورهبته. والقسم هو الله تعالى... إن ما نبصر وما لا نبصر كلاهما من صنع الله وإن فالصنعة واحدة والأسلوب واحد. وهكذا تكون آية القسم هذه تأكيداً آخر لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ في الآية السابقة.

الجمال في الكون:

﴿... ذلك عالمُ الغيب والشهادة العزيز الرحيم، الذي أحسن كل شيء خلقه﴾.

كانت الآية الكريمة موضوع حديثنا ونحن نتكلّم عن قاعدة كلية في نظام الخلق، وهي إدخال عنصر الجمال في إنشاء كل شيء، هذه القاعدة التي لا يُذكر لها استثناء. والآية إذ تقرّر ذلك - البيان والإيضاح لحقيقة من حقائق الوجود -

(١) سورة الحاقة: ٣٩.

فإنها في الوقت نفسه تلفت النظر إلى أهمية هذا العنصر من بين العناصر الأخرى. وإن أهميته لتبدو أكثر وأكثر من خلال التأكيد عليه مرات ومرات. وفي هذه الفقرة نتحدث عن الجمال في الكون. حيث نتناول بعض كبريات الأشياء، التي تستطيع العين إبصاراتها، وحيث يمكن أن يلمع ذلك الجمال فيها كل إنسان، سواء قلت ثقافته أم عظمت.. فكل يعرف من ذلك العين بحسب ما أتيح له من إدراك. ونقف عند عالم النساء.

هذا العالم الذي كثيراً ما تحدث القرآن عنه ولفت النظر إليه. إن من أوليات الجمال - وقيل الحديث عن مظاهره - أن يكون الشيء خلواً من العيوب، بعيداً عن الخلل والتنافس. فإذا سلم من ذلك كانت تلك الخطوة الأولى في تصنيفه الجمالي.

والقرآن الكريم وهو يتحدث عن النساء، لا ينفي الخلل عنها وحسب، وإنما يتحدى الناظرين، أن يكرروا النظر في محاولة لرؤيه شيء من ذلك إن وجد؟ ثم زيادة في التحدي يعطي التبيّنة سلفاً... ولنستمع إلى الآيات الكريمة: ﴿الذِّي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طَبَاقًا مَاتِرِيٍّ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوْتٍ﴾ فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسيراً. [سورة الملك الآية: ٤ - ٣].

(١) نذكر معاني الكلمات في الآية الكريمة نفلاً عن تفسير ابن كثير رحمه الله. قال: (ماتري في خلق الرحمن من تفاوت)... ليس فيه اختلاف ولا تنافس ولا نقص ولا عيب ولا خلل. (هل ترى من فطور) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم: أي شقوق وعن السدي: أي خروق. وقال قتادة: هل ترى خللاً؟ (خاسئاً) قال ابن عباس: دابلأ. وقال مجاهد وقتادة: صاغراً. (وهو حسيراً) قال ابن عباس: يعني كليل. وقال مجاهد وقتادة والسدسي. الحسيراً: المنقطع من الإعاء.

إن البصر سيرجع بعد رحلته وقد أصابه الإعياء، ولم يجد عيّاً فلا فروج ولا خروق ولا فطور.. وكذلك لاتفاقات فلا خلل ولا تناقض ولا تنازع في خلق الرب سبحانه.

والدعوة إلى النظر ثم تكراره مرة بعد مرة.. ذلك لتأكيد الحقيقة التي لا شك فيها. هذه الحقيقة التي أكدتها مرة أخرى سورة ق: **﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فَرُوجٍ﴾**.

ويستوقفنا في الآية الكريمة قوله تعالى: **﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوْتٍ﴾**. فلم تقل الآية: ماترى في خلقها من تفاوت. إذ الحديث عن السماوات، ولكن الآية تقرر مبدأ عاماً هو سمة خلق الله تعالى، فليس ذلك خاصاً بالسماء. إن الخلل والتناقض منفي أصلاً عن صنع الله الذي أتقن كل شيء.

وإذا كانت الآيات الكريمة قد نفت عن السماء والخلل والعيوب، فذلك في حد ذاته جمال لا يدانيه جمال. إذ هو الإتقان، ولكنها لاتتفق عند هذا الحد بل تسير شوطاً آخر لتسجيل عملية التزيين الإلهية فتقول:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَا السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا بِمَصَابِحٍ وَجَعَلْنَاهَا رَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

والزينة مقصودة - هنا - يوحى بها كل ما في الآية الكريمة. يوحى بها الحرف «قد» الذي يعني التحقيق. والتأكيد بـ «اللام» قبله الفعل إلى ضمير المتكلم «نا» الذي هو الله تعالى بقوله «زيانا» كما يوحى به نسبة ولقد تكرر هذا التأكيد على قصد تزيين السماء في آيات أخرى منها:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاوَاتِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فَرُوجٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاوَاتِ بِرْوَجًا وَزَيَّنَاهَا لِلنَّاظِرِ﴾.

إن غاية الزينة هي استمتاع العين برؤيتها، وتنص الآية على ذلك صراحة:

﴿وَزَيَّنَاهَا لِلنَّاظِرِ﴾.

إن القصد الجمالي لا يحتاج إلى إيضاح أو تأكيد أكثر من هذا. ومع ذلك تأقِّي
آيات سورة فصلت لتروي لنا جانبًا من قصة الخلق : ﴿ . ثم استوى إلى السماء
وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهاً قالا أتينا أتينا طائعين . فقضاهن
سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ .

الجمال في الإنسان:

الإنسان . . .

ذلك المخلوق الذي سواه الله تعالى بيده، ونفع فيه من روحه . . . وأسجد له ملائكته . .

إنه عالم من العوالم، وكون من الأكون . . مازال العلم يبحث في أرجائه المادية فلم يصل إلى غاية ففي كل يوم كشف جديد، ومعلومات جديدة وكلما تقدم العلم في هذا كشفت له جوانب لم يكن يعلمها . . وأما أرجاؤه النفسية فذلك عالم لم يزل العلم على عتبة لم يلتحم الباب . .

وفي هذه الفقرة، لن نتحدث عن الإنسان تفصيلاً . . وأنى لنا بذلك؟ فهذا يحتاج إلى الكثير الكثير. ولكننا ضمن إطار البحث نقف عند إثبات قصد الجمال في خلق الإنسان . . . وندع الجوانب الأخرى في الحديث عنه إلى أبوابها . . إن النظرة السريعة في هذا المخلوق - فضلاً عن النظرة الفاحصة - لتقرر جمال هذا المخلوق دون تحفظ .

هذا القوام الفريد، هذا التناست بين الأعضاء، هذه المرونة في حركة كل عضو . . المرونة والتكييف في حركة الأعضاء بعضها مع بعض . . هذا التناست في العمل بين العقل والجسد . . والروح . . إنها مؤكّدات لا تنتهي . . والقرآن الكريم يتناول الحديث بشأن جمال الإنسان من أكثر من جانب، وما ذاك إلا للدلالة على أهمية هذا المخلوق وللتنويه بتكريمه .

والمرحلة الأولى التي ينطلق منها الجمال هي التسوية التامة للشيء، فعدم الخلل وعدم النقص هو الحد الأدنى في الجمال. ويلفت القرآن النظر إلى هذا بلغة هادئة توقف الحس وتحفظ المشاعر «يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك

فسواك فعدلك^(١). قال ابن كثير - رحمه الله - : «أي جعلك سوياً مستقيماً معتدل القامة منتصباً على أحسن الهيئات والأشكال».

والتسوية: الوصول بالشيء إلى مرحلة الكمال. ومنه قوله تعالى: «إذا سويته ونفخت فيه من روحه فجعلوا له ساجدين»^(٢) أي أكملت حلقه. ومنه قوله تعالى: «الذي خلق فسوى»^(٣). قال في صفوه التفاسير: أي خلق المخلوقات جميعها فأتقن خلقها وأبدع صناعتها في أجمل الأشكال وأحسن الهيئات.

وإذا كانت هذه التسوية من قبل الله فلا بد أن تصل إلى الجمال... .

على أن القرآن لا يقف عند هذا الحد في تقرير جمال الإنسان بل يصرح بذلك بما لا يدع مجالاً للريب . وهو هنا - عند الحديث عن الإنسان - لا يكتفي باستعمال لفظ الزينة وما كان في مستوى ، كما جرى ذلك إبان الحديث عن جمال النساء... بل يستعمل اللفظ الذي استعمله في القاعدة الكلية^(٤) «أحسن» ويستعمله في تعبيرين مختلفين :

«خلق السماوات والأرض بالحق* وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير»^(٥).

«لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم»^(٦).

ونقف عند التعبير الأول: «صوركم فأحسن صوركم» :

ذهب كثير من المفسرين^(٧) إلى أن الصورة هي الشكل. قال ابن كثير - رحمه

(١) سورة الانفطار: ٦ - ٧.

(٢) سورة الحجر: ٢٩.

(٣) سورة الأعلى: ٢.

(٤) المقصود بها قوله تعالى: «الذي أحسن كل شيء خلقه».

(٥) سورة التغابن: ٣.

(٦) سورة التين: ٤.

(٧) ذهب سيد قطب رحمه الله إلى توسيع كلمة صوركم حتى شملت الجانب المعنوي فقال:

الله - : أَيْ : أَحْسَنُ أَشْكَالَكُمْ . وَقَالَ الْقَرْطَبِيُّ - رَحْمَهُ اللَّهُ - : خَلْقَكُمْ فِي أَحْسَنِ
صُورَةٍ وَقَالَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْحَشْرٍ ؛ وَمَعْنَى التَّصْوِيرِ: التَّخْطِيطُ وَالتَّشْكِيلُ . خَلَقَ
اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي أَرْحَامِ الْأَمْهَاتِ ثَلَاثَ خَلْقٍ ، جَعَلَهُ عَلْقَةً ثُمَّ مَضْعَةً ثُمَّ جَعَلَهُ
صُورَةً ، وَهُوَ التَّشْكِيلُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ صُورَةً وَهَيْئَةً يَعْرُفُ بِهَا وَيُتَمِّيزُ عَنْ غَيْرِهِ
بِسَمْتَهَا . ١ . هـ .

نلاحظ من هذا أن الآية تهتم بالشكل الظاهر وهو ما نعبر عنه بالجمل الحسي
الذي تكون العين حاسة الإدراك له .

ونلاحظ أيضاً أن الفعل «صَوْرَ» لم يستعمل في القرآن الكريم إلا في صدد
الحديث عن الإنسان، وبأسلوب الخطاب له، من باب المَنْ عليه في هذا الجانب
المهم من حياته، في شؤون نفسه وفي تعامله مع ما يحيط به، وهذا مما يؤيد أهمية
«الجمل» الذي أحسنه الله في صورة هذا الإنسان ولا أدل على ذلك من تخصيص
الله تعالى لهذا الإنسان بأسلوب من الخلق وهو «التصوير»^(١) .

وأما التعبير الثاني وهو قوله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ»
فإن آراء المفسرين لم تتفق على مفهوم التقويم في الآية . على الرغم من عدم

= (صوركم . .) تشعر الإنسان بكرامته على الله، وبفضل الله عليه في تحسين صورته: صورته
الخلقية وصورته الشعورية» الظلال ص ٣٥٨٥ سورة التغابن .

(١) كل ما ورد في القرآن الكريم في مادة «صور» هو: كلمة (المصون) اسماً من أسمائه تعالى: «هُوَ
اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمَصُورُ . . .» . سورة الحشر [٢٤] .

ووردت خطاباً للإنسان في الآيات التالية كما ألمحت إليه أعلاه .

«اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» . غافر ٦٤ .

«خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» . التغابن ٣ .

«وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صُورَنَاكُمْ ثُمَّ قَلَنَا لِلْمُلَائِكَةِ اسْجَدُوا لِأَدْمَ» . الأعراف ١١ .

«هُوَ الَّذِي يَصُورُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ» آل عمران ٦ .

«فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَبُّكُمْ» الانفطار ٨ .

وهكذا لم تستعمل كلمة «التصوير» في حق أي مخلوق آخر في آيات القرآن الكريم .

الاختلاف في معناها اللغوي : فالتفوييم : التعديل والتحقيف^(١). ولكن هذا التعديل والتحقيف متعلق بظاهر الإنسان أم بباطنه؟ قال القرطبي - رحمه الله - : «في أحسن تقويم» في اعتداله واستواء شبابه كذا قال عامة المفسرين . ١ . هـ .

وهكذا يذهب في تفسير الآية الكريمة إلى الحسن الظاهر الذي يتناول قوام الإنسان وشكله الظاهر .

ويؤيده في هذا الاتجاه ابن كثير - رحمه الله - حيث قال : «وهو أنه تعالى خلقه الإنسان في أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوياً الأعضاء حسنه». وقال مجاهد - رحمه الله - : «أحسن تقويم» : أحسن صورة وأبدع خلق^(٢) .

وذهب آخرون إلى أن حسن التقويم هنا يتعلق بالجانب المعنوي للإنسان : وينقل القرطبي بعض هذه الأقوال :

«وقال أبو بكر بن طاهر : مزيناً بالعقل مؤدياً للأمر مهدياً بالتمييز . . . [وقال] ابن عربي : ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان . فإن الله خلقه حياً عالماً، قادرًا مريداً متكلماً سمعياً بصيراً مدبراً حكيمًا، وهذه صفات الرب سبحانه . . . » .

وإلى هذا المنحى ذهب سيد قطب رحمه الله حين قال : «في أحسن تقويم» فطرة واستعداداً .

وذهب فريق ثالث من المفسرين إلى الجمع بين الاتجاهين السابقين . جاء في تفسير الشعالي : «وحسن التقويم يشمل جميع محسنات الإنسان الظاهرة والباطنة من حسن صورته وانتصاب قامته وكمال عقله وحسن تميزه» .

(١) انظر معجم الألفاظ والأعلام القرانية . محمد إسماعيل إبراهيم .

(٢) عن تفسير الطبرى .

وإلى هذا الاتجاه ذهب المتأخرون من المفسرين : جاء في تفسير القاسمي : «في أحسن تعديل خلقاً وشكلاً وصورة ومعنى» وفي صفة التفاسير: «أي لقد خلقنا جنس الإنسان في أحسن شكل، متصفًا بأجمل وأكمل الصفات، من حسن الصورة وانتساب القامة وتناسب الأعضاء، مزياناً بالعلم والفهم والعقل والتمييز، والمنطق والأدب».

نلاحظ مما سبق من أقوال المفسرين في الآيتين الكريمتين، أن معنى الحسن والجمال مقصود في خلق هذا الإنسان، في ظاهره وباطنه، وإن كانت الأولى أقرب إلى الحديث عن الظاهر، والثانية يتسع فيها جانب الحديث عن المعنى . وإذا كان القرآن قد نص على جمال التصوير وجمال الخلق وجمال التقويم فيه فقد كانت التعاليم الواردة في هذا القرآن هي الوسيلة لإنجاز جمال السلوك فيه، وبهذا يصل الإنسان إلى المستوى الكريم المقصود من وجوده حيث يتناسق الجمال فيه بكل معانيه في جانبه الخلقي وجانبه الإرادي^(١) .

(١) الظاهرة الجمالية في الإسلام للأستاذ الشامي ص: ١٤٠ - ١٤٤

وسائل جمالية:

إن الله تعالى خلق الكون، والجمال عنصر أصيل في تكوينه، وكذلك كان الأمر بالنسبة للإنسان، فقد أبدع الله صورته وأحسنها كما أحسن فطرته واستعداداته فجعلها، حبةً للجمال ميالةً إليه وحربيصة عليه، كما جعلها قابلةً مستعدةً لتقدير الجمال، وكذلك لإنتاجه.

وإذا كان هذا الاستعداد من صنع الله تعالى، في فطرة الإنسان، فإنه هيأ له من الوسائل ما يحمل به حياته الخاصة، وهذه الوسائل من الكثرة بحيث لا يمكن إحصاؤها والقرآن الكريم يتحدث عن بعضها على سبيل ضرب المثل.

والزينة مطلوبة من هذا الإنسان.

وهو إذ يسعى إلى ذلك فإنه يلبي نداء الفطرة ونداء الدين معاً...
ولعل من التكريم للزينة - وهي وسيلة التجميل - أن ينسبها الله إليه ﴿زينة الله﴾ فالإضافة هنا للترشيف أي الزينة التي هي من صنع الله تعالى.
وهذه الزينة معدة لاستفادة منها «عباد الله» بتجميل أنفسهم أو بتجميل بيوتهم وكل ما يتصل بهم.

ولنستمع إلى القرآن الكريم مبيناً موقفه منها منكراً على الذين وقفوا منها موقفاً سلبياً:

﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعَبَادِهِ وَالْطَّيَّابَاتِ مِنَ الرِّزْقِ...﴾^(١).
ووهذا يتقرر أن الزينة واتخاذ الوسائل لصنع الجمال في هذه الحياة أمر مطلوب ومرغوب فيه، ونهى الله تعالى لنا من الأشياء ما يساعدنا به على إنجاز هذه

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

المهمة . . . فيسخُر لنا البحر - في جملة ما سخره لنا - ل تستخرج من الخلية الالزمة
لهذه المهمة :

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ وَتَسْتَخْرُجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً
تُلْبِسُونَهَا . . . ﴿١﴾

وهكذا يلفت القرآن النظر إلى إعداد هذه الخلية ويدلنا على أماكن وجودها،
مساعدةً منه في إنتاج الجمال .

ولا نريد الحديث هنا عن كل الوسائل ، فالذهب والفضة وسيلة وأي وسيلة
في عمليات التجميل والزينة . ولكن أنيطت بها مهمة أخرى ، وهي كونها يؤديان
دور النقد في إطار التعامل المالي بين الناس . . .

إنما مقصودنا ذكر الأشياء التي مهمتها الأصلية هي كونها وسائل جمالية فهي
مصادر إشعاع للحسن حيث وجدت . . .

إنها: اللؤلؤ والمرجان والياقوت والرياش . . .

فإله تعالى يمنَّ على عباده بهذه الأشياء ، قال تعالى: ﴿مَرْجُ الْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ﴾ بينهما بربخ لا يبعيان* فبأي آلاء ربكم تكذبان* يخرج منها اللؤلؤ
والمرجان فبأي آلاء ربكم تكذبان﴾ ﴿٢﴾ .

(١) سورة النحل: ١٤ .

(٢) سورة الرحمن: ١٩ - ٢٣ .

«الظاهر والباطن» والجمال

إن الجمال ليس شيئاً قائماً بذاته، وإنما هو أمر قوامه بغيره، فنحن نستطيع أن نراه أو نحس به في الإنسان، وفي سلوكه... وفي عمله... وفي الأشياء... وبما أنه كذلك فإن تلك القواعد العامة التي ذكرناها قبل قليل تشمله على اعتبارها قواعد عامة في المنهج.

فالجمال لا يكون له وجود حقيقي إلا حينما يكون سمة للظاهر والباطن في آن واحد، ويكون التناست تاماً بين هذين الركين.

أما إذا كان سمة للظاهر فحسب، فهو جمال تافه، من خلفه باطن فارغ، ويضع القرآن الكريم بين أيدينا صورة غاية في الدقة لهذه الحالة الكريهة، محذراً منها، وذلك حيث وصف المنافقين فقال:

﴿وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم﴾ وإن يقولوا تسمع لقوفهم﴾ كأنهم خشب
مسنده...﴾^(١).

﴿إذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم﴾ إن أشكاهم حسنة، وهنادهم جميل
وروادهم معجب... .

﴿وإن يقولوا تسمع لقوفهم﴾ وإن يتكلموا تصغى لقوفهم، فهم ذوو فصاحة
وذلاقة لسان، يحسنون تنمية الحديث... .

ولكن ذلك الظاهر من خلف خواء، خواء في معناهم، وكذلك في معنى
كلامهم... فاستحقوا ذلك التشبيه الدقيق... ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ إنها
أخشاب جامدة لا حيوية بها بل لا حياة فيها، مسلوبة الإرادة فهي ليست

(١) سورة المنافقون: ٤.

مستندة، ولكنها مسندة.

وفي مقام آخر ردَّ الله على قريش حينما تفاخرت بوضعها الاجتماعي ، وذلك فيما نقله القرآن من شأنهم إذ قال : ﴿وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيْنَ أَنَّا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنَ نَدِيًّا . . .﴾^(١) .
إِنَّهُمْ يَفَخِّرُونَ بِمَكَانَتِهِمُ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَبِأَنْدِيَتِهِمُ الْحَسَنَةِ وَبِمَنَازِلِهِمُ الرَّفِيعَةِ . .
إِنَّهَا مَظَاهِرٌ . . مِنَ الرِّزْنَةِ وَالظَّلَاءِ .

فرد الله تعالى عليهم بقوله : ﴿وَكُمْ أَهْلُكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرَئِيًّا﴾^(٢) . كثيرة تلك الأمم التي أهلكها الله ودمرها ، كانت أكثر متابعاً وأحسن أثاثاً ، وأجمل صورة وأبهى منظراً . . . ومع ذلك لم يغُّنِ عنهم ذلك شيئاً . . . إن فساد الباطن غالب حسن الظاهر ، فكان الهالك .

فالواجب على الإنسان المسلم أن تكون سريرته خير مع علانيته ، وقلبه خير من لسانه . والله المستعان

(١) سورة مريم : ٧٣ .

(٢) سورة مريم : ٧٤ .

المنهج وخاصية «الظاهر والباطن»

قبل الحديث عن «الظاهر والباطن» وأثرهما في الظاهرة الجمالية لابد من بيان مقتضب عنهما باعتبارهما خاصية أصيلة من خصائص المنهج الإسلامي.

نلحظها في المنهج ذاته، كما نلاحظها في معالجته للقضايا التي يتناولها، وقد تناول كل القضايا. . في حياة هذا الإنسان.

والإنسان له ظاهر، وهو مأيرٍ به، ويُميز بواسطته من صورة ولون، وله باطن، وهو ما يستقر في داخله من عقيدة وأفكار وقيم.

وعمله - الذي يصدر عنه كذلك - له ظاهر: وهو ما يراه الناس، وله باطن، وهو المعنى أو الباعث أو النية.

والظاهر والباطن سوف يكونان وحدة متكاملة نتيجة لتطبيق المنهج، فتكون حقيقة العمل التي تبدو من ظاهره، هي حقيقته الكامنة فيه، ذلك أن المنهج الذي يضبط الظاهر، هو نفسه الذي يضبط الباطن.

وإذا عرفنا أن هذا المنهج يتناول كل قضايا الإنسان في كلياتها وجزئياتها، تبين لنا أن هذه الخاصية أصيلة في المنهج الرباني، وليس مجرد بحث تناوله في صدد الحديث عن الظاهرة الجمالية.

فالإنسان الذي خلقه الله وصوره، لا يكون إنساناً حقاً، إلا حينما يستقر في نفسه المنهج الذي وضعه الله له، وحينئذ تلتقي الصورة الظاهرة مع معناها الحقيق المناسب، أو يلتقي الظاهر الذي هو من صنع الله، مع الباطن الذي تمثل منهج الله فإذا الظاهر والباطن وحدة تامة الانسجام. . وعندما تكمل إنسانية الإنسان، صورة ومعنى، ظاهراً وباطناً.

الإحساس بالجمال وأثره في النفس

وقد تحدث الأئمة من علماء المسلمين عن هذه الفطرية في النفس الإنسانية بكلمات بجملة ولكنها واضحة، ومما ذكر إلا لأنها مسلمات لامتحاج إلى البراهين والأدلة.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «والطابع السليمة قاضية باستلزماد النظر إلى الأئس والأنوار والأزهار والأطياف المليحة الألوان الحسنة النتش المتناسبة الشكل... ولا أحد ينكر كون الجمال محبوبًا بالطبع»^(١)
وهكذا فهي عنده مسلمة لأحد ينكرها. . وجودها لدى الإنسان دلالة على سلامه طبعه وصحة نفسه.

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «... إذ الإنسان مجبول على محبة الحسن وبغض السيء، فالحسن الجميل محبوب مراد، والسيء القبيح مكره مبغض»^(٢).
وقد جاء من بعده تلميذه ابن القيم رحمه الله ليؤكد قوله، وذلك في صدد حديثه عن الجمال الظاهر، حيث قال: «... والقلوب كالمطبوعة على محبتها، كما هي مفطورة على استحسانه».

إنها آراء صريحة لأئمة أعلام، تؤكد أن الإحساس بالجمال أمر فطري في جيلية الإنسان. وأن استحسانه وحبه كذلك مما طبعت عليه النفوس.

وإذا عدنا - بعد هذا إلى زمننا الحاضر، نتعرف آراء العصر الذي نعيش فيه، لاحظنا قلة الباحثين في هذا الميدان من يحملون العقيدة الإسلامية ويعيشون

(١) إحياء علوم الدين ٤/٢٩٨. طبعة دار المعرفة بيروت.

(٢) الاستقامة لابن تيمية ١/٣٦٧ تحقيق د. محمد رشاد سالم ط ١٤٠٣ هـ.

التصور الإسلامي ، ومع ذلك فالآراء واضحة جلية .

يرى الأستاذ محمد قطب - في صدد حديثه عن القيم العليا - أن الإحساس بالجمال أمر فطري ، وأن القضية في نظره أضحت مسلمة لا تحتاج إلى دليل ، ولذا يكتفى بالكلمات التالية « وهو إحساس فطري ، والدلالة واضحة . . »^(١) .

وأما مؤلف « الظلال » رحمة الله فإنه ينتقل بنا نقلةً بعيدة . فهو لا يراه فطرة في الإنسان فحسب ، بل يراه فطرة الوجود كله قال رحمة الله : « ونظرة إلى السماء كافية لرؤيه هذه الزينة . ولإدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون ، وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق ، وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي . . »^(٢) .

إن هذه الحقيقة - فطريه الإحساس بالجمال - التي عرفها المسلمون على امتداد عصورهم وكانت نتاجاً طبيعياً للتصور الإسلامي الشامل ، حتى بانت مسلمة من المسلمات لم تكن كذلك لدى غيرهم . .

وفي العصر الحديث قليل أولئك الذين توصلوا إليها أو قالوا بها . . فكل أولئك الذين جعلوا من الفنان إنساناً آخر فوق البشر وغير البشر لم يروا ذلك . وكذلك الذين نادوا باستبعاد الفن والجمال . لأنهما يعرقلان مسير ثورتهم لم يروا ذلك . وكل الذين قاموا بسلفاتهم على العبث . . والتمرد لم يهتموا بذلك . . على أننا لانعدم مفكرين نظروا من خلال فطريتهم لا من خلال الفلسفات التي أحاطت بهم فتوصلوا إلى الحقيقة أو قريباً منها .

نستطيع أن نلمع هذا من خلال رأي « كانت » وهو يتحدث عن إدراك الجمال حيث يرى « إن إدراك الجمال في الأشياء يعتبر إدراكاً مباشراً مستقلاً عن تصورنا لما

(١) دراسات في النفس الإنسانية . فصل « القيم العليا » .

(٢) في ظلال القرآن . تفسير سورة الصافات الآية ٦ .

هو «جبل». وكذلك فنحن لاحاجة بنا إلى برهان للتدليل على جمال الأشياء. وإنما تبدي في الشيء سمة الجمال التي ندركها فيه دون حاجة إلى تصور نموذج أو مثال للجمال نقيس بمقتضاه جمال الأشياء»^(١).

ويرى «رسكن»^(٢) أن الشعور الجمالي غريزي في الإنسان، أي أنه سابق على التجربة. . .^(٣).

ويعبر «الكسيس كاريل» عن هذه الحقيقة بأسلوب آخر فيقول: «إن الإحساس بالجمال موجود في الإنسان البدائي مثلما هو موجود في أكثر الناس تمدّينا. . .^(٤)».

وهذا يعني استقرار هذه الحقيقة في فطرة الإنسان بغض النظر عن بيئته وعصره وثقافته. . .

خلاصة لما سبق نستطيع أن نقول:

إن عمق الرصيد الذي يملكه الجمال في فطرة الإنسان، جعل تأثيره على النفس عظيماً، الأمر الذي سجله القرآن الكريم، وهو موضوعنا في الفقرة التالية:

أثر الجمال في النفس:

يعرض القرآن الكريم من خلال قصصه تأثير الجمال على النفس الإنسانية، الجمال الذي يبدوا تارة من خلال الزينة. . . وتارة من خلال الفن الهندسي المعماري. . . وتارة من خلال الإنسان ذاته، صورة ومعنى . . .

كما يستعرض النفس الموضوعة تحت هذا التأثير في حالاتها المختلفة، فتارة

(١) فلسفة الجمال. أبوريان ص ٣٦.

(٢) جون رسكن (١٨١٩ - ١٩٠٠) كاتب انكليزي، وناقد فني واجتماعي، قرن النقد الجمالي بالوعظ الأخلاقي.

(٣) المصدر السابق ص ٥١.

(٤) الإنسان ذلك المجهول ص ١٥٤.

تكون نفساً عادية تمثل نفوس عامة الناس ، وتارة تكون نفس واحد من علية القوم . وتارة تكون في صفة الذكورة وتارة في صفة الأنوثة .

وهكذا نكون أمام تنوع في أشكال المؤثرات ، وتنوع آخر في النفوس المتلقية لتلك المؤثرات . . وتبقى القضية واحدة . وهي أثر الجمال في النفس الإنسانية ، فالجمال هو الجمال ، والنفس هي النفس . ولنقف على نماذج من هذه المشاهد :

* هذا مشهد تبدو فيه الزينة والجمال من خلال الشراء والرفاية والإعجاب بالنفس . . إنه قارون ، الذي كان من قوم موسى ، والذي أوتي من الكنوز ما إن مفاحمه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، وقد اخذ من مظاهر الزينة والرياش والزخارف ما يتناسب مع هذا الغنى . . ويخرج « ذات يوم على قومه في زينة عظيمة وتحمل باهر من مراكب وملابس عليه وعلى حشمه وخدمه . .^(١) » فإذا الناس من قومه أمام هذا المشهد فريقان :

فريق أخذ المشهد بمجامع قلوبهم ، فإذا بآثار ذلك تخرج من أفواهم تمنياً ورغبةً أن يكونوا مثله ، وأن يكون لهم ماله . .

وفريق آخر ، لم يؤثر فيهم المشهد ، لأنّه غير مؤثر ، وإنما السبب آخر ، هو وجود الإيمان الذي يجعل الإنسان لا يقف عند ظواهر الأمور بل ينفذ إلى جوهرها ، إن عدم تأثر هذا الفريق يرجع إلى علمه بأن هناك ما هو أعلى قدرًا وأسمى مكانة . . وهو ثواب الله . .

فالمشهد مؤثر في النفس ولكن وجود الإيمان هو العامل المضاد في النفوس المؤمنة ، ولنستمع إلى النص القرآني الكريم الذي قص علينا ذلك :

«فخرج على قومه في زيته ، قال الذين يريدون الحياة الدنيا : ياليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم . . وقال الذين أتوا العلم : ويلكم ثواب الله

(١) تفسير ابن كثير.

خير لم من وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون»^(١).

إن الجمال من الأشياء التي تحب لذاتها لا شيء آخر وراءها، فمنفعة الإنسان من الجمال هي متعة نظره أو سمعه أو شمه أو عقله، وليس هناك شيء آخر. وأي شيء أكثر نفعاً من أن تلبي حاجة من حاجات النفس الفطرية، فرؤية الجمال تلبية حاجة النفس في هذا الجانب. وإن فمنفعة الإنسان من الجمال حاصلة في الجمال ذاته.

ويفرق الإمام الغزالي تفريقاً دقيقاً بين لذة الجمال ذاته ولذة المنفعة الحاصلة من وراءه إن وجدت، وهنا يكون الإنسان أمام لذتين.. فيقول:

«إن كل جمال محبوب عند مدرك الجمال، وذلك لعين الجمال، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة... ولا تظنن أن حب الصور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فإن قضاء الشهوة لذة أخرى قد تحب الصور الجميلة لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضاً للذيد، فيجوز أن يكون محبوباً لذاته، وكيف ينكر ذلك والخصرة والماء الجاري محبوب لالشرب الماء وتوكل الحضرة أو ينال منها حظ سوى نفس الرؤية... حتى إن الإنسان لتنفرج عنه الغموم والهموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر»^(٢)..

وواضح من هذا أن للجمال استقلاله الكامل عن المنفعة، إذ منفعته فيه ذاته، وهذا لا يعني أن الجمال لا وجود له حيث توجد المنفعة، وإنما المقصود أن له اعتباره الخاص، فقد يلتقي معها تارة ويبعد عنها أخرى^(٣)..

مكانة الجمال:

نستطيع التعرف على مكانة الجمال من خلال التعرف على منزلته ضمن

(١) سورة القصص: ٧٩ - ٨٠.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/٢٩٨.

(٣) الظاهرة الجمالية في الإسلام (مرجع سابق)

اهتمامات الناس ، كما نستطيع معرفة ذلك من أوامر الشريعة التي جاءت لحفظ مصالح الخلق ورعايتها ، وتضييف هذه الأوامر وترتيبها بحسب أهميتها ومعرفة موقع ما يتعلق بالجمال منها وقد كفانا علماء الأصول مؤنة البحث حيث قاموا بعمليات استقرائية استطاعوا بعدها أن يضعوا النقاط على الحروف .

وقد قرر هؤلاء العلماء : أن الشريعة جاءت لحفظ مقاصد بها قوام الخلق وتحقيق مصالحهم . وتنقسم هذه المقاصد إلى ثلاثة أقسام مرتبة الأهم فالمهم :
الضروريات .

ال حاجيات .

التحسينات .

ويعُد كل قسم فيها كالمكمل والمتمم لما سبقه^(١) .

ونتساءل بالنسبة «للجمال» أين مكانه؟ وإلى أي قسم يتتمي؟ .

ولنترك الكلام للإمام الغزالي يحدد لنا ذلك ، بأسلوبه البليغ إذ اعتمد على

(١) فضل الإمام الشاطبي (المتوفى ٧٩٠هـ) هذا البحث في كتابه «الموافقات» ج ٢ ص ٣ وما بعدها .
ونلخص الخطوط العريضة بإيجاز :

قال - رحمه الله - : «تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدتها في الخلق ، وهذه المقاصد لا تعدد ثلاثة أقسام ، أحدها : أن تكون ضرورية ، والثاني : أن تكون حاجة ، والثالث : أن تكون تحسينية .

فأما الضرورية : فمعناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا ، بحيث إذا فقدت لم تحرر مصالح الدنيا على استقامة . . وفي الأخرى فوت النجاة .

ومجموع الضروريات خمسة هي : حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل .

وأما الحاجيات فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسيعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الهرج والمشقة . . وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات .

وأما التحسينات فمعناها الأخذ بما يليق من محسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات . . وهي جارية فيها جرت فيه الأوليات من العبادات والعادات والمعاملات . . » .

الأمثلة باعتبارها أكثر بياناً من القواعد. فقال:
«ومثال الضروري من الأعضاء: الرأس والقلب الكبد.
ومثال المحتاج إليه: العين واليد والرجل.
ومثال الزينة: استقواس الحاجبين وحمرة الشفتين وتلون العينين إلى غير ذلك
ما لوفات لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة.
ومثال الضروري من النعم - الخارجة عن بدن الإنسان -: الماء والغذاء.
ومثال الحاجة: الدواء واللحم والفاكه.
ومثال المزايا والزواائد: خضراء الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار ولذائذ
الفاكه والأطعمة التي لاتنخرم بعدها حاجة ولا ضرورة^(١)».

(١) إحياء علوم الدين ٤/٣٠٣.

ماقيل من الشعر والنشر في الجمال وحسن الوجوه

يعتبر الشعر ديوان العرب ، وفخر حياتهم ، ورمز شجونهم وهو الذي ترتاح له القلوب بعد القرآن والحديث الشريف وتجذل به النفوس ، وتُصغي إليه الأسماع ، وتشحن به الأذهان ، وتحفظ به الآثار وتقييد به الأخبار واللسان هو المخبر عن الفؤاد .

وإذا ترك الإنسان القول ماتت خواطره . .

فإليك ، ما ورد عن العرب في هذا الباب :

* قال الفرزدق : [البحر الكامل].

إن المهالبة الكرام تحملوا دفع المكاره عن ذوي المكر و زانوا قدتهم بحسن دريthem وكريم أخلاق بحسن وجوه^(١) .

* وقال عمر بن بي [البحر البسيط].

آنالله عرب لها ولها كادا
بما احتكمت من الدنيا لما حادا
آن المهلب دون الناس أجساداً
ولا ترى للثام الناس حسادا^(٢)

آل المهلب قوم خولوا شرفًا
لو قيل لل Mage جذ عنهم وحلهم
إن المكارم أرواح يكون لها
إن العرانيين تلقاها محسدة

* وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة للأنصار :
نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً ، أوسطهم داراً ، وأكرهم أحساباً ،

(١) انظر ديوان الفرزدق وعيون الأخبار ٣٤٢ / ١ والمهالبة : جمع مهليبي نسبة إلى القائد المهلب بن أبي صفرة وكان من أشجع الناس وهو الذي حمى البصرة من المخواج .

(٢) انظر الأمالي للقالي ص : ٤١ .

أحسنهم وجوهًا، وأمسهم برسول الله ﷺ رحمةً. أسلمنا قبلكم وقدمنا في القرآن
عليكم^(١).

* وقال محز الصبي [من البحر الطويل]:
كأن دنا نيراً على قسماتهم وإن كان قد شفت الوجوه لقاء
وجوه لؤان المعنفين^(٢) سرواً بها صد عن الدجى حتى يرى الليل ينجل

* وقال أبو الطحان القيني: [البحر الطويل]:
فكم فيهم من سيد وابن سيد وفي عقد الخارجين نفارقة
وجوه بني لام^(٣) وينهل بارقه يكاد الغمام الغرير يغد أن رأى
* وقال أيضاً:

إذا مات منهم سيد قام صاحبه
بذا كوكب تأوي إليه كواكبه
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
تسير النايا حيث سار تائب^(٤) له

بدأ قمرٌ في جانب الأفق يلمع

* وقال الحارث بن دوس الأيادي [البحر الرمل]:

ورجالٌ حُسْنٌ أوجُهُهُمْ من إياد بن نزار بن معد

* وقال منصور النمري:
إن المكارم والمعروف أودية
أدلك الله منها حيث تجتمع

فإني من القوم الذين هم هم
كواكبٌ مجد كلما غار كوكبٌ
أضاءت لهم أحسائهم ووجوههم
ومازال منهم حيث كان مسودٌ

* وقال الخريمي [البحر الطويل]:
إذا قمر منها تغور أو خباء

* وقال الحارث بن دوس الأيادي [البحر الرمل]:

ورجالٌ حُسْنٌ أوجُهُهُمْ من إياد بن نزار بن معد

* وقال منصور النمري:
إن المكارم والمعروف أودية
أدلك الله منها حيث تجتمع

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى ٢٠١/٣ - ٢٠٥، والبيان للجاحظ ٣/٢٩٧.

(٢) طالبوا المعروف.

(٣) بنولام: من عمرو بن طريق من طيء.

(٤) انظر: أمالى المرتضى (١٨٦/١) الأغاني (١٣٢/١١) وعيون الأخبار (٤/٢٤) وفي معانى العسكري أنه مدح بيت قالته العرب.

* وقال الأعشى [البحر الخفيف]:
 لَدَهُ فِيهِمْ وَالخَاطِبُ الْمُسْلَاقُ
 وَمَكَيْثُونَ وَالْحُلُومُ وَثَاقُ
 بِالْقَوْمِ وَالثَّيَابُ رَقَاقُ

رُجُحُ الْعُقُولِ مُخَالِفُ الْأَفَادِ
 رَتَكَ النَّعَامَ عُشَيْةَ الصُّدَادِ
 غَبَرَ وَقَلَّ حَلَائِبُ الْأَرْفَادِ
 مِنْ شَحْمٍ مَنْقَيْةٍ وَمِنْ أَكْبَادِ
 وَلَقَدْ يَغِيرُ صَالِحًا بِفَسَادِ

فِيهِمْ الْخَصْبُ وَالسَّهَاجَةُ وَالنَّجَ
 وَأَبَيُونَ لَا يَسَامُونَ ضَيْمًا
 وَتَرَى مَجْلِسًا يَغَضُّ بِهِ الْمَحْرَابُ

* وقال أيضاً: [البحر الكامل]:
 جَلَسُوا مَجْلِسَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ
 وَإِذَا الْلَّقَاحُ تَرَوَحَتْ بِعَشِيهَا
 وَتَرَى الْقَدُورَ كَأَنَّهَا حَبْشَيَةٍ
 حَبَسُوا عَلَى أَضِيافِهِمْ فَشَوَّوْا لَهُمْ
 وَالدَّهَرُ نَمِيرٌ ذَلِكَ يَابْنَةُ مَالِكٍ

* كان يقال: أربعة ترید في البصر:
 النظر إلى الوجه الحسن [المباح] وإلى الخضراء، وإلى الماء الجاري، والنظر في
 المصحف.

* دخل الشعبي سوق الرقيق، فقيل له: هل من حاجة؟ فقال: حاجتي صورة
 حسنة يتنعم فيها طرفي، ويلتذ بها قلبي، وتعيني على عبادة ربِّي.

* أدام إبراهيم النظام النظر إلى جارية حسناء، فقال مولاها:
 أراك تديم النظر إليها، فقال: مالي لا أتأمل منها ما أحلَّ اللهُ، وفيه دليل على
 كلمة صنعة الله، ومعه اشتياق إلى ما وعده الله.

* وقال الحسن البصري: ينبغي للوجه الحسن ألا يشين وجهه بقبيح فعله،
 وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين قال الشاعر:
 إِنَّ حُسْنَ الْوَجْهِ يَحْتَاجُ إِلَى حُسْنٍ فِعَالٍ
 حَاجَةُ الصَّادِيِّ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْعَذْبِ الْزَّلَالِ

* قال عبدالله بن سليمان النحوي الأزدي السجستاني المكفوف:
 كفى عن الله في تحقيقه الخبر
 تقول من للعمى بالحسن قلت لها
 والحسن ما مستحسنته النفس بالبصر
 القلب يُدرك ما لا عين تدركه
 وما العيون التي تعمى إذا نظرت
 * قال عقيل بن علفة: لأن ينظر إلى ابنتي مائة رجل خيرٌ من أن تنظر هي إلى
 بل القلوب التي يعمى بها النظر
 رجل واحد.

* وقال محمود الوراق:
 من أطلق الطرف اجتنب شهوةً
 والطرف للقلب لسانٌ فإن
 يُفهم بالعين عن العين ما في الـ
 يطوي لسان المرأة أخباره
 * وقال النابغة يمدح بعض الملوك:
 بأنك شمسُ الملوك كواكب
 * وقال آخر:
 لاتكترنَ تأملاً
 فلرِّماً أرسلتَه
 * ومن أمثال العرب في الجمال:
 - وهل يخفى القمر؟ .
 * وقال ذو الرُّمة:
 وقد بهرت فما تخفي على أحدٍ
 * ليس الجمال في الثياب^(١).

وأراد نطقاً فليكرر النّظر
 قلب من مكنون خير وشر
 والطرف لا يملك طي الخبر
 إذا طلعت لم يبُدْ منها كُوكُبٌ

وحارسُ الشهوة غض البصر
 فرماك في ميدان حتفك
 وأمليك علیل عنان طرفك

إلى على أحدٍ لا يُعرف القمر

(١) مجمع الأمثال للميداني (٢/٢٥٧).

* وقال الشاعر معدى كرب :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وإن رُدِيت بُرداً
إن الجمال معادن ومناقب أورثن حمداً
* أرين حسناً أركه سميناً.

يقولون : قال رجل لرجل : أرفي حسناً ، فقال : أريكه سميناً ، يعني أن الحُسْنَ
في السَّمْنَ ، وهذا كقولهم : قيل للشحِمَ : أين تذهب؟ قال : أَقْوَمُ الْمَوْعِجَ .
* الرَّقِيقُ جَمَالٌ وَلَيْسَ بِمَيْالٍ .

وهذا كما قالوا : اشتَرَ المُوتَانَ . ولا تشتَرُ الْحَيْوَانَ .

* جَالَكَ . أي أَلْزَمَ مَا يُورِثُكَ الْجَمَالَ ، يعني أَجْمَيلَ وَلَا تَفْعَلْ مَا يُشَيِّنُكَ .

* أَجْمَلُ مِنْ ذِي الْعِمَامَةِ : هَذَا مِثْلُ مِنْ أَمْثَالِ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَذُو الْعِمَامَةِ : سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنُ أُمِيَّةَ ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا لَبِسَ عِمَامَةً لَا يَلِبِسُ فَرْشَيْ عِمَامَةً عَلَى لَوْنَهَا ،
وَإِذَا خَرَجَ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٍ إِلَّا بَرَزَتْ لِلنَّاظِرِ إِلَيْهِ مِنْ جَمَالِهِ .
* أَجْمَلُ مِنَ الْبَدْنِ .

* أَجْمَلُ مِنْ رِعَايَةِ الدَّمَامِ .

* أَحْسَنُ مِنْ بَدْرِ الدَّجَىِ .

* لَنْ تَعْدُمِ الْحَسَنَاءِ ذَاماً .

* مِنْ يَنْكُحُ الْحَسَنَاءِ يُعْطَ مَهْرَهَا .

* الْحُسْنَ أَحْمَرَ . وَالْمَعْنَى إِنَّ الْحُسْنَ فِي الْحَمْرَةِ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : الْأَحْمَرُ الْأَبْيَضُ ،
وَالْعَرَبُ تُسَمَّى الْمَوَالِيُّ مِنْ عِجَمِ الْفَرْسِ وَالرُّومِ «الْحَمْرَ» لِغَلْبَةِ الْبَيَاضِ عَلَى
أَلْوَانِهِمْ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُسَمَّى «الْحَمِيرَاءُ» لِغَلْبَةِ الْبَيَاضِ عَلَى لَوْنَهَا .

* إِنْ مِنَ الْحُسْنِ شِقْوَةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْظُرُ إِلَى حَسْنِهِ ، فَيُخْتَالُ فَيُعَدُّوا
طُورَهُ ، فَيُشَقِّيَهُ ذَلِكُ ، وَيُبَغْضُهُ إِلَى النَّاسِ .
* التَّحْسُنُ خَيْرٌ مِنَ الْحُسْنِ .

- * البياض نصف الحُسْنَ.
- * عليه من الله إِصْبَع حَسْنٌ . أي أثر حسن .
- * أَحْسَنَ من الدر .
- * أَحْسَنَ من الدنيا المُقْبَلَةَ .
- * أَحْسَنَ من الطَّاوُسَ ، ومن سوق العروض ، ومن زمن البرامكة ، ومن الدنيا المُقْبَلَةَ ، ومن الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، ومن الدُّرِّ وَالدِّيكِ .
- * أَحَارَ من حِيَاةِ مُعَادَةٍ ، ومن نَيلِ الْمُنْتَى ، ومن النَّشَبِ ، ومن الْوَلَدِ ، ومن العسل .
- * أَحْسَنَ مِنْ يَبْيَضُهُ فِي رُوْضَةٍ . العرب تستحسن نقاء البيضة في نضارة خُضْرَةِ الرُّوْضَةِ (*) .

(*) انظر في هذه الأمثال: مجمع الأمثال للميداني، كتاب الأمثال للقاسم بن سلام، وكتاب الدرة الفاخرة لحمزة الأصفهاني وكتاب جرة الأمثال للعسكري.

ماقيل من الخاطر العاطر في الجمال:

- * الجمال والفضيلة:
- * الجمال الذي لا فضيلة معه كالزهر الذي لارائحة، فيه.
- * حسن الخلق يستر كثيراً من السيئات. كما أن سوء الخلق يغطي كثيراً من الحسنات.
- * جمال الحياة:
 - من عرف ربـه رأـي كل مـا فيـ الحياة جـميـلاً.
- * ثـلـاث هـنـ من خـلـقـ المؤـمنـ:
 - ـ ١ـ إـلـاغـضـاءـ عنـ الزـلـةـ.
 - ـ ٢ـ وـالـعـفـوـ عـنـ الـمـقـدـرـةـ.
 - ـ ٣ـ نـجـدـةـ الصـدـيقـ معـ ضـيـقـ ذاتـ الـيدـ.
- * من أـوـقـيـ حـسـنـ الـخـلـقـ لـأـعـلـيـ مـاـفـاتـهـ مـنـ الدـنـيـاـ.
- * الـحـسـنـ مـرـحـومـ.
- * جـمالـ الصـورـةـ وـجـمالـ النـفـسـ. لاـيـسـرـنيـ جـمالـ الصـورـةـ كـمـاـيـسـرـنيـ جـمالـ النـفـسـ فـيـ إـلـاـنـسـانـ، لاـيـسـتـهـوـيـنيـ جـمالـ الـلـوـنـ كـمـاـيـسـتـهـوـيـنيـ جـمالـ الـعـبـيرـ فـيـ الـبـنـاتـ وـتـؤـنـسـيـ وـدـاعـةـ الـحـيـوانـ، وـتـعـجـبـيـ قـوـتـهـ.
- * أنـوـاعـ الـجـمالـ:
 - ـ جـمالـ الـرـوـحـ يـهـوـنـ عـلـيـكـ المـصـائبـ، وـجـمالـ النـفـسـ يـسـهـلـ عـلـيـكـ الـمـطـالـبـ.
 - ـ وـجـمالـ الـعـقـلـ يـحـقـقـ لـكـ الـمـكـاـسـبـ، وـجـمالـ الـشـكـلـ يـسـبـبـ لـكـ الـمـتـاعـبـ.
- * مـسـابـقـاتـ مـلـكـاتـ الـجـمالـ:
 - ـ مـنـ أـبـرـزـ مـظـاهـرـ مـكـرـ الـحـضـارـةـ الـغـرـبـيـةـ بـالـمـرـأـةـ اـبـتـدـاعـهـاـ مـسـابـقـاتـ مـلـكـاتـ

الجمال، وملكات الأنفاس، وملكات الإغراء، وملكات لانهاية لمالكون الوهمية.
* هل في ذلك إلا دليل على رغبة الرجل الغربي في الاستمتاع بأنوثة المرأة فقط،
ودليل على أن المرأة عندهم لا تهمها كرامتها بقدر ما يهمها لفت الأنظار إلى جمالها
 وأنوثتها.

* هذه المسابقة مصيبة.

* مسابقات ملكات الجمال مناسبة لاستمتاع رجال التحكيم والمترجين بأجسام
الفتيات المسابقات تحت ستار مشروع في رأي هذه الحضارة الزائفة كما هو مناسبة
لاصطياد الأزواج للفتيات يخشين أن يصبحن كاسدات.

* مسابقات ملكات الجمال رقية الساحر الماكر لاستخراج الفتيات من بيوت
آباءهن إلى حيث يصبحن تحت سلطته وتصرفه.

* ألتقت فتاة جميلة عاقلة، مع فتاة جميلة دخلت مسابقة ملكات الجمال فقالت
هذه لتلك بغرور ساذج: لقد صرت مشهورة تنشر الصحف صوري وتنقل
وكالات الأنباء أخباري.

قالت الأخرى: إن اللوحة الفنية التي لم تلمسها الأيدي أغلى ثمنا وأبلغ لفتاً
للأنظار من التي لمستها الأيدي حتى غيرت روعة لوانها الطبيعية.
* ملكات الجمال ينسين بعد أيام، ولكن العلامات والعيون والمخترعات
والأمهات اللاتي ولدن عظاء التاريخ، سيظل يذكرون التاريخ مابقي إنسان يقرأ
التاريخ.

* جمال الحياة: أن ترضى عنها أنت فيه، ويرضى العقلاء عنها أنت عليه.

* بم يخلو الجمال. لا يخلو الجمال إلا بثلاث:
١ - صيانة عن الابتذال.
٢ - ومرة للأطهار.

٣ - وعفة مع الفجار^(١).

* عن مسلم ابن صبيح الكوفي قال: سمعت أبي يقول: خطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى طريراً جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة فقالت: إنكما خطبتياني ولست أجيبي أحد منكما دون أن أراه وأسمع كلامه، فأحضرنا إن شئتما، فحضرنا فأجلستهما بحيث تراهما وتسمع كلامهما، فلما رأاه المغيرة ونظر إلى جماله وشبابه وهبته يئس منها، وعلم أنها لن تؤثره عليه، فأقبل على الفتى فقال له: لقد أتيت جمالاً وحسناً وبياناً، فهل عندك سوى ذلك؟ قال: نعم. فعدد محاسنه ثم سكت، فقال له المغيرة: كيف حسابك؟ قال مايسقط علىيَ منه شيء وإنني لأشدرك منه أدق من الخردلة. فقال له المغيرة: لكنني أضع البدرة في زاوية البيت فينفقها أهلي على مايريدون فما أعلم بنفادها حتى يسألوني غيرها، فقالت المرأة: والله لهذا الشيخ الذي لا يمحاسني أحب إلىَّ من هذا الذي يخصي علىَّ مثل صغير الخردل، فتزوجت المغيرة.

حقيقة الجمال:

هل للجمال حقيقة قائمة موجودة؟ أم هو مجرد شعور نفسي تجاه شيء ما. وهذا شيء لا يوصف بجمال ولا قبح، وإنما شعورنا هو الذي جعله كذلك. وعلى هذا لا يوجد شيء جميل أو قبيح لذاته.

وما كانت القضية تحتاج كبير اهتمام لولا أن بعضهم ذهب إلى الرأي الثاني. الأمر الذي يفضي إلى عدم استقرار المفاهيم، فما كان في نظرك حسناء ربما كان في نظر غيرك قبيحاً. ذلك أن الشيء أو الفعل - حسب رأيهما - ليس فيه قبح ولا حسن لذاته.

والقرآن الكريم رتب الآثار على رؤية الجمال وجعلها عامة، فقال في وصف البقرة تسر الناظرين^{﴿﴾}. و «الناظرين» تشمل كل ناظر. فلولم يكن الجمال قائماً

(١) انظر كتاب هكذا علمتني الحياة للدكتور/ مصطفى السباعي رحمه الله.

موجوداً فيها لما كان السرور عاماً يتناول كل من رآها.
وفي وصف الجنة: «وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيَ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّلُ الْأَعْيُنِ». جعل اللذة لكل عين ينالها الرؤية. . وهكذا فلهم يكن الجمال مستقراً فيها لكان هي وغيرها سواء ول كانت اللذة لبعض الأعين.

وقد تكلم الإمام الغزالى في هذه القضية، ولم يستوقفه وجود الجمال في المحسوسات فتلك بدهية لا تحتاج إلى برهان ولكنه انصرف إلى تقرير وجود الجمال في غير المحسوسات أيضاً فقال: «فَاعْلَمْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْجَمَالَ مُوْجَدٌ فِي غَيْرِ الْمَحْسُوسَاتِ، إِذْ يُقَالُ: هَذَا خَلْقٌ حَسَنٌ، وَهَذَا عِلْمٌ حَسَنٌ، وَهَذِهِ سِيرَةٌ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ أَخْلَاقٌ جَمِيلَةٌ. . .»^(١).

ولنستمع إلى ابن القيم يدلي برأيه في هذه القضية: قال رحمه الله:
«وَهَذَا فَصْلٌ فِي ذِكْرِ حَقِيقَةِ الْحَسَنِ وَالْجَمَالِ مَا هِيَ؟ وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا
بِالْوَصْفِ. . . وَقَوْلٌ: الْحَسَنُ مَعْنَى لَا تَنْالُهُ الْعِبَارَةُ وَلَا يُحِيطُ بِهِ الْوَصْفُ»^(٢).
إنه يقرر وجود الحسن، وهذا أمر لا شك فيه، ولكنه يلفت النظر إلى وسيلة إدراكه. . وهذا الإدراك قد يكون الوصف وسيلة له، وقد يدق بعض الأحيان فيستعصي على العبارة. . ولكن موجود.

وقد اهتم علماء المسلمين في وقت مبكر بهذه المسألة، والتي عرفت في علم أصول الفقه باسم «مسألة التحسين والتقييح»، ونحن هنا لسنا أمام أراء فردية وإنما أمام آراء مدرسية. ويحسن بنا أن نلخص هذه المسألة بقول موجز^(٣).
والمسألة هنا تتعلق بالأفعال فقط، ولا تتناول الأشياء، ولكنها مع ذلك تناقض أصل المسألة وهي قضية الحسن الذاتي والقبح الذاتي.

(١) إحياء علوم الدين ٤/٢٩٩.

(٢) روضة المحبيين: ص ٢٣٢.

(٣) نلخص هذا الموضوع من كتاب: «مدارج السالكين» لابن القيم رحمه الله. ١/٢٣٠ وما بعدها، وشفاء العليل ص: ٣٩١ - ٤٣٤.

ومحور المسألة هو:

هل الأفعال منقسمة في الأصل إلى: حسن وقبيح . أي أن الحسن والقبح ذاتي فيها؟ أم أنها غير منقسمة إلى حسن وقبيح ، وأن الحسن والقبح جاءها من الأمر والنهي الوارد بالشرع ، وفي الأصل هي سواء؟
ونستطيع أن نقول: هناك ثلاثة مذاهب.

* ذهب «القدرية» إلى أن الأفعال كلها سواء ، ولا أثر للعقل في التحسين والتقبیح ومرجع ذلك إلى الشرع.

قال ابن القيم: «وقد بَيَّنَا بطلان هذا المذهب من ستين وجهًا . . فإن هذا المتذهب ، بعد تصوره وتصور لوازمه ، يحزم العقل ببطلانه . وقد دل القرآن على فساده في غير موضع . والفطرة وصریح العقل» .
ونقططف فقرة من كلامه في مناقشة هذا الرأي :

* «إن الله سبحانه فطر عباده على استحسان الصدق والعدل ، والعلفة والإحسان ، ومقابلة النعم بالشكر ، وفطّرهم على استقباح أضدادها ، ونسبة هذا إلى فطّرهم وعقولهم كنسبة الحلو والحامض إلى أذواقهم ، وكنسبة رائحة المسك ورائحة التن إلى مشامهم ونسبة الصوت اللذيد وضده إلى أسماعهم ، وكذلك كل ما يدركونه بمشاعرهم الظاهرة والباطنة ، فيفرقون بين طيبة وخبثه ، ونافعه وضاره» .

* وذهب المعتزلة إلى أن قبح الأفعال والعقاب عليها ثابتان بالعقل .
وقد بين ابن القيم غلط المعتزلة في قوله بتلازم الأمرين أي القبح والعقاب وبرهن على غلطهم بأدلة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: «وَمَا كُنَا مَعْذِلِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا»⁽¹⁾ .

(1) سورة الإسراء: ١٥ .

* وذهب الكثير من الفقهاء من الطوائف الأربع^(١) إلى القول بأن حسن الأفعال وقبحها ثابت بالعقل، والثواب والعقاب متوقف على ورود الشرع. ويؤيد ابن القيم هذا القول ويبين حججه وأدله... .

ونخلص من هذا كله إلى أن الغالبية العظمى من أهل السنة وكذلك المعتزلة متافقون على أن الحسن والقبح يثبتان بالعقل. وهذا يعني أن الحسن حقيقة قائمة في ذات الشيء، ولهذا استطاع العقل الاهتداء إليها.

وإذن فالجمال له حقيقة، وهذه الحقيقة تظهر من خلال «موجود» تكون صفة له، قد يكون هذا الموجود شيئاً وقد يكون فعلاً. وعلى هذا لن يختلف المشاهدون على وجود الجمال في أمر جميل، وإن كانوا قد يختلفون تبعاً لشعورهم على درجة ذلك الجمال. فيكون استشعاره وقوته تأثيره لدى إنسان أكبر منها لدى إنسان آخر. قال الإمام ابن حزم: «إن الشيء يتضاعف حسنه في عين مستحسن»^(٢). فأكيد بذلك أن الشعور يرفع درجة الحسن ولكنه لا يوجده إذا كان معدوماً.

وإذا كان الجمال حقيقة، فما هي وسيلة إدراك هذه الحقيقة؟ وكيف يمكننا التعرف عليها:

ونكتفي في إيضاح هذا الجانب بنقل رأي الإمام الغزالي حيث قال:
«والصورة ظاهرة وباطنة، والحسن والجمال يشملها.
وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر.
والصور الباطنة بال بصيرة الباطنة»^(٣).

ويعطينا أمثلة لمدركات الحواس فيقول: «فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة... ، ولذة الأذن في الغفات الطيبة

(١) هم أتباع المذاهب الفقهية: المالكية، والشافعية، والحنفية والحنابلة.

(٢) نوادر الإمام ابن حزم. خرجه أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري. السفر الأول. ص ١٤٢.

(٣) إحياء علوم الدين ٤/٣٠٠.

الموزونة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، ولذة الذوق في الطعوم ولذة اللمس في اللين والنعومة»^(١).

«وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار»^(٢). وهكذا يبين أن إدراك المحسوسات بالحواس، وإدراك المعاني بالعقل.

(١) المصدر نفسه ٢٩٦/٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٩٧/٤.

الجمال والقيم

الحق والخير والجمال، . . . إنها حقائق في هذا الوجود. وإنها قيم. وهذا لا يعني أنها في لقاء دائم وأن بعضها لا يفارق بعضها الآخر. وإنها يعني بيان مستوى أهميتها في هذه الحياة.

فالجمال له شخصيته المستقلة في التصور الإسلامي. وهذا لا ينفي لقاءه مع الحق والخير، ولكنه أيضاً لا ينفي وجوده في مجالات لاحق فيها ولا خير. وبناء على خاصية الشمول - التي سيأتي الحديث عنها - فإن الحق والخير هما من الم Yadidin التي للجمال فيها كلمة ورأي.

فالخير حير، ولكنه إذا زين بالجمال كان أقرب إلى الكمال. والحق حق ولكنه إذا زين بالجمال كان أدق في تحقيق العدل. فالأمر بالمعروف حير، ولكنه إذا كان بأسلوب مهذب، بعيداً عن الفاظطة والغلطة، أي كان بالمعروف، . . . كان أقرب إلى تحقيق الجدوى.. لأنه في هذه الحالة أجمل.

والصدقة على الفقير تحتاج حير ولكنها إذا كانت على طريقة علي زين العابدين^(١) رحمة الله كانت خيراً وجمالاً.

وقد يوجد الجمال حيث لا يوجد الخير وقد أشار القرآن الكريم إلى مثال على ذلك بقوله: «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم»^(٢)، فقد وجد الجمال هنا لدى المشركة ولكنه لم يوجد الخير. وهكذا . . . فللمجال كيانه المستقل وصداقاته الحميمة . . .

(١) يروي عنه أنه كان يكرم السائل ويقول له: أهلاً بمن يحمل زادنا إلى الآخرة.

(٢) سورة البقرة: ٢٢١ .

مِيَادِينِ جَمَالِيَّةٍ أَتَى بِهَا الْاسْلَامُ

ما سبق يتبيّن لنا أنّ الظاهرَةَ الجَمَالِيَّةَ قَائِمةٌ في كِيَانِ التَّصوُّرِ الإِسْلَامِيِّ ، ولَذَا فَهِيَ عَامَةٌ شَامِلَةٌ . وَلَا أَدَلَّ عَلَى عُمُومِهَا مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَدْخَلَ الْجَمَالَ إِلَى مَجَالَاتٍ لَا عَهْدٌ لِلنَّاسِ بِرَوْيَتِهِ فِي مِيَادِينِهَا ، وَذَلِكَ إِمَّا لِعَدَمِ التَّوَافُقِ بَيْنِهِ وَبَيْنِهَا - فَيَا يَدُو لَأُولَئِكَ وَهَلَةً - أَوْ لِاِخْتِلَافِ فِي طَبِيعَةِ كُلِّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ ، فَيَا يَخِيلَ لِلْمَتَّأْمِلِ .

وَحَسْنُ بَنَا أَنْ نَمْعِنَ النَّظَرَ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ :

(١) مِيَادِينِ الْحُبُّ :

فَقَدْ جَاءَ مُوصَوْفًا بِالْجَمَالِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، مِنْهَا ثَنَانٌ فِي سُورَةِ يُوسُفَ ، وَرَدَتَا فِي سِيَاقِ النَّصِينِ التَّالِيَيْنِ :

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَالِكٌ لَا تَأْمَنُنَا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ . أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَا لَهُ لَحَافِظُونَ . قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَّبُوا بِهِ ، وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ . قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عَصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ . فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَةِ الْجَبَّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لِتَبَثِّنُهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَجَأْوَا أَبَاهُمْ عَشَاءَ يَكُونُ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عَنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَأْوَا عَلَى قَمِصِهِ بَدْمَ كَذْبٍ قَالَ بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى عَلَى مَا تَصْفُونَ﴾^(١) .

﴿... يَا أَبَانَا إِنْ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهَدْنَا إِلَيْهَا عَلِمْنَا وَمَا كَنَا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ . وَاسْأَلِ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . قَالَ بَلْ سَوْلَتْ

(١) سُورَةُ يُوسُفَ: ١١ - ١٨ .

لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم^(١).

في النص الأول نجد الأب العطوف يفقد ابنه، الحبيب إلى قلبه، العزيز على نفسه، يفقده في حالة متعمدة، للغدر والخيانة دور كبير فيها، وهو غير قادر على أي تصرفٍ أو قيامٍ بعمل. فالامر مدبٌّ محبوك الأطراف.. فلرجأ إلى الصبر. والصبر عمل نفسي محض^(٢)، لا يشارك فيه أحد أحداً، إنه تماسك يقوم داخل النفس حتى لا تهار أمام المصيبة أو الكارثة، إنه انتقال من حال الجزع والضعف والخور إلى تماسك وتجدد، ومن حزن يفقد الإنسان صوابه إلى حزن مع الرضى بقضاء الله تعالى.

وهكذا كان الصبر في هذه الحال هو وسيلة التجميل، إذ به يكون الموقف الأحسن والأجدى.

وفي النص الثاني، نشاهد يعقوب عليه السلام، وقد فقد ولده الثاني، إنه في حال لا تقل كآبة عن الحال الأولى. إنه يشعر وكأن المراحلة الثانية من القصة متممة للأولى.. ولكن الثانية أعادت ذكريات الأولى. فاشتد الأمر وعادت الجروح تنزف من جديد.. ثم لا يجد ملذاً غير الصبر، فهو الموقف «الجميل» من بين جميع المواقف المحتملة في هذا الموضع، إذ المهلع والذعر لن يرداً غائباً أو يسترجعاً مفقوداً، ولكنها يضعفان القدرة على التحمل والثبات في مواجهة الصعاب.

ويستكمل الصبر جماله - في الموقفين - بعدم اليأس من رحمة الله تعالى وهو ماعبر عنه يعقوب بقوله: «عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً».

إن الجمال يدخل ميداناً جديداً. ولكنه في وضع يتناسب فيه مع الموقف،

(١) سورة يوسف: ٨١ - ٨٣.

(٢) هذا لا ينفي أن يكون له أثر مادي.

والانسجام والتواافق من سمات الجمال. «فالجمال البائس» جميل في مواطن الأسى والحزن، و«الجمال الضاحك» جميل في مواطن الفرح والسرور. ولو وضع الواحد منها مكان الآخر لما كان جمالاً بل سماحة وقبحاً.

وللصبر مجالات كثيرة متعددة، ولذا يضع القرآن الكريم أمامنا موقفاً آخر^(١) من مواقف الصبر الجميل، التي يكون فيها أكثر فاعليةً وأبعد أثراً.

إنه الصبر في مجال الدعوة إلى الله، حيث الحاجة إلى الكثير الكثير من التحمل والجلد والثبات والاستمرار، الحاجة إلى الحلم وسعة الصدر كما هي الحاجة إلى تحمل الإيذاء مادةً ومعنىً . وفي هذا الصدد ورد قوله تعالى خطاباً لرسوله ﷺ: «فاصبر صبراً جيلاً»^(٢).

إن الصبر في الحالة الأولى - في قصة يعقوب - عمل سلبي يرتب الصداع الذي حصل ولكنه هنا دفعه من القوة النفسية تجعل للإنسان قدرة أكبر على مواصلة السير ومتابعة الطريق إنه عمل نفسي أيضاً ولكنه إيجابي^(٣) وكونه جيلاً يساعد على أن تكون النفس في وضع صحيح.

ونحن إذا نظرنا إلى الحياة، نظرة عملية، وجدنا أن المشاق تشغل مساحة غير صغيرة منها، وللتغلب على هذه المشاق وتحملها تحتاج إلى الصبر، وإن وفقاً

(١) وهو ثالث المواطن التي وصف فيها الصبر بالجمال في القرآن الكريم.

(٢) سورة العنكبوت: ٥.

(٣) قال الإمام الغزالي في أنواع الصبر:
«اعلم أن الصبر ضربان:

أحدهما: ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها. وهو إما بالفعل كتعاطي الأعمال الشاقة. وإما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجرحات المائلة. وذلك قد يكون محموداً إذا وافق الشرع.

ولكن المحمود التام، هو الضرب الآخر. وهو الصبر النفسي . . . أ. هـ.
إحياء علوم الدين ٤/٦٦-٦٧ ط دار المعرفة بيروت.

لعموم الظاهرة الجمالية، فإن ترك هذا الميدان يعني ترك مساحة كبيرة دون تغطية، والإسلام يحمل الخير والجمال لهذا الإنسان في كل حالاته، ولذا لم يترك هذا الجانب دون أن يزيشه بجماله.. فكان الصبر الجميل.

٢ - ميدان الدعوة إلى الله :

قال تعالى: **«ومن أحسن قولًا من دعا إلى الله وعمل صالحاً»**. ومعنى الآية: أنه لا أحد أحسن قولًا من دعا إلى الله.

إنه تجلّد وأمل، إنه اطمئنان نفسي. وصبر على أذى الناس.

فالدعاة إلى الله هي طريق الأنبياء والصالحين. وقد قال النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام البخاري بصحيحة لعلي بن أبي طالب: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم.

٣ - ميدان هجو العاصي..

فقد هجر النبي ﷺ الثلاثة الذين خلّفوا عن معركة تبوك.

٤ - ميدان التوكل على الله..

ميدان التوكل على الله.. وهو ميدان يفسح النفس ويقرب الأمل والرجاء: **«ومن يتوكل على الله فهو حسبي»**.

٥ - ميدان الصبر على القضا..

فمن لم يرض بالقضاء لم يهنا له عيش.

٦ - ميدان الرحمة:

وهو ميدان يدخل في النفس الإنسانية الراحة والتواضع والاهتمام بالآخرين وقد قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: **«... بالمؤمنين رؤوف رحيم»**. سورة التوبة.

وقال ﷺ: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». حديث صحيح رواه أصحاب الصحاح.

٧ - **ميدان العدل:**

الذي هو أساس الحب والسلام في الأرض كما قال تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتفوي﴾.

٨ - **ميدان الاعتصام بالكتاب والسنة والابتعاد عن سفاسف الأموء.. وغيرها من الميادين الإسلامية..**

ولا أريد أن أطيل في هذه المقدمة كثيراً. والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة موجزة لابن تيمية

(١) أسمه:

هو شيخ الإسلام أبو العباس: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر، بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرانى ثم الدمشقى . و蒂مية هي والدة جده الأعلى (محمد). وكانت واعظة راوية.

(٢) مولده ووفاته:

ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول، بحران سنة ٦٦١ هـ ولما بلغ من العمر سبع سنوات انتقل مع والده إلى دمشق، هريراً من وجه الغزاة التتار، وتوفي ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة سنة (٧٢٨) وعمره (٦٧) سنة وهو مسجون بسجن القلعة بدمشق وحضر جنازته جمهور كبير جداً يفوق العدد رحمه الله.

(٣) نشأته:

نشأ في بيت علم وفقه ودين، فأبوه وأجداده، وإنخوانه وكثير من أعمامه كانوا من العلماء المشاهير، منهم جده الأعلى (الرابع) محمد بن الخضر، ومنهم عبد الحليم بن محمد بن تيمية، وعبد الغني بن محمد بن تيمية، وجده الأدنى عبد السلام بن عبد الله بن تيمية مجد الدين أبو البركات صاحب التصانيف التي منها: المتنقى من أحاديث الأحكام وقد قام الشوكاني بشرحه في كتابه «نيل الأوطار»، والمجرد في الفقه، والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك شرح متنقى الأخبار، والمجرد في الفقه، والمسودة في الأصول وغيرها، وكذلك أبوه وأخوه عبد الرحمن وغيرهم. ففي هذه البيئة العلمية الصالحة كانت نشأة صاحب الترجمة وقد بدأ بطلب العلم أولاً على والده وعلماء بلاده، فحفظ القرآن وهو صغير، ودرس الحديث والفقه والأصول والتفسير، وعرف بالذكاء وقوه الحفظ

والنجابة منذ صغره، ثم توسع في دراسة العلوم وتبصر فيها، واجتمعت فيه صفات المجتهد واعترف له بذلك الداني والقاصي والقريب والبعيد وعلماء عصره.

(٤) خصاله:

تميز شيخ الإسلام ابن تيمية بالإضافة إلى العلم والفقه في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بخصال حميدة، فكان سخياً كريماً، كثير العبارة والذكر وقراءة القرآن، وكان ورعاً زاهداً متواضعاً، ومع ذلك فقد كانت له هيبة عند السلطان وقصته مع سلطان التتار معروفة، كما عُرف رحمة الله بالصبر وقوه الاحتمال في سبيل الله.

(٥) جهاده:

جاهد شيخ الإسلام فارس العقول والمنقول في الله حق جهاده، فقد جاهد بالسيف وحرّض المسلمين على القتال بالقول والعمل، فقد كان يصول ويحول بسيفه في ساحات الوعى مع أعظم الفرسان والشجعان، والذين شاهدوه في القتال أثناء فتح عكا عجبوا من شجاعته وفتكه بالأعداء.

وقد قام بالدفاع عن دمشق عندما غزاها التتار، وحاربهم عند شقحب - جنوب دمشق - وكتب الله هزيمة التتار، وبهذه المعركة سلمت بلاد الشام وفلسطين ومصر والخجاز.

وطلب من الحكام متابعة الجهاد لإبادة أعداء الأمة الذين كانوا عوناً للغزاة، فأجج ذلك عليه حقد الحكام وحسد العلماء والأقران، ودس المنافقين والفسجار، فناله الأذى والسجن والنفي والتعذيب، فما لأن ولاخضع. وكانت كلمته المشهورة:

ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جندي وبرستاني في صدرى أني رحت، فهبي معي لاتفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإنحرافي من بلدي سياحة، وكان

يقول في سجنه : المحبوس من حُبس قلبه عن ربه ، والمسور من أسره هواء .
أما جهاده بالقلم واللسان فإنه رحمه الله وقف أمام أعداء الإسلام من أصحاب
الملل والنحل والفرق والمذاهب الباطلة والبدع كالطود الشامخ ، فقد تصدى
للفلاسفة ، والباطنية ، من صوفية ، وإسماعيلية ونصرية وروافض ، كما تصدى
للملاحدة والجهمية والمعتزلة والأشاعرة ، ولازال بحمد الله ردود الشيخ سلامًا
فعالاً ضد أعداء هذا الدين العظيم على مر الدوام وذلك لأنها إنما تستند على
كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدي السلف الصالح ، مع قوة الاستنبط ، وقوة
الاستدلال والاحتجاج الشرعي والعقلي ، وسعة العلم ، التي وهبها الله له ،
ولازال ردود الشيخ وكتبه هي أقوى سلاح بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ
للتصدي لهذه الفرق الضالة والمذاهب المدamaة التي راجت اليوم وهي امتداد
للهاضي ، وغيرت أسماءها فقط مثل البعثية ، والاشراكية ، والقومية والبهائية
والقاديانية وغيرها من الفرق .

(٦) عصره :

لقد عاش المؤلف شيخ الإسلام في عصر كثُرت فيه البدع والضلالات ،
وسادت كثير من المذاهب الباطلة ، وانتشر الجهل والتغريب والتقليد الأعمى ،
وبدأ التيار في غزو العالم الإسلامي وأيضاً فقد شنَّ الصليبيون حملاتهم الواسعة
ضد المسلمين ، وانتشرت في عهد الشيخ الفلسفة والإلحاد والجدل وهيمنة
التصوف . وقد وقف الشيخ إزاء هذه الخزعبلات موقفاً مشهوداً ونصر الله به السنة
وأهلها والله الحمد والمنة .

(٧) مؤلفاته وإنتاجه العلمي :

يعتبر شيخ الإسلام من العلماء الأفذاذ الذين تركوا تراثاً ضخماً ثميناً ، لا يزال
العلماء والباحثون ينهلون منه وقد ألف ابن قيم الجوزية كتب ورسائل شيخه ابن
تيمية التي قام بتأليفها وهي مطبوعة .

وقد زادت مؤلفاته على ثلاثمائة مؤلف في مختلف العلوم، ومنها ما هو في المجلدات المتعددة؛ وسأذكر بعضًا من مؤلفاته منها:

- ١ - بيان موافقة صريح المعمول لصحيح المنقول.
- ٢ - إثبات المعاد.
- ٣ - ثبوت النبوات عقلاً ونقلأً.
- ٤ - الرد على الخلولية والاتحادية.
- ٥ - الاستقامة في مجلدين.
- ٦ - مجموع فتاوى ابن تيمية وتقع في (٣٧) مجلداً وجمعها عبد الرحمن بن قاسم.
- ٧ - إصلاح الراعي والرعية.
- ٨ - منهاج السنة.
- ٩ - الاحتجاج بالقدر.
- ١٠ - الإيمان.
- ١١ - حقيقة الصيام.
- ١٢ - الرسالة التدميرية.
- ١٣ - الرسالة الحموية.
- ١٤ - شرح حديث النزول.
- ١٥ - العبودية.
- ١٦ - المظالم المشتركة.
- ١٧ - الواسطة بين الحق والخلق.
- ١٨ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.
- ١٩ - الكلم الطيب.
- ٢٠ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام.
- ٢١ - حجاب المرأة ولباسها في الصلاة.

٢٢ - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة .

٢٣ - الرسالة العرشية .

٢٤ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . وغير ذلك كثير جدًا وقد أفردت ترجمته في كتب متعددة منها العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ل תלמידه ابن عبدالهادي ، وأيضاً الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ، ومنها الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية للبزار وحياة ابن تيمية للبيطار وابن تيمية للاستنبولي وغيرها ، فرحم الله شيخ الإسلام وجعلنا به في دار كرامته ورضوانه مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً أمين .

غير ما تقدم :

١ - البداية والنهاية لابن كثير ج ١٤ / ١٣٥ - ١٣٩ .

٢ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج ٢ / ص ٨٠ - ٨٦ .

٣ - فوات الوفيات ل محمد بن شاكر الكتبني (ج ١ / ٧٤ - ٨٠) .

٤ - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة : لأبي الفرج عبد الرحمن البغدادي ص (٤٠٨ - ٣٨٧)

٥ - الأعلام لخير الدين الزركلي ج ١ / ١٤٤ .

ترجمة موجزة لابن قيم الجوزية

هو الإمام الحق الحافظ الأصولي الفقيه النحوي صاحب الذهن الواقاد والقلم السيال، والتأليف الكثيرة الماتعة، شمس الدين أبوعبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد بن حريز الزرعبي الدمشقي المشهور بـ: ابن قيم الجوزية، نسبة إلى المدرسة التي أنشأها محي الدين أبوالمحاسن يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي^(١) المتوفى سنة ٦٥٦هـ لأن أباه كان قيماً عليها. ولد في بيت علم وفضل في السابع من صفر سنة إحدى وتسعين وستمائة في قرية زرع من قرى حوران تبعد عن مدينة دمشق خمسة وخمسين ميلاً جنوب شرقها، وقد تحول إلى دمشق، وتللمذ لطائفة من علمائها، فأخذ عن أبيه علم

(*) مصادر ترجمته: «ذيل طبقات الحنابلة» ٤٤٧/٢، ٤٥٢ لابن رجب الحنفي، «البداية والنهاية» ٢٣٤/١٤، ٢٣٥ لابن كثير الدمشقي، «الدرر الكامنة» ٤/٢١، ٢٣ لابن حجر العسقلاني «الوافي بالوفيات» ٢/٢٧٠، ٢٧٢ للصفدي، «شذرات الذهب» ٦/١٦٨، ١٧٠ لابن العهاد، «الرد الوافر» صفحة ٦٨، ٦٩ لابن ناصر الدمشقي، «بغية الوعاة» ١/٦٢، ٦٣ للسيوطى، «النجم الزاهرة» ١٠، ٢٤٩ لابن تغري بردي، «البدر الطالع» ٢/١٤٣ - ١٤٦ للشوكانى، «جلاء العينين في حاكمة الأحداث» ص ٣٠، ٣٢.

(١) فرغ من بنائها سنة (٦٥٢هـ)، ومن درس بها من العلماء: ابن المنجا، والجمال المرداوى، وابن قاضى الجيل، والبرهان بن مفلح وغيرهم، وأمّا ابن القيم، ووصفها الحافظ ابن كثير بأنها من أحسن المدارس، وقد احترقت سنة (٨٢٠هـ) على ما ذكره ابن قاضى شهبة، ثم أعاد عمارةها شمس الدين النابلسى، كانت في أول سوق البزورية بدمشق المسمى قديماً سوق القمح، وقد احتلست جيرانها معظمها، وبقي منها بقية صارت محكمة إلى سنة (١٣٢٧هـ)، ثم أغلقت مدة إلى أن افتتحتها جمعية الإسعاف الخيري، وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال، وقد احترقت أول الثورة السورية، ولم تزل كذلك حتى أعمرت حوانيت، وجعل فوقها مسجد صغير تقام فيه بعض الصلوات إلى يومنا هذا.

الفرائض، فإنه كان مبزاً فيه، وقد وصفه الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة» ٧٢٤ بالبعد وقلة التكلف.

وسمع الحديث من الشهاب النابليسي، والقاضي تقي الدين بن سليمان، وأبي بكر بن عبد الدائم، وعيسى المطعم، وإسماعيل بن مكتوم، وفاطمة بنت جوهر، وغيرهم.

وأخذ العربية عن ابن أبي الفتح الباعلي، فقرأ عليه «الملخص» لأبي البقاء، ثمقرأ «الجرجانية» ثم ألفية ابن مالك، وأكثر «الكافية الشافية» وبعض «التسهيل» وقرأ على الشيخ مجد الدين التونسي قطعة من المقرب لابن عصفور.

وتلقى الأصول والفقه على الشيخ صفي الدين الهندي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ إسماعيل بن محمد الحراني، فقرأ عليهم «الروضة» لابن قدامة المقدسي، و«الإحکام» للأمدي، و«المحصل» و«المحصل» و«الأربعين» للرازي، و«المحرر» لابن تيمية الجد.

وقد لازم شيخ الإسلام ابن تيمية ملازمة تامة منذ عودته من مصر سنة (٧١٢هـ) إلى وفاته سنة (٧٢٨هـ) ست عشرة سنة وهو إذ ذاك في ريعان شبابه، وذروة قوته، واكتمال مدركه، فنهل من فيض علمه الواسع، واستمع إلى آرائه الناضجة السديدة، وغلب عليه حبه، حتى كان يأخذ بأكثر اجتهاداته، وينتصر لها، ويتوسّع في التدليل على صحتها، وضعف ما يخالفها، وهو الذي هذب كتبه، ونشر علمه.

وأهم ما استفاده منه: دعوته إلى الأخذ بكتاب الله تعالى الكريم، وسنة رسوله الصحيحة، والاعتصام بها، وفهمها على النحو الذي فهمه السلف الصالح، وطرح ما يخالفها، وتجديد ما درس من معلم الدين الصحيح، وتنقيته مما ابتدعه المسلمون من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السالفة، قرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى، وتحذير المسلمين مما تسرب إلى الفكر

الإسلامي من خرافات التصوف، ومنطق يونان، وزهد الهند.

ويستطيع القارئ أن يتبعن مدى تأثير شيخه عليه من مؤلفاته الكثيرة المتنوعة التي تلح بقوة وإصرار على إعطاء كتاب الله تعالى حقه من العناية به، والعكوف على دراسته، وتدبر آياته ومعانيه، وبيان قيمة السنة الصحيحة، والتنويه بها، والكشف عنها تنطوي عليه، من بيان للقرآن، وتفصيل لمجمله، وتوضيح معانيه، وتوكيد لحقائقه، وتبصير بمعالم الطريق السوي الذي يأخذ بآيديهم إلى العلم الصحيح الخالص من شوائب الجمود والتقليل. وهو يُعد بحق في زمرة أولئك المفكرين المصلحين الذين استنارت بأفكارهم المبثوثة في تفاريق مؤلفاتهم عقول معاصرتهم ومن أتى بعدهم إلى يومنا هذا، وتنورت قلوبهم، وانجلت ما لصق بمرآتها من صدأ الشك والجمود، وانحل ما انعقد في أذهانهم من شبه الزيف والارتياح. وترجمة هذا الإمام باستيفاء تخرج في مجلد كبير، وقد ترجم كذلك: فمن ترجم له الأستاذ محمد بن مسلم الغنيمي باسم كتابه: ابن قيم الجوزية، وترجم له بكر بن عبد الله أبو زيد في كتابه: ابن القيم في حياته وأثاره وغرهما. ومن آرائه فيما يتعلق ببحثنا:

يرى أن الحسن والقبح في الأفعال عقليان يدركهما العقل، والله فطر عباده على استحسان الصدق والعدل والعلفة والإحسان، ومقابلة النعم بالشكر، وفطرهم على استقبح أخدادها، وأن الثواب والعقاب شرعيان يتوقفان على أمر الشارع ونفيه، ولا يحيانا عن طريق العقل، فهو يقول: والحق الذي لا يجد التناقض إليه السبيل أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، كما أنها نافعة وضارة، ولكن لا يترتّب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون العمل القبيح موجباً للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثان، والكذب والزنى، والظلم والفواحش كلها قبيحة في ذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع.

تلامذته

وقد تلقى عن المؤلف - رحمه الله - كثير من العلماء المشهود لهم بالفضل في حياة شيخه وإلى أن مات وانتفعوا به أياً انتفاع.

١ - فمنهم الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنفي العالم الزاهد العمدة الثقة، صاحب المؤلفات المفيدة في الحديث والفقه والتاريخ، وقد لازم مجلس المؤلف إلى أن مات - توفي رحمه الله - سنة (٧٩٥هـ).

٢ - ومنهم الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصريي الدمشقي، نشأ بدمشق، وسمع من أفضال علمائها، وعني بالحديث مطالعة في متونه ورجاله، وله تأليف كثيرة، أعظمها تفسيره المعروف، و«البداية والنهاية»، وصفه الذهبي في معجمه المختص بالإمام المفتى المحدث البارع الفقيه المتفنن المتقن المفسر، مات - رحمه الله - سنة (٧٧٤هـ).

٣ - ومنهم الشيخ الإمام الحافظ عمدة المحدثين شمس الدين أبوعبد الله محمد ابن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الصالحي، عني بالحديث وأنواعه، ومعرفة رجاله وعلمه، وتفقهه وأفتي ودرس، وجمع، وألف، وكتب الكثير وصنف، وتصدى للإفادة والاشغال في فنون من العلوم، قال الذهبي عنه، والله ما اجتمع به قط إلا واستفدت منه، توفي - رحمه الله - سنة (٧٤٤هـ).

٤ - ومنهم شمس الدين أبوعبد الله محمد بن عبد القادر بن محى الدين عثمان ابن عبد الرحمن النابلسي الحنفي، ولد بنابلس، وسمع بها من عبدالله بن محمد ابن يوسف، وسمع على الحافظ العلائي، والشيخ إبراهيم، وغيرهم من لا

يخصى كثرة. ورحل إلى دمشق، وصاحب ابن القيم، وتفقه به، وقرأ عليه أكثر تصانيفه، وكان يقال له: الجنة لكثرة ما عنده من العلوم، توفي - رحمه الله - سنة (٧٩٧هـ).

٥ - ومنهم ولده إبراهيم، ذكره الذهبي في معجميه المختص: تفقه بأبيه، وشارك بالعربية، وسمع وقرأ، واستغل بالعلم، قال ابن كثير: كان فاضلاً في النحو والفقه على طريقة أبيه... وكانت وفاته - رحمه الله - سنة (٧٦٧هـ).

٦ - ومنهم ولده شرف الدين عبدالله، ذكر الدرس بالصدرية^(١) عوضاً عن أبيه رحمه الله، فأجاد وأجاد، وسرد طرفاً صالحاً في فضل العلم وأهله.

(١) هي من مدارس الخنبلة أنشأها أسعد بن عثيأن بن أسعد بن المنجا التنوخي ثم الدمشقي، كانت بدرب يقال له: درب الريحان، كان محلها داراً للوقف، فجعلها مدرسة، وقد درس بها: ابن عبد الهادي، وابن القيم، وابنه إبراهيم، وغيرهم، وقد حيت آثارها، وصارت دوراً، ولا ذكر لها اليوم.

أقوال العلماء فيه

لقد وصفه كل من ترجم له بجملة أوصاف تنبئ عن عظيم فضله، وعلو مرتبيه، واتساع دائريه.

قال الحافظ ابن رجب: كان عارفاً بالتفسير لا يُجاري فيه، وبأصول الدين، وإليه فيها المتنهى، وبال الحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيها اليد الطولى، ويعلم الكلام، وبكلام أهل التصوف وإشاراتهم ودقائقهم.

وكان - رحمه الله - ذا عبادة وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله، ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة والإنابة، والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته، لم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علمًا، ولا أعرف بمعانى القرآن والسنة، وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله.

وقال الحافظ الذهبي: عني بال الحديث ومتونه وبعض رجاله، وكان يشتغل في الفقه، ويجيد تقريره، وبالنحو ويدريه، وفي الأصولين، وتتصدر للاشتغال، ونشر العلم.

وقال الحافظ ابن كثير: برع في علوم متعددة، لاسيما علم التفسير، وال الحديث، والأصولين، ولما عاد ابن تيمية من مصر سنة (٧١٢هـ) لازمه إلى أن مات، فأخذ عنه علمًا جمًا، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهاج، وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يحقد على أحد، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه.

وقال ابن ناصر الدمشقي : وكان ذا فنون من العلوم، وخاصة التفسير والأصول من المنطق والمفهوم ، وقال : قال أبو بكر محمد بن المحب فيما وجد بخطه : قلت أمام شيخنا المزي : ابن القيم في درجة ابن خزيمة؟ فقال : هو في هذا الزمان ، كابن خزيمة في زمانه .

وقال القاضي برهان الدين الزرعبي : ما تحت أديم السماء أوسع منه علمًا ، درس بالصدرية ، وأم الجوزية ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنف تصنيف كثيرة جدًا في أنواع العلوم ، وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ، ومطالعته وتصنيفه ، واقتناء كتبه ، واقتني من الكتب ما لم يحصل لغيره .

وقال الحافظ ابن حجر : كان جريء الجنان ، واسع العلم ، عارفًا بالخلاف ومذاهب السلف^(١) .

وقال الشوكاني : كان متقيدًا بالأدلة الصحيحة ، معجبًا بالعمل بها ، غير معول على الرأي ، صادعًا بالحق ، لا يحابي فيه أحدًا .

(١) وهو كثير النقل عنه في «فتح الباري» من كتاب «زاد المعاد» وغيره ، تارة يصرح باسمه ، وتارة يغفله .

تصانيفه

صنف - رحمه الله - تصانيف كثيرة ، بلغت نيفاً وستين كتاباً في مختلف العلوم ، منها ما هو كبير يقع في مجلدات ، ومنها ما هو في مجلد ، وجميعها جيد مفيد في بابه . فله في الفقه وأصوله «إعلام الموقعين عن رب العالمين» و«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» و«إغاثة اللهفان في مكائد الشيطان» و«تحفة المزدود في أحكام المولود» و«أحكام أهل الذمة» و«الفروسية» وفي الحديث والسيرة «تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته» و«زاد المعاد في هدي خير العباد» وفي العقائد: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» و«الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» و«شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» و«هداية الخيارى من اليهود والنصارى» . و«حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» و«كتاب الروح» وفي الأخلاق والرائق «مدارج السالكين» و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» و«الداء والدواء» . و«الوايل الصيب من الكلم الطيب» . وفي العلوم المختلفة «التبیان في أقسام القرآن» و«بدائع الفوائد» و«الفوائد» و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» و«روضه المحبين» و«طريق المجرتین وباب السعادتين» و«مفتاح دار السعادة» وغيرها من الكتب النافعة .

وفاته

توفى - رحمه الله - وقت عشاء الآخرة ليلة الخميس في الثالث والعشرين من شهر رجب سنة (٧٥١هـ) وصل عليه من الغد بجامع دمشق الكبير، ثم بجامع الجراح قرب المقبرة التي دفن فيها بالباب الصغير، وقبره معروف حتى الآن، فهو على يسار الداخل إلى المقبرة من الباب الجديد الذي وسع منذ أكثر من عشرين سنة، وقد أزيل القبر من موضعه، وأبعد أكثر من مترين إلى الشرق - رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه بمحجة جناته.

هذا ما يسر الله كتابته في هذه المقدمة وأسائل الله بأسئلته الحسنى وصفاته العلى أن ينفع به قارئه وطالبه. وأن يعيده من شوائب الأكدار. وأن يجعل له القبول بين عباده إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.
وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفك ونتوب إليك.

وكتبـه : (المعتز بالله وحده)

إبراهيم بن عبدالله الحازمي

عفا الله عنه وعامله بلطفه

الرياض : ١٤١٢/١٠/٦هـ

القسم الثاني المتحقق

الجمال

فضله . حقيقته . أقسامه

تأليف
شيخ الاسلام احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فصل في محبة الجمال

ثبت في صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مَثَالُ حَبَّةِ خَرْدُلٍ مِّنْ إِيمَانٍ. وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مَثَالُ حَبَّةِ خَرْدُلٍ مِّنْ كَبْرٍ»^(١).

وفي رواية: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ [كَانَ] فِي مَثَالِ ذَرَّةٍ مِّنْ كَبْرٍ». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»

فقوله: إن الله جميل يحب الجمال قد أدرج فيه حسن الثياب التي هي المسئول عنها، فعلم أن الله يحب الجمال [و] الجميل من اللباس، ويدخل في عمومه وبطريق الفحوى الجميل من كل شيء. هذا كقوله في الحديث الذي رواه [الترمذى]: «إِنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ»^(٢).

(١) الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في: مسلم ٩٣/١ (كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه) إلا أن فيه «من كبرباء» والحديث مع اختلاف يسير في الألفاظ - في: سنن أبي داود ٤/٨٤ (كتاب اللباس، باب ماجاء في الكبر)، سنن ابن ماجة ١/٢٢ - ٢٣ (المقدمة، باب في الإيمان).

(٢) عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه في: سنن الترمذى ٤/١٩٨ وأوله: إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم .. الحديث. وقال الترمذى: «هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يُضَعَّفُ، ويقال: ابن إلياس» وقد ضعف الحديث أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذى والمباركفوري في التحفة (٤/٢٠) وحسنه الألبانى في تحقيقه على المشكاة رقم ٤٤٨٨ ولعله بشهادته فقد ورد له شاهد من حديث عائشة عند الطبرانى في الأوسط قال الهيثمى =

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «إن الله طيب يحب الأطبياء»^(١). وهذا مما يُستدل به على استحباب^(٢) التجمل في الجمّع والأعياد، كما في الصحيح أن عمر بن الخطاب رأى حلةً تباع في السوق فقال: يارسول الله لو اشتريت هذه تلبسها؟ فقال: «إنما يلبس هذه من لأخلاق^(٣) له في الآخرة»^(٣).

وهذا يوافقه في حسن الثياب ما في السنن عن أبي الأحوص الجشمي قال: رأى النبي ﷺ وعليه أطهار، فقال: «هل لك من مال؟ قلت: نعم. قال: من أي

في المجمع (١٣٢/٥) رواه الطبراني في الأوسط وفيه نعيم بن مُورع وهو ضعيف. وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه أبو الصعاليك الطرسوسي في جزنه. ورواه الرافعى في تاريخ قزوين. وهذه الشواهد تدل على أن الحديث حسن إن شاء الله.

(١) لم أجده الحديث بهذا اللفظ، وجاء الحديث في الترمذى (انظر التعليق السابق) بلفظ مقارب، كما جاء حديث صحيح في: مسلم ٧٠٣/٢ (كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها) عن أبي هريرة رضي الله عنه وأوله: أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.. الحديث. وهذا الحديث أيضاً في: سنن الدارمى ٣٠٠/٢ (كتاب الرفق، باب في أكل الطيب)، المسند (ط. الحلبي) ٢/٣٢٨.

(٢) في الأصل «اسحباب» والصواب مأثتبه.

(٣) الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في: البخارى ٤/٤ (كتاب الجمعة، باب يلبس أحسن ما يجد) وأوله: أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء عند باب المسجد، فقال: يارسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك. فقال رسول الله ﷺ: إنما يلبس هذه من لأخلاق له في الآخرة... الحديث. وهو في: البخارى ٦٣/٣ (كتاب البيوع، باب التجارة فيها يكره لبسه للرجال والنساء)، مسلم ١٦٤١ - ١٦٣٨/٣ (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إماء الذهب والفضة... إلخ)، سنن النسائي ٧٨/٣ (كتاب الجمعة، باب الهيئة لل الجمعة)؛ سنن ابن ماجة ١١٨٧/٢ - ١١٨٨ (كتاب اللباس، باب كراهة لبس الحرير)، الموطأ ٩١٧/٢ (كتاب اللباس، باب ماجاء في لبس الثياب)؛ المسند (ط. المعارف) ٦/٣٢٣.

المال؟ قلت: من كل ما أتى الله من الإبل والشاء. قال: فلتز نعمة الله وكرامته عليك»^(١).

وفي السنن أيضًا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله يحب أن يُرَى أثر نعمته على عبده»^(٢) لكن هذا الظهور لنعمة الله وما في ذلك من شكره. والله يحب أن يُشَكَر، وذلك لمحبته الجماهير.

وهذا الحديث قد ضل قوم بها تأولوه عليه، وآخرون رأوه معارضه لغيره من النصوص ولم يهتدوا للجمع.

فالأولون: قد يقولون: كل مصنوع للرب جميل، لقوله: «الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ»^(٣). [سورة السجدة: ٧]. فنُحب كل شيء. وقد يستدللون بقول بعض المشايخ: «المحبة نار تحرق في القلب كل ماسوى مراد المحبوب»، والمخلوقات كلها مراده، وهو لا يقوله قائلهم. فصرح بطلاق الحماه، وأقل ما يصيب هؤلاء أنهم يتذمرون الغيرة لله، والنهي عن المنكر، والبغض في الله، والجهاد في سبيله، وإقامة حدوده.

وهم في ذلك متناقضون، إذ لا يمكنون من الرضا بكل موجود. فإن المنكرات هي أمور مضره لهم ولغيرهم، ويبقى أحدهم مع طبعه وذوقه وهواء، ينكر ما يكره ذوقه دون مالا يكره ذوقه، وينسلخون عن دين الله، وربما دخل أحدهم في الاتحاد

(١) الحديث عن أبي الأحوص الجشمي عن أبيه رضي الله عنه في سنن أبي داود ٧٤/٤ (كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان)، سنن النسائي ١٥٧/٨ (كتاب الزينة. باب الجلائل)؛ المسند (ط. الحلبي) ٣/٤٧٣. وهو حديث صحيح.

(٢) الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في: سنن الترمذى ٤/٢٠٦ - ٢٠٧ (كتاب الأدب، باب ماجاء أن الله يحب أن يُرَى أثر نعمته على عبده) وقال الترمذى: «وفي الباب عن أبي الأحوص عن أبيه وعمران بن حصين وابن مسعود. هذا حديث حسن. والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في المسند (ط. المعارف) ١٥/٢٤٠ - ٢٤١، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه في المسند (ط. الحلبي) ٤/٤٣٨.

والخلول المطلق، ومنهم من يخصّ الخلول أو الاتحاد ببعض المخلوقات، كالمسيح أو علي بن أبي طالب أو غيرهما من المشايخ والملوك والمدران، فيقولون بحلوله في الصور الجميلة، ويعبدونها.

ومنهم من لا يرى ذلك، لكن يتدين بحب الصور الجميلة، من النساء الأجانب والمدران وغير ذلك، ويرى هذا من الجمال الذي يحبه الله، ويحبه هو، ويلبس المحبة الطبيعية المحرّمة بالمحبة الدينية، ويجعل ماحرّمه [الله] ما يقرب إليه: «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء» [سورة الأعراف، الآية: ٢٨].

والآخرون قالوا: ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١). معلوم أنه لم ينف نظر الإدراك، لكن نظر المحبة.

وقد قال تعالى عن المنافقين: «وإذا رأيتمهم تعجبون أجسامهم يقولون تسمع لقوفهم كأنهم خشب مستندة» [سورة المنافقون، الآية: ٤].

وقال تعالى: «وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً» [سورة مريم، الآية: ٧٤]. والأثاث: المال من اللباس ونحوه، والرثي المنظر فأخبر أن الذين أهلكتم قبلهم كانوا أحسن صوراً وأموالاً، لتتبين أن ذلك لا ينفع عنده ولا يُعبأ به.

وقال النبي ﷺ: «لأفضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) (٣٤) في البر والصلة: باب تحريم ظلم المسلم وخذله، وأخرجته أحاديث (٢٨٥ و٥٣٩) وابن ماجة (٤١٤٣) في الرهاد: باب القناعة.

إلا بالتفوي^(١)» وفي السنن عنه أنه قال: «البذادة من الإيمان»^(٢). وأيضاً فقد حرم علينا [من] لباس الحرير والذهب، وأنية الذهب والفضة: ما هو أعظم الجمال في الدنيا، وحرم الله الفخر والخيلاء، واللباس الذي فيه الفخر والخيلاء، كإطالة الثياب.

حتى ثبت في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لainظر الله يوم القيمة إلى من جرّ إزاره بطرأ»^(٣).

وفي الصحيح عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيمة»^(٤).

(١) في المسند (ط. الحلبي) ٤١١/٥ عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق فقال: يأيها الناس إلا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد. ألا فضل لعربي على أعمجي، ولالعجمي على عربي، ولا لأحر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتفوي؟ أبلغت؟ قالوا: بلغ رسول الله ﷺ... الحديث.

(٢) في: سنن أبي داود ٤/١٠٦ - ١٠٧ (كتاب الترجل، الباب الأول) عن أبي أمامة قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ يوماً عنده الدنيا فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إن البذادة من الإيمان، إن البذادة من الإيمان - يعني التفاحل. وقال أبو داود: هو أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري. والحديث عن عبدالله بن أبي أمامة الحارثي عن أبيه في سنن ابن ماجة ٢/١٣٧٩ (كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له) وفي آخره: قال: البذادة: القشافة، يعني: التفاحل. وانظر السلسلة. الصحيحة للألباني رقم ٣٤١ وصحيح الجامع الصغير (رقم ٢٨٧٦).

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخاري ٧/١٤١ (كتاب اللباس، باب من جرّ ثوبه من الخيلاء)، مسلم ٣/١٦٥٣ (كتاب اللباس، باب تحرير جر الثوب خيلاء)، المسند (ط. الحلبي) ٥/٣.

(٤) الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنها في: البخاري ٥/٦ (كتاب أصحاب النبي، باب حدثنا الحميدي). ٧/١٤١ (كتاب اللباس، باب من جرّ إزاره من غير خيلاء)، مسلم ٣/١٦٥١ - ١٦٥٣ (كتاب اللباس، باب تحرير جر الثوب خيلاء)، سنن أبي داود ٤/٨١ (كتاب اللباس، باب ماجاء في إسبال الإزار)، سنن الترمذى ٢/١٣٧ (كتاب اللباس، باب ماجاء في كراهة جر الإزار)، سنن ابن ماجة ٢/١١٨١ (كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من =

وفي الصحيح أيضًا قال: «بينما رجل يجر إزاره من الخياء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيمة»^(١).

وقد قال تعالى في حق قارون: «فخرج على قومه في زينته»^(٢). [سورة القصص، الآية: ٧٩]. قالوا: ثياب الأرجوان^(٣)

ولهذا ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو قال: رأى رسول الله ﷺ وعليه ثوبين معصفرتين، فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها. قلت: أغسلهما؟ قال: احرقهما»^(٤).

ولهذا كره / العلماء المحققون الأحرم المشبع حمرة، كما جاء النبي عن المياثرة الحمراء^(٤). وقال عمر بن الخطاب: دعوا هذه الرأيات للنساء. وقد بسطنا القول في هذه المسألة في موضعها.

= الخياء، والحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في المسند (ط. المعارف) ١٠٨/٧ ، ٣٨٩٢٦٣ وهو عن أبي سعيد الخدري وابن عمر رضي الله عنهم في المسند (ط. الحلبي) ٣٩/٣ - ٤٠/٣ .
(١) الحديث عن ابن عمر - رضي الله عنها في: البخاري ٤/١٧٧ (كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليهان). ١٤١/٧ (كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخياء).

(٢) قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ٦/٢٤٣ «قال الحسن: في ثياب حمر وصفر، وقال عكرمة: في ثياب معصفرة. وقال وهب بن منبه: خرج على بغلة شهباء عليها سرج أحمر من أرجوان.. إلخ.

(٣) جع ابن تيمية بين حديثين رواهما مسلم في صحيحه ٣/١٦٤٧ (كتاب اللباس والزينة، باب النبي عن لبس الرجل الثوب المعصفر) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال في أوههما: رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرتين فقال: «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها». وفي الثاني: فقال النبي ﷺ: «ألمك أمرتك بهذا؟» قلت: أغسلهما؟ بل احرقهما».

(٤) في الأصل: المسرة الحمراء. وفي سنن النسائي ٧/١٩٤ (كتاب الزينة، باب النبي عن الجلوس على المياثر من الأرجوان) عن علي رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: قل اللهم سددني واهدني. ونهاني عن الجلوس عن المياثر. والمياثر قسيٌ كانت تصنعه النساء لبعولتهن على الرجل كالقطائف من الأرجوان، وانظر زاد المعاد لابن القيم فله كلام حسن في هذه المسألة

وأيضاً فقد قال الله تعالى: «**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ** ^(١) **وَيَحْفَظُوا فِرْوَاهُمْ**» ^(٢) إلى قوله: «**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جِبِيلًا أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ**». [سورة النور، الآية: ٣٠ - ٣١].

وقال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن أبي هريرة: «العينان تزنيان، وزناهما النظر» ^(٣).

وفي الصحيح عن جرير بن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ عن نظر الفجأة، فقال: «اصرف بصرك» ^(٤).

وفي السنن أنه قال لعلي: «يا علي: لاتتبع النظرة النزرة، فإنما لك الأولى، ولست لك الآخرة» ^(٥).

وقد قال تعالى: «**وَلَا تَمْدُنْ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ** زهرة الحياة

(١) في الأصل حرف الآية إلى: من أصواتهم.

(٢) رواه البخاري / ١١ في الاستئذان: باب زنا الجوارح دون الفرج، وفي القدر ومسلم (٢٦٥٧) في القدر: باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره، ورواه أحمد (١٢٥ / ١)، وأبو داود.

(٣) في الأصل: اضرب وبصرك، وهو تحريف، وال الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه في: مسلم ١٦٩٩ / ٣ (كتاب الآداب، باب نظر الفجأة) ونصه: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري . وال الحديث في: سنن الترمذى / ٤ / ١٩١ (كتاب الاستئذان والأداب، باب ماجاء في نظر الفجأة). وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح ، سنن أبي داود ٢ / ٣٣٠ (كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر) وفيه: «اصرف بصرك» وهي الرواية التي معناها: سنن الدارمى / ٢ / ٢٧٨ (كتاب الاستئذان باب في نظر الفجأة).

(٤) الحديث عن بريدة الأسلمي رضي الله عنه في: سنن أبي داود / ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١ (كتاب النكاح، باب ما يؤمر به من غض البصر) وأوله: «يا علي لاتتبع .. الحديث . وهو عنه أيضاً في: سنن الترمذى / ٤ / ١٩١ (كتاب الاستئذان والأداب، باب ماجاء في نظر الفجأة)، المسند (ط. الحلبى) / ٥ / ٣٥١ - ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٧. وال الحديث عن علي رضي الله عنه في: سنن الدارمى / ٢ / ٢٩٨ (كتاب الرفاق، باب في حفظ السمع).

الدنيا لنفثتهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴿ . [سورة طه، الآية: ١٣١].
وقال: ﴿ولا تمن عينيك إلى مامتنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم وانخفض
جناحك للمؤمنين﴾ . [سورة الحجر: ٨٨].

وقال: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من
الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متع الحياة الدنيا والله
عنه حسن المثاب﴾ * قل أئبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات
تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير
بالعباد﴾ . [سورة آل عمران، الآية: ١٣ - ١٥].

وقد قال مع ذمه لذاته من هذه الزينة: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج
لعباده والطبيات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم
القيمة﴾ . [سورة الأعراف، الآية: ٣٢].

فنقول: اعلم أن ما يصفه به النبي ﷺ من حبة لأجناس المحبوبة من الأعيان
والصفات والأفعال، وما يغضبه من ذلك، هو مثل ما يأمر به من الأفعال، وينهى
عنه من ذلك، فإن الحب والبغض هما أصل الأمر والنهي، وذلك نظير ما يعده
على الأعمال الحسنة من الثواب، ويتوعده على الأعمال السيئة من العقاب.

فأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وحبه وبغضه، وثوابه وعقابه: كل ذلك من
جنس واحد. والنصوص النبوية تأتي مطلقة عامة من الجانين. فتتعارض في
بعض الأعيان والأفعال التي تدرج في نصوص المدح والذم، والحب والبغض،
والأمر والنهي، والوعد والوعيد. وقد بسطنا الكلام على ما يتعلق بهذه القاعدة في
غير موضع، لتعلقها بأصول الدين وفروعه.

فإإن من أكبر المسائل التي تتبعها مسألة الأسماء والأحكام في فساق أهل الملة،
[وهل] يجتمع في حق الشخص الواحد الثواب والعقاب، كما يقوله أهل السنة
والجماعة، أم لا يجتمع ذلك؟ وهل يكون الشيء الواحد محبوباً من وجه مبغوضاً

من وجهه، محموداً من وجهه مذموماً من وجهه، كما يقوله جمهور الخوارج: والمتعزلة؟ وهل يكون الفعل الواحد مأمور به من وجه منهياً عنه من وجه؟ .

وقد تنازع في ذلك أهل العلم من الفقهاء والتكلمين وغيرهم، والتعارض بين النصوص إنما هو لتعارض المتعارض المقتضي للحمد والذم من الصفات القائمة بذاته [تعالى]. ولهذا كان لهذا الجنس موجباً للكفر أو الفتنة، فأول مسألة فرقة بين الأمة مسألة الفاسق المليٰ، فأدرجته الخوارج في نصوص الوعيد والخلود في النار وحكموا بکفره، ووافقتهم المتعزلة على دخوله في نصوص الوعيد والخلود في النار، لكن لم يحكموا بکفره، فلو كان الشيء خيراً مغضباً لم يوجب فرقه، ولو كان شرّاً مغضباً لم يخف أمره، لكن لاجتماع الأمرتين فيه أوجب الفتنة.

وكذلك مسألة القدر، التي هي من جملة فروع هذا الأصل، فإنه اجتمع في الأفعال الواقعية التي نهى الله عنها أنها مراده له لكونها الموجدات، وأنها غير محبوبة له / ولا مرضية، بل مفتوحة مبغوضة لكونها من المنهيات.

فقال طوائف من أهل الكلام: الإرادة والمحبة والرضا واحدة، أو متلازمة. ثم قالت القدرية: والله لم يحب هذه الأفعال ولم يرضها، فلم يردها، فأثبتوا وجود الكائنات بدون مشيئة.

ولهذا لما قال غيلان القدري لربيعة بن عبد الرحمن: ياربيعة نشتك بالله أترى الله يحب أن يعصى؟ فقال له ربيعة: أفترى الله يعصى قسراً؟ فكأنه ألقمه حجرًا^(١). يقول له: نزّهته عن حبة العاصي فسلبته الإرادة والقدرة، وجعلته مقهوراً مقصوراً. وقال من عارض القدرية: بل كل ما أراده أحبه ورضيه. ولزمه أن يكون الكفر والفسق والعصيان محبوبًا لله مرضياً.

وقالوا أيضاً: يأمر بما لا يريده، وكل ما أمر به من الحسنات فإنه لم يرده، وربما قالوا: لم يحبه ولم يرضه إلا إذا وجد، ولكن أمر به وطلبه.

(١) انظر كتابنا «الأجوبة المسكتة» فهذا الجواب يعتبر جواب المعنى ذكي حاضر البدية.

فقيل لهم : هل يكون طلب وإرادة واستدعاء بلا إرادة ولا محبة ولا رضا؟ هذا جمع بين النقيضين ، فتحيروا .

فأولئك سلباً الرب خلقه وقدرته وإرادته ، وهؤلاء سلباً محبته ورضاه وإرادته الدينية ، وما يصحبه أمره ونبهه من ذلك . فكما أن الأولين لم يثبتوا أن الشخص الواحد يكون مثاباً معاقباً ، بل إما مثاب وإما معاقب ، فهؤلاء لم يبينوا أن الفعل الواحد يكون مراداً من وجه دون وجه ، مراداً غير محبوب ، بل إما مراد محبوب ، وإما غير مراد ولا محبوب ، ولم يجعلوا الإرادة إلا نوعاً واحداً . والتحقيق أنه يكون مراداً غير محبوب ولا مرضي ، ويكون مراداً من وجه دون وجه ، ويكون محبوباً مرضياً غير مراد الواقع .

والإرادة نوعان : إرادة دينية ، وهي المقارنة للأمر والنهي ، والحب والبغض ، والرضا والغضب .

وإرادة كونية ، وهي المقارنة للقضاء والقدر ، والخلق والقدرة . وكما تفرقوا في صفات الخالق تفرقوا في صفات المخلوق . فأولئك لم يثبتوا له إلا قدرة واحدة تكون قبل الفعل ، وهؤلاء لم يثبتوا له إلا قدرة واحدة تكون مع الفعل .

أولئك نفوا القدرة الكونية التي بها يكون الفعل ، وهؤلاء نفوا القدرة الدينية التي بها يأمر الله العبد وينهيه .

وهذا من أصول تفرقهم في مسألة تكليف مالا يطاق . وانقسموا إلى : قدرية مجوسيّة ثبت الأمر والنهي ، وتنفي القضاء والقدر . وإلى قدرية مشركية شرّ منهم ثبت القضاء والقدر ، وتکذب بالأمر والنهي ، أو ببعض ذلك .

وإلى : قدرية إبليسية تصدق بالأمرتين ، لكن ترى ذلك تناقضاً مخالفًا للحق والحكمة .

وهذا شأن عامة ماتعارض فيه الأسباب والدلائل . تجد فريقاً يقولون بهذا

دون هذا، وفريقاً بالعكس، وفريقاً رأوا الأمرين واعتقدوا تناقضهما، فصاروا متحيرين أو معرضين عن التصديق بها جيئاً، أو متناقضين مع هذا تارة، ومع هذا تارةً.

وهذا تجده في مسائل الكلام والاعتقادات، وسائل الإرادة والعبادات، كمسألة السماع الصوتي، ومسألة الكلام، وسائل الصفات، وكلام الله، وغير ذلك من المسائل.

وجماع القول في ذلك: أن كل أمرين تعارضًا فلابد أن يكون أحدهما راجحًا، أو يكون متكافئين، فيحكم بينهما بحسب الرجحان، وبحسب التكافؤ، فالعملان والعاملان إذا امتاز كل منها بصفات، فإن ترجح أحدهما فهو الراجح، وإن تكافأاً سوي بينهما في الفضل والدرجة، وكذلك أسباب المصالح والمفاسد، وكذلك الأدلة، بأنه يعطى كل دليل حقه، ولا يجوز أن تكافأ الأدلة في نفس الأمر عند الجمهور، لكن تتكافأ في نظر الناظر، وأما كون الشيء الواحد من الوجه الواحد ثابتاً متنفياً، فهذا لا ي قوله عاقل.

وأصل هذا كله العدل بالتسوية بين المتأثلين. فإن الله تعالى يقول: ﴿لقد أرسلنا رسالنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾. [سورة الحديد، الآية: ٢٥]. وقد بسطنا القول في ذلك، وبيننا أن العدل جماع الدين والحق والخير كله في غير موضع.

والعدل الحقيقي قد يكون متعدراً: إما عمله، وإما لعمل به. لكن التأثر من كل وجه غير ممكن أو غير معلوم، فيكون الواجب في مثل ذلك ما كان أشبه بالعدل وأقرب إليه، وهي الطريقة المثلث.

وقال سبحانه: ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لانكلف نفساً إلا وسعها﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٥٢].

وعلى هذا فالحق الموجود: وهو الثابت الذي يقابله المنفي. والحق المقصود:

وهو المأمور به المحبوب، الذي يقابله المنهي عنه المبغوض: ثلاثة أقسام: فإِنَّهَا فِي حَقِّ الْمَقْصُودِ: إِمَّا أَمْرٌ تَرْجَحَتْ مَعْلَمَةُ الْمُحْبُوبَ فِيهِ، وَهَذَا يُؤْمِرُ بِهِ.
وَإِمَّا أَمْرٌ تَرْجَحَتْ فِيهِ الْمُفْسَدَةُ الْمُكْرَهَةُ، فَهَذَا يُنْهَى عَنْهُ.
وَإِمَّا أَمْرٌ اسْتَوَى فِيهِ هَذَا [وَهَذَا]، فَهَذَا لَا يُؤْمِرُ بِهِ وَلَا يُنْهَى عَنْهُ، وَلَا يُتَرْجَحُ فِيهِ
الْحُبُّ، وَلَا يُتَرْجَحُ فِيهِ الْبَغْضُ، بَلْ يَكُونُ عَفْوًا.
وَمَادُونُ هَذَا - إِنْ كَانَ مِثْلُ هَذَا مُوْجُودًا - فَإِنَّ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ فِي وُجُودِهِ.
فَقَيْلٌ: هُوَ مُوْجُودٌ. وَقَيْلٌ: بَلْ هُوَ يُقْدَرُ فِي الْفَعْلِ لَا وُجُودَ لَهُ، بَلْ لَابْدُ مِنْ
الرَّجْحَانَ، كَمَا قَيْلٌ مِثْلُ ذَلِكَ فِي تَكَافُّ الْأَدْلَةِ.
وَعَلَى هَذَا فَالْأَمْرِ الَّذِي تَرْجَحَتْ فِيهِ الْمُصْلَحَةُ، وَأَمْرٌ بِهِ. غَلَبَ فِيهِ جَانِبُ
الْمُحْبَّةِ، مَعَ أَنَّ الَّذِي فِيهِ الْمُفْسَدَةُ، مُبَغْضٌ، لَكِنَّهُ مَرَادٌ. فَهُوَ مَرَادٌ بِغَيْضٍ. وَالْأَمْرُ
الَّذِي تَرْجَحَ فِيهِ جَانِبُ الْمُصْلَحَةِ مُحْبَّ، لَكِنَّهُ مَرَادُ التَّرْكِ مُحْبَّ، فَهُوَ مُحْبَّ
فِي نَفْسِهِ، لَكِنْ مَلَازِمَتِهِ مَا هُوَ بِغَيْضٍ، وَجَبَ أَنْ يُرِادَ تَرْكَهُ تَبَعًا لِكَرَاهَةٍ لَازِمَةٍ، فَإِنَّهُ
بِغَيْضِ الْلَّازِمِ وَنَفْيِ الْمُنْفَيِ الْمُلْزُومِ.
فَحَالَصَلَهُ أَنَّ الْمَرَادَ إِرَادَةً جَازِمَةً هُوَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ: إِمَّا الْفَعْلُ، وَإِمَّا التَّرْكُ.
وَالْأَوَّلُ: هُوَ الْمَأْمُورُ بِهِ. وَالثَّانِي: هُوَ الْمُنْهَى عَنْهُ. لَكِنْ مَعَ هَذَا فَقْدٌ / يَشْتَمِلُ
الْمَفْعُولُ عَلَى بِغَيْضٍ مُحْتَمِلٌ، وَيَشْتَمِلُ الْمُتَرَوْكُ عَلَى حَبِيبٍ مُرْفُوضٍ، فَهَذَا أَصْلُ
نَافِعٍ.

فَهَذَا فِي الْفَعْلِ الْوَاحِدِ. وَأَمَّا الْفَاعِلُ الْوَاحِدُ الَّذِي يَعْمَلُ الْحَسَنَةَ وَالسَّيْئَةَ مَعًا،
وَهُوَ إِنْ كَانَ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا مُمْكِنًا، لَكِنَّهُ هُوَ يَعْلَمُهُمَا جَمِيعًا أَوْ يَتَرَكُهُمَا جَمِيعًا، لِكَوْنِ
حَبْتَهُ لِأَحَدِهِمَا مُسْتَلِزْمَةً لِلْأُخْرَى لِحَبْتِهِ، وَبِغَضْبِهِ لِأَحَدِهِمَا مُسْتَلِزْمَةً لِبِغَضْبِهِ
لِلْأُخْرَى. فَصَارَ لَا يُؤْمِرُ إِلَّا بِالْحَسَنِ مِنَ الْفَعْلَيْنِ، وَلَا يُنْهَى إِلَّا عَنِ السَّيِّئِ مِنْهُمَا،
وَإِنْ لَزِمَ تَرْكُ الْحَسَنَةِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْمُرَهُ فِي مِثْلِ هَذَا بِالْحَسَنَةِ الْمُرْجُوَةِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ
أَمْرًا بِالسَّيْئَةِ، وَلَا يَنْهَى عَنِ السَّيْئَةِ الْمُرْجُوَةِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ نَهِيًّا عَنِ الْحَسَنَةِ الْمَرْجُوَةِ،

وهكذا العين يعين على الحسنة الراجحة، وعلى ترك السيئة المرجوحة. وهذا أصل عظيم تدخل فيه أمور عظيمة، مثل الطاعة لأئمة الجور وترك الخروج عليهم، وغير ذلك من المسائل الشرعية. وهكذا حكم الطائفة المشتملة أفعالها على حسنات وسبيئات، بمنزلة الفاعل في ذلك، وبما ذكرناه في الفعل الواحد والفاعل الواحد - تظهر أمور كثيرة: إما الحق الموجود، وإما أن يكون الشيء في نفسه ثابتاً ومنتفيًا، لكن كثيراً ما تحصل المقابلة بين إثبات عام، ونفي عام، ويكون الحق في التفصيل، وهو ثبوت بعض ذلك العام وانتفاء بعضه، وهذا هو الغالب على المسائل الكبار التي يتنازع فيها أحزاب الكلام والفلسفة ونحوهم.

والدليل إما أن يكون دليلاً معلوماً، فهذا لا يكون إلا حقاً، لكن كثيراً ما يظن الإنسان أن الشيء معلوم ولا يكون معلوماً، وحيثئذ فإذا ظن ظان تعارض الأدلة المعلومة كان غالطاً في تعارضها، بل يكون أحد الأمرين لازماً - إما كلها أو بعضها - غير معلوم. وإما أن موجب الدليل حق من غير تعارض، وإن ظنه ظان تعارضًا، فالحق الموجود لا ينافي الحق الموجود، بل يكون كل منها موجوداً بخلاف الحق المقصود، فإنه قد يقصد / الضدان لما في كل منها من المصالح المقصودة، لكن لا يوجد الضدان. وإن كان الدليل مغلباً للظن اعتقد فيه موجبة، وإذا تعارضت هذه [الأدلة] رجع راجحها وسوى بين متكافئها.

إذا تقرر ذلك فنقول: قول النبي، ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»، كقوله للذى عَلِمَهُ الدُّعَاءُ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(١)، قوله تعالى:

(١) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في: سنن الترمذى ١٩٥/٥ (كتاب الدعوات، باب منه) وأوله: قلت يارسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟.. الحديث...، سنن ابن ماجة ١٢٦٥/٢ (كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية)، المسند (ط. الحلبي) ١٧١/٦ وأماكن أخرى بالمسند وانظر كتابنا سطوع القدر بفضائل ليلة القدر.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ . [سورة البقرة، الآية: ٢٢٢] . وإن الله نظيف يحب النظافة .

فهو سبحانه إذا كان يحب العفو لم يوجب هذا ألا يكون في بعض أنواع العفو من المعارض الراجح ما يعارض [ما] فيه من محبة العفو، ولو لا ذلك لكان ينبغي أن يغفو عن كل محرم ، فلا يعاقب مشركاً ولا فاجراً، لافي الدنيا ولا في الآخرة ، وهذا خلاف الواقع ، ولو جب أن يستحب لنا العفو عن كل كافر وفاجر، فلا عاقب أحداً على شيء ، وهذا خلاف ما أمرنا به ، وخلاف ما هو صلاح لنا ، ونافع في الدنيا والآخرة .

وكذلك محبته للمتطهرين ومحبته للنظافة ، لاتمنع حصول المعارض الراجح ، مثل أن يكون الماء محتاجاً إليه للعطش ، فمحبته لسقي العطشان راجحة على محبته للطهارة والنظافة .

وكذلك سائر ما يتزاحم من الواجبات والمستحبات ، فإنها جميعها محبوبة لله ، وعند التزاحم يقدم أحبابها إلى الله . والتقارب إليه بالفرائض أحب إليه من التقرب إليه بالنواقل ، وبعض الواجبات والمستحبات أحب إليه من بعض .

وكذلك إذا تعارض المأمور والمحظور ، فقد تعارض حبيه وبغيضه ، فقدّم أعظمها في ذلك ، فإن كان محبته لهذا أعظم من بغضه لهذا أقدم ، وإن كان بغضه لهذا أعظم من حبه لهذا قدم .

كما قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعُهُمَا﴾ . [سورة البقرة، الآية: ٢١٩] . وعلى هذا استقرت / الشريعة بترجح خير الخيرين ، ودفع شر الشررين ، وترجح الراجح من الخير والشر المجتمعين .

والله سبحانه يحب صفات الكمال ، مثل العلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك .

ففي صحيح مسلم^(١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»^(١). وفي الصحيح عنه أنه قال: «لَا يرْحَمُ اللَّهُ مِنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ»^(٢).

وفي الصحيح أيضاً عنه: «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عَبَادِهِ الرَّحْمَاءُ»^(٣).

وفي السنن حديث ثابت عنه: «الراحمنون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(٤).

ومع هذا فقد قال تعالى في حد الزاني والزانية: «وَلَا تَأْخُذُوهُمْ بِهَا رَأْفَةً فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» . [سورة النور، الآية: ٢].

وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ» . [سورة

التوبه، الآية: ٧٣].

(١) (٤) ٢٠٥٢) كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز ورواه ابن ماجة (١/٣١) المقدمة باب في القدر.

(٢) الحديث عن جرير عن عبدالله رضي الله عنه في: البخاري ١١٥/٩ (كتاب التوحيد)، باب قول الله تبارك وتعالى: «قُلْ ادْعُوا اللَّهَ...» . مسلم ٤/١٨٠٩ (كتاب الفضائل، باب رحمته...)، سنن الترمذى ٣/٢١٦ (كتاب البر، باب ماجاء في رحمة الناس)، المسند (ط. الحلبى) ٤/٣٦٠، ٣٦٦. والحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في: سنن الترمذى ٤/١٨ (كتاب الزهد، باب ماجاء في الرياء والسمعة)، المسند (ط. الحلبى) ٣/٤٠.

(٣) هذا جزء من حديث طويل عن أسامة بن زيد رضي الله عنها في: البخاري ٢/٧٩ (كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله) وأوله: أرسلت ابنة النبي ﷺ أن ابناً لي قبض... الحديث. وهو في: مسلم ٢/٦٣٦ - ٦٣٥ (كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت)، سنن النسائي ٤/١٩ (كتاب الجنائز، باب الأمر بالاحتساب والصبر...)، سنن ابن ماجة ١/٥٠٦ (كتاب الجنائز، باب ماجاء في البكاء على الميت)، المسند (ط. الحلبى) ٥/٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٤) الحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنها في: سنن أبي داود (كتاب الأدب)، باب في الرحمة)، سنن الترمذى ٣/٢١٧ (كتاب البر، باب ماجاء في رحمة الناس). وقال الترمذى: «هذا الحديث حسن صحيح».

وهذا في الحقيقة من رحمة الله بعباده، فإن الله إنما أرسل محمداً رحمة للعالمين، وهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها. لكن قد تكون الرحمة المطلوبة لاتحصل إلا بنوع من الـ **ألم وشدة تلحق بعض النفوس**، كما ورد في الأثر: إذا قالوا للمرتضى: اللهم ارحمه. يقول الله: كيف أرحمه من شيء به أرحمه؟». وكذلك كون الفعل عفواً وصفاً يقتضي محنة الله له، فإذا عارضه ما هو أحب إلى الله منه، أو اشتمل على بعض الله له أعظم من محنته لذلك العفو قدّم الراجح.

فكون شيء جميلاً يقتضي محنة الله له، وهو سبحانه أحسن كل شيء خلقه، إذ كل موجود فلابد فيه من وجه الحكمة التي خلقه الله لها، ومن ذلك الوجه يكون حسناً محبوباً، وإن كان من وجه آخر يكون مستلزمًا شيئاً يحبه الله ويرضاه، أعظم مما فيه نفسه من البغض.

فهذا موجود فينا، فقد يفعل الشخص الفعل: كشرب الدواء الكريه الذي يبغضه له أعظم من حبه له، وهذا لما تضمن ما هو محنته له أعظم من بغضه للدواء، أراده وشاءه وفعله، فأراد بالإرادة الجازمة المقارنة للقدرة فعلًا فيه مما يبغضه أكثر مما يحبه، لكونه مستلزمًا لدفع ما هو إليه أبغض، ولحصول ما محنته له أعظم من بغضه. لهذا فإن بغضه للمرض ومحنته للعافية أعظم من بغضه للدواء.

فالأعيان التي نبغضها: كالشياطين والكافرين، وكذلك الأفعال التي نبغضها: من الكفر والفسق والعصيان، خلقها وأراد وجودها لما تستلزمها من الحكمة التي يحبها، ولما في وجودها من دفع ما هو إليه أبغض، فهي مراده له، وهي مبغضة له مسخوطة، كما بينا هذا في غير هذا الموضع.

وأما الجمال الخاص، فهو سبحانه جليل يحب الجمال. والجمال الذي للخلق: من العلم والإثبات والتقوى، أعظم من الجمال الذي للخلق. وهو الصورة الظاهرة.

وكذلك الجميل من اللباس الظاهر، فلباس التقوى أعظم وأجمل. وهو يحب الجمال [الذي] للباس التقوى، أعظم مما يحب الجمال الذي للباس الرياش، وحب الجمال الذي للخلق، أعظم مما يحب الجمال الذي للخلق.

كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(١).

وفي صحيح مسلم عن النواس بن سمعان، قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ماحاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(٢).

وفي السنن عنه أنه قال: «أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن»^(٣).
وروي عنه أنه قال لأم سلمة: «يأم سلمة ذهب حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ»^(٤).

(١) الحديث عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهمَا في: سنن أبي داود ٤/٤٣٠ (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونفعه)، سنن الترمذى ٤/٢٤٥ (كتاب الرضاع، باب ماجاء في حق المرأة على زوجها)، ٤/١٢٢ (كتاب الإيمان، باب في استكمال الإيمان والزيادة والنفع)، سنن الدارمى ٢/٢٢٣ (كتاب الرفاق، باب في حسن الخلق)، المسند (ط. المعارف) ١٣٣/١٣، (ط. الحلبي) ٤٧٢/٢، ٥٢٧، ٤٧٦، ٩٩.

(٢) الحديث عن النواس بن سمعان رضي الله عنه في: مسلم ٤/١٩٨٠ (كتاب البر، باب تفسير البر والإثم)؛ سنن الترمذى ٤/٢٣ - ٢٤ (كتاب الزهد، باب ماجاء في البر والإثم)؛ سنن الدارمى ٢/٣٢٢ (كتاب الرفاق، باب في البر والإثم)؛ المسند (ط. الحلبي) ٤/١٨٢.

(٣) هذا جزء من حديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو في: سنن الترمذى ٣/٢٤٤ (كتاب البر، باب ماجاء في حسن الخلق) وأوله: ماشيء أثقل في ميزان المؤمن... الحديث، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح. وهو في: سنن أبي داود ٤/٣٥٠ (كتاب الأدب، باب في حسن الخلق)، المسند (ط. الحلبي) ٦/٤٤٢، ٤٤٦، ٤٤٨، ٤٥١.

(٤) الحديث عن أنس رضي الله عنه في: مجمع الزوائد للهيثمي ٨/٢٣ - ٢٤ «عن أنس قال: قالت أم حبيبة: يارسول الله المرأة يكون لها زوجان، ثم تموت فتدخل الجنة هي وزوجها، لأبيها تكون، للأول أو للآخر؟ قال: تخير أحسنتها خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة، يأم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة. رواه الطبراني والبزار باختصار، وفيه: عبد

ومن المعلوم أن أحب خلقه إليه المؤمنون، فإذا كان أكملهم إيماناً أحسنهم خلقاً، كان أعظمهم حبة له أحسنهم خلقاً. والخلق الدين. كما قال الله تعالى: **« وإنك لعلى خلق عظيم »**. [سورة القلم، الآية: ٤]. قال ابن عباس: على دين عظيم^(١). وبذلك فسره سفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل / وغيرهما، كما قد بينا في غير هذا الموضع^(٢).

وهو سبحانه يبغض الفواحش ولا يحبها ولا يأمر بها. كما قال تعالى: **« إنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ »**. [سورة الأعراف، الآية: ٢٨].

فإذا كان الجمال متضمناً لعدم ما هو أحب إليه، أو لوجود ما هو أبغض له، لزم من ذلك فوات ما في الجمال المحبوب، فإذا كان في الجمال الثياب بطر وفخر وخيلاء وسرف، فهو سبحانه لا يحب كل مختال فخور. وقال [تعالى]^(٣): **« وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتَرُوا »**. [سورة الفرقان، الآية: ٦٧]. بل هو يبغض البطر الفخور المختال والمسرف. وقال: **« إِنَّ الْمَسْرِفَينَ هُمُ أَصْحَابُ النَّارِ »**. [سورة غافر، الآية: ٤٣]. فلهذا قال [عليه السلام]: **« لَا يُنْظَرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَةَ خِيلَاءَ**

= بن إسحاق وهو متروك، وقد رضيه أبو حاتم، وهو أسوأ أهل الإسناد حالاً، وقد تقدمت لهذا الحديث طرق في : النكاح».

وفي «الجامع الكبير» نسب السيوطي الحديث إلى أم سلمة رضي الله عنها وقال بعده: «طب (أنطرباني في المعجم الكبير) والخطيب عن أم سلمة».

(١) في «تفسير ابن كثير» ٢١٤/٨ (ط. دار الشعب): «عن ابن عباس: أي وإنك لعلى دين عظيم، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد وأبي مالك والسدوي والربيع بن أنس والضحاك وابن زيد». وكذا قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» ٤٢٨/٨: «فيه ثلاثة أقوال: أحدها: دين الإسلام، قاله ابن عباس».

(٢) في «تفسير ابن تيمية لسورة القلم (مجموع فتاوى الرياض ٦١/٦)»: «إنك لعلى خلق عظيم. قال ابن عباس: على دين عظيم. قوله ابن عيينة، وأخذه أحمد عن ابن عيينة، فإن الدين والعادة والخلق ألفاظ متقاربة المعنى في الذات وإن تنوّعت في الصفات... إلخ».

وبطراً^(١). فإنه يبغضه فلا ينظر إليه وإن كان فيه جمال، فإن ذلك غرق في جانب ما يبغضه الله من الخيلاء والبطر.

وكذلك الحرير فيه من السرف والفحش والخيلاء ما يبغضه الله، وينافي التقوى التي هي محبوب الله. كما ثبت في الصحيحين عنه أنه نزع فروج الحرير وقال: «لainيغفي هذا للمتقين»^(٢).

وكذلك سائر ماحرمه الله وكرهه مما فيه جمال، فإن ذلك لاشتماله على مكروره أحق على ما [فيه ما يبغضه الله] أعظم مما فيه من محبوبه، ولتفويته ما هو أحب إليه منه.

وكذلك الصور الجميلة من الرجال والنساء، فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئاً بأن يكون فاجرًا أو كافراً، معلناً أو منافقاً، كان البغض أو المقت خلقه ودينه مستعلياً على ما فيه من الجمال.

كما قال تعالى عن المنافقين: «وإذا رأيتمهم تعجبك أجسامهم». [سورة المنافقون، الآية: ٤].

وقال: «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا». [سورة البقرة، الآية: ٢٠٤]. فهؤلاء إنما أحبهم صورهم الظاهرة للبصر، وأقوالهم الظاهرة

(١) رواه البخاري (٢١٩/١٠) ومسلم (٢٠٨٧) من حديث أبو هريرة

(٢) الحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه في: البخاري ١/٨٠ (كتاب الصلاة، باب من صلى في فروج حرير ثم نزعه). ولفظ الحديث: «أهدي إلى النبي ﷺ فروج حرير فلبسه فصل فيه، ثم انصرف فنزعه نزعاً شديداً كالكاره له، وقال: لainيغفي هذا للمتقين». والحديث: في البخاري ٧/١٤٤ (كتاب اللباس، في القباء وفروج جرير)، مسلم ٣/١٦٤٦ (كتاب اللباس، باب تحريم استعمال إماء الذهب والفضة على الرجال والنساء...); سنن النسائي ٢/٥٦، سنن الترمذ ٤/١٤٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٤٣/٤: «الفروج بفتح الفاء وضم الراء المشددة، هذا هو النسووي في شرحه على مسلم ١٤/٥٢: «الفروج بفتح الفاء وضم الراء المشددة، هذا هو الصحيح المشهور في ضبطه... قالوا: وهو قباء له شق من خلفه، وهذا اللبس المذكور في هذا الحديث كان قبل تحريم الحرير على الرجال...».

للسمع ، لما فيه من الأمر الموجب ، لكن لما كانت حفائق أخلاقهم - التي هي أملك بهم - مشتملة على ما هو من أبغض الأشياء وأمقتها إليه ، لم ينفعهم حسن الصورة والكلام .

وقال النبي ﷺ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »^(١) .

وكذلك المرأة والصبي إذا كان فاجراً ، فإن ذلك يفوت حسن الخلق والتقوى ، التي هي أحب إلى الله من ذلك ، ويوجب بعض الله للفاحشة ولصاحبها ولسيء الخلق ومقته وغضبه عليه ، ما هو أعظم بكثير مما فيه من الجمال المقتضي للمحبة . وكذلك القوة وإن كانت من صفات الكمال التي يحبها الله .

فإذا كانت الإعانة على الكفر والفحش ، الذي يغضبه الله له ومقته عليه ، وتفويته لما يحبه من الإيمان والعمل الصالح ، أعظم بكثير من مجرد ما في القوة من الأمر المحبوب ، ترجع جانب البغض بقدر ذلك .

فإذا كانت القوة في الإيمان ، كان الأمر كما قال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »^(١) . ومن المعلوم أن الله يحب الحسنات وأهلها ويبغض السيئات وأهلها . فهو يحب كل مأمور به أمر إيجاب أو أمر استحباب ، وكل ما حمده وأثنى [عليه] من الصفات ، مثل العلم ، والإيمان ، والصدق ، والعدل ، والتقوى ، والإحسان ، وغير ذلك . ومحب المحسنين ، ومحب التوابين ، ومحب المتطهرين ، ومحب المحسنين ، والذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، ويبغض الكفر وأنواعه ، والظلم والكذب والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أغير منه ، وكل ما حرم له يبغضه .

فإذا كان مع الجمال - أو غيره مما فيه وجه حبها - ما هو ببعض من الفواحش أو

(١) مضى تخریج الحديث من قبل .

الكذب أو الظلم أو غير ذلك، كما ذكره في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبُّ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [سورة الأعراف، الآية: ٣٣]. فإن ذلك يفوت ما هو أحب إلى الله من الجمال بكثير ويوجب من مقت الله وبغضه ما هو أعظم بكثير مما لمجرد الجمال من الحب، ويوجب / النهي عَنِّي يوجب هذه السيئات الكثيرة، ويفوت الجمال الأفضل، وهو كمال الخلق وحسنه، وما في ذلك من الحسنات، وكان ما في ذلك من المبغضات وترك المحبوبات راجحاً على الحب الذي للجمال.

وعلى هذا يجري [الأمر]: على محبة الإنسان للشيء الجميل من الصورة والنظر إليه، وما يدخل في ذلك من قوة الحب والزيادة فيه التي تسمى العشق، فإن ذلك إذا خلا عن المفسدة الراجحة، مثل أن يحب الإنسان امرأته وجاريته حباً معتدلاً، أو يحب مالافتة فيه، كحبه للجميل من الدواب والثياب، ويحب ولده وأباه وأمه، ونحو ذلك من محبة الرحم، كنوع من الجمال، الحب المعتدل - فهذا حسن.

أما إذا أحب النساء الأجانب أو المردان ونحو ذلك. فهذا الحب متضمن للمحبة الحيوانية، وليس في ذلك مجرد محبة الجمال، والمحبة الحيوانية مما يبغضها الله ويمقتها، وتتابعها منهي [عنها] مع ذلك، سواء كان مع المحبة فعل الفاحشة الكبرى، أو كانت للتتمع بالنظر والسماع وغير ذلك.

فالتمتع مقدمات الوطء، فإن كان الوطء حلالاً جلت مقدماته، وإن كان الوطء حراماً حرمت مقدماته، وإن كان في ذلك رفض للجمال، كما فيه رفض للذلة الوطء المحرم، فإن ما في ذلك مما يبغضه الله، ويمقت عليه، أعظم مما في مجرد الجمال من الحب المتضمن، وذلك متضمن لتفويت محاب الله من التقوى والعفاف والإقبال على مصالح الدين والدنيا، أعظم بكثير مما فيها من مجرد حب

الجمال، فلهذا كانت هذه مذمومة منيّا عنها، حتى حرم الشارع النظر في ذلك بلذة وشهوة، ويعير لذة وشهوة، إذا حاف [الناظر] الفتنة، والفتنة مخوفة من النظر إلى الأجنبية الحسنة، والأمرد الحسن في أحد قولي العلماء، الذي يصححه كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما، وهذا قد يختلف باختلاف / العادات والطبائع .

وأما النظر للحاجة من غير شهوة ولا لذة فيجوز .

ولهذا لم يأمر الله ولارسول ولا أهل العلم والإيمان بعشق الصور الجميلة، ولأنثوا على ما كان كذلك، وكذلك العقلاء من جميع الأمم . ولكن طائفة من المتصوفة والمتصوفة تأمر بذلك وتنبي عليه، لما فيه - زعموا - من إصلاح النفس ورياضتها، وتهذيب الأخلاق، واكتساب الصفات المحمدودة: من السماحة، والشجاعة، والعلم، والفصاحة، والاختيال ونحو ذلك من الأمور، حتى أن طائفة من فلاسفة الروم والفرس ومن اتبعهم من العرب تأمر به، وكذلك طائفة من المتصوفة، حتى يقول أحدهم: ينبعي للمريد أن يتخذ له صورة يجتمع قلبه عليها، ثم ينتقل منها إلى الله . وربما قالوا: إنهم يشهدون الله في تلك الصورة، ويقولون: هذه مظاهر الجمال، ويتأنلون قوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» على غير تأويله .

فهؤلاء - وأمثالهم - من يدخل في ذلك [يزعمون أن طريقهم موافق] لطريق العقل والدين والخلق، وإن اندمج في ذلك من الأمور الفاحشة ما يندرج .

وهؤلاء لهم نصيب من قوله تعالى: «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء». [سورة الأعراف، الآية: ٢٨] .

لكن العرب الذين كانوا سبب نزول هذه الآية إنما كانت فاحشتهم - التي قالوا فيها ما قالوا - طائفهم باليت عراة، لاعتقادهم أن ثيابهم التي عصوا الله فيها لا تصلح أن يعبد الله فيها، فكانوا ينزعون عبادة الله عن ملامسة ثيابهم، فيقعون

فِي الْفَاحِشَةِ، الَّتِي هِيَ كَشْفُ عُورَاتِهِمْ .
وَأَمَّا هُؤُلَاءِ فَأَمْرُهُمْ أَجْلٌ وَأَعْظَمُ، إِذْ غَايَةُ مَا كَانُ أُولَئِكَ يَفْعَلُونَ طَوَافُ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ عَرَاءٌ مُخْتَلِطِينَ، حَتَّىٰ كَانَتْ [الْمَرْأَةُ مِنْهُمْ] تَقُولُ :

الْيَوْمِ يَدُوِّ بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا [مِنْهُ] فَلَا أَحْلَمُ
وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْأَخْتِلَاطُ وَالْإِجْتِمَاعُ إِلَّا فِي عِبَادَةٍ ظَاهِرَةٍ، لَا يَتَأْتِي فِيهَا فَعْلُ
الْفَاحِشَةِ الْكَبِيرِيَّ، وَلَمْ يَقْصِدُوهَا بِالْتَّعْرِيِّ إِلَّا التَّنْزِهُ مِنْ لِبَاسِ الذَّنْبِ بِزَعْمِهِمْ^(١) .
فَالَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْمَرْدَانِ لِسَمَاعِ الْمَكَاءِ وَالْتَّصْدِيَّةِ،
وَيَطْفَئُونَ الْمَصَابِيحَ حَتَّىٰ لَا يَرَى أَحَدُهُمُ الْآخَرَ، حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ غُنَاءِ وَزَنَّا
وَمَطَاعِمِ خَبِيثَةَ، وَجَعَلُوا ذَلِكَ عِبَادَةً - فَهُؤُلَاءِ شَرٌّ مِنْ أُولَئِكَ بِلَا رِيبٍ، إِنَّ هُؤُلَاءِ
فَتَحُوا أَبْوَابُ جَهَنَّمَ .

كَمَا رَوَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ : «سَئَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ؟
فَقَالَ : الْأَجْوَافَانِ : الْفَمُ وَالْفَرْجُ» . قَالَ التَّرمِذِيُّ : حَسْنٌ صَحِيحٌ^(٢) .

(١) ذَكَرَ الطَّبرَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (ط. الْمَعَارِفِ) ٣٧٧ / ١٢ - ٣٧٩ الأَقْوَالُ الْمُخْتَلِفَةُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ ٢٨ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، وَهِيَ مُوافِقَةُ لِكَلَامِ ابْنِ تَيْمَيَّةِ هُنَا، وَأَوْرَدَ الْبَيْتُ الْمُذَكُورُ هُنَا، كَمَا ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (ط. دَارُ الشَّعْبِ ٣٦٨ / ٣) الْبَيْتُ وَمَا ذُكِرَهُ بِمُجَاهِدٍ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ ثُمَّ قَالَ : «قَلْتَ : كَانَتِ الْعَرَبُ - مَاعِدَا قَرْيَشَ - لَا يَطْفَوُنَّ بِالْبَيْتِ فِي ثِيَابِهِمُ الَّتِي لَبِسُوهَا، يَتَأْلُوْنَ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَطْفَوُنَّ فِي ثِيَابِ عَصْرَ اللَّهِ فِيهَا . وَكَانَتْ قَرْيَشُ - وَهُمُ الْحُمْسُ - يَطْفَوُنَّ فِي ثِيَابِهِمُ، وَمِنْ أَعْارَهِهِمْ أَحَسِنَ ثَوْبًا طَافَ فِيهِ، وَمِنْ مَعِهِ ثَوْبٌ جَدِيدٌ طَافَ فِيهِ، ثُمَّ يَلْقَيْهِ فَلَا يَتَمَلَّكُهُ أَحَدٌ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ثَوْبًا جَدِيدًا، وَلَا أَعْارَهُ أَحَسِنَ ثَوَابًا، طَافَ عَرِيَّاً» .

(٢) الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي : سِنَنِ التَّرمِذِيِّ ٢٤٥ / ٣ (كِتَابُ الْبَرِّ، بَابُ مَاجَاءِ فِي حَسْنِ الْخَلْقِ) وَنَصْهُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَئَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْثَرُ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، قَالَ : تَقْوَى اللَّهُ وَحْسِنُ الْخَلْقِ . وَسَئَلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّاسَ النَّارَ، قَالَ : الْفَمُ وَالْفَرْجُ» قَالَ التَّرمِذِيُّ : «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ» . وَجَاءَ الْحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضًا فِي : سِنَنِ ابْنِ مَاجَةِ ١٤١٨ / ٢ (كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الذَّنْبِ) إِلَّا أَنَّ فِيهِ : «الْأَجْوَافَانِ : الْفَمُ وَالْفَرْجُ»؛ وَفِي الْمُسْنَدِ (ط. الْمَعَارِفِ) ٣٩٢ / ٢، (ط. الْحَلَبِيِّ) ٤٤٢ .

وكذلك رُوي عنه أنه قال: «أَخُوفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ شَهْوَاتُ الْغِيِّ فِي بَطْوَنِكُمْ وَفِرْوَجِكُمْ، وَمَضَلَّاتُ الْفَتْنِ»^(٢).

وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حِجَبَتِ النَّارُ بِالشَّهْوَاتِ، وَحِجَبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمُكَارَهِ». وفي رواية مسلم: «حُفْتُ» مكان «حِجَبَتِ»^(٣).

وإذا كانت النار محجوبة ومحفوفة بالشهوات، لم يُدخل النار إلا بها، وإذا كانت الجنة محجوبة ومحفوفة بالمكاره، لم يُدخل الجنة إلا بها.

وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي مابين لحبيه وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(٤).
ومابين لحبيه يتناول الكلام والطعام.

(١) ورد الحديث عن أبي بزرة الأسلمي رضي الله عنه في: المسند (ط. الحلبي) ٤/٢٠ من طريقين، ولفظ الأول: «إِنَّ مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهْوَاتُ الْغِيِّ فِي بَطْوَنِكُمْ وَفِرْوَجِكُمْ وَمَضَلَّاتُ الْفَتْنِ». ولفظ الطريق الثاني (وتكرر ٤/٤٢٣) عما يُمثل له إلا أن فيه... ومضلات المهوى». وروى الهيثمي الحديث في «جمع الزوائد» ٧/٥٠٥ - ٣٠٦. وقال: «رواه أَحْمَدُ ورَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِّحِ».

(٢) جاء الحديث بلفظ «حِجَبَتِ» أحياناً وبلفظ «حُفْتُ» أحياناً، وجاء مختصراً في مواضع ومطولاً في مواضع أخرى عن أبي هريرة في مواضع عن أنس في مواضع أخرى في: البخاري ٨/١٠٢ (كتاب الرفاق، باب حِجَبَتِ النَّارِ بِالشَّهْوَاتِ)؛ مسلم ٤/٢١٧٤ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، الحديثان ١، ٢)؛ سنن أبي داود ٤/٣٢٦ - ٣٢٧ (كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار)، سنن الترمذى ٤/٩٧ - ٩٨ (كتاب صفة الجنة، باب ماجاء: حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)؛ المسند (ط. المعارف) ١٦/٢٦٥ - ٢٦٦، ١٧، ٣٧. وجاء الحديث في سنن النسائي والدارمي وفي الموطأ والمسند (ط. الحلبي) في مواضع كثيرة. والرواية المطلولة أولاً (وهذا لفظ أبي داود): «لَا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ جَبْرِيلُ: اذْهَبْ فَانظُرْ إِلَيْهَا... الْحَدِيثُ».

(٣) الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه في: البخاري ٨/١٠٠ (كتاب الرفاق، باب حفظ اللسان... إلخ)، سنن الترمذى ٤/٣٠ (كتاب الزهد، باب ماجاء في حفظ اللسان وأوله: من يتوكّل لي مابين... أتوكّل له بالجنة). وجاء الحديث في نفس المكان ٤/٣٠ - ٣١. عن أبي هريرة بلفظ: من وقاه الله شر مابين... دخل الجنة وانظر المسند (٥١/٣٣٣).

كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي شريح الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١). فبَيْنَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَنْ ضَمَنَ لِهِ ذَنْبَنِ ضَمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ مَنْ هَذِنِ يُدْخِلُ النَّارَ، وَهَذَا حَرَّمَ اللَّهُ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَحَرَّمَ أَيْضًا اِنْتِهَاكَ الْأَعْرَاضِ، وَجَعْلِ / فِي الْقَدْفِ بِالْفَاحِشَةِ مِنَ الْعَقُوبَةِ الْمُقْدَرَةِ - وَهِيَ حد القذف - [ثمانين] جملة.

وبَيْنَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الزَّنَنِ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَأَنَّ قَذْفَ الْمَحْصُنَاتِ الْغَافِلَاتِ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَبَائِرِ، إِذَا لَمْ يَأْتِ عَلَيْهِ [الْقَادِفُ] بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ، فَإِنَّهُ أَظْهَرَ مَا يُحِبُّ اللَّهُ إِخْفَاءَهُ.

كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَحْبُّونَ أَنْ تُشْيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» . [سورة النور، الآية: ١٩].

وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مَعَافٌ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيلِ عَمَلًا ثُمَّ يَصْبِحَ وَقْدَ سَرَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ عَمِلْتَ الْبَارَحَةَ كَذَا وَكَذَا، بَاتٍ يَسْرَرُهُ رَبُّهُ وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سَرَّهُ»^(٢).

وقال: «مَنْ ابْتَلَى مِنْ هَذِهِ الْقَادِرَةِ بِشَيْءٍ فَلِيُسْتَرِّ بِسْتَرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مِنْ يَدِي لَنَا

(١) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال الترمذى: وفي الباب عن عائشة وأنس وأبي شريح الكعبي وهو العدوى واسمه خويلد بن عمرو) في: البخارى ١١/٨ (كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر... إلخ)، ٣٢/٨ (عن أبي شريح) (كتاب الأدب، باب إكرام الضيف... إلخ)، ١٠٠/٨ (كتاب الرفاق، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر...) مسلم ١/٦٨ (كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير)، سنن الترمذى ٤/٧٠ (كتاب القيامة، باب منه)؛ المسند (ط. المعارف) ٤٩/١٤ . (ط. الحلبي) ٢/٤٣٣، ٤/٣١ . وهو في مواضع أخرى في المسند.

(٢) الحديث بلفاظ مقاربة عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخارى ٨/٢٠ (كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه)؛ مسلم ٤/٢٩١ (كتاب الرهد، باب النبي عن هتك الإنسان ستر نفسه).

صفحته نقم عليه كتاب الله^(١).

وفي الصحيحين عن صفوان بن حمز أن رجلاً سأله ابن عمر: كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كتفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، [ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم] فيقرره. ثم يقول سترتها عليك في [الدنيا] وأنا أغفرها لك اليوم»^(٢). وهذا يكثر وقوع الناس في أحد هذين الذنبين.

فمن الناس من يبتلي بالفاحشة وإن كان ممسكاً عن الكلام، ومن الناس من يبتلي بالكلام والاعتداء على غيره بلسانه وإن كان عفيفاً عن الفاحشة.

وأيضاً فإن [من] الكلام المنهي عنه: الخوض في الدين بالبدع والضلالات، مع تضمنه لشهوة الطعام. وما بين الفرجين يتضمن أقوى الشهوات، وذلك من الاستمتاع بالخلق في الدنيا، كما جمع [الله تعالى] بينها بقوله: «فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وحضرتم كالذى خاضوا». [سورة التوبه، الآية: ٦٩]. الأول: يتضمن الشهوات. والثاني: يتضمن الشهوات. الأول يتضمن الدين الفاسد. والثاني يتضمن الدنيا/ الفاجرة.

وكان السلف يحذرون من هذين النوعين: من المبتدع في دينه، والفاجر في

(١) الحديث عن زيد بن أسلم رضي الله عنه في: الموطأ / ٢٤٥ (كتاب الحدود، باب ماجاء فيمن اعترف على نفسه بالزنا) ولفظه: أن رجلاً اعترف على نفسه بالزنا.. فأمر به رسول الله ﷺ فجلد. ثم قال: «أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله. من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله، فإنه من يدعي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله».

(٢) الحديث عن صفوان بن حمز رضي الله عنه في: البخاري / ٨ (كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه)، ٩/٤٤٨ (كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيمة مع الأنبياء وغيرهم)، مسلم ٤/٢١٢٠ (كتاب التوبه، باب قبول توبه القاتل...) وأوله: يُدْنِي المؤمن.. الحديث. وجاء الحديث مطولاً في المسند (ط. المعارف) ٧/٢٥٤، ٨/١٥٥ - ١٥٦.

دنياه. كل من هذين النوعين - وإن لم يكن كفراً عضواً - فهذا من الذنوب والسيئات التي تقع من أهل القبلة.

و الجنس البدع وإن كان شرّاً، لكن الفجور شر من وجه آخر، وذلك أن الفاجر المؤمن [لا] يجعل الفجور شرّاً من الوجه الآخر الذي هو حرام عرض، لكن مقرؤنا باعتقاده لحريمه، وتلك حسنة في أصل الاعتقاد، وأما المبتدع فلابد أن تشتمل بدعته على حق وباطل، لكن يعتقد أن باطلها حق أيضاً، ففيه من الحسن ماليس في الفجور، ومن السيء ماليس في الفجور، وكذلك بالعكس. فمن خلص من الشهوات المحرّمة والشهوات المبتدة وجبت له الجنة. وهذه [هي] الثلاثة: الكلام المنهي عنه، والطعام المنهي عنه، والنكاح المنهي عنه. فإذا اقترن بهذه الكبائر استحلالها كان ذلك أمراً، فكيف إذا جعلت طاعة وقربة وعقلأً وديننا؟!

وهؤلاء هم الذين يستحقون عقوبة أمثالهم من الأمم. كما ثبت في الصحيح أنه يكون في هذه الأمة من يمسخ قردة وختازير، وكما روي أنه سيكون فيه خسف وقدف ومسخ.

وقال بعض السلف في قوله تعالى: **﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾**. [سورة هود، الآية: ٨٣]. أي من ظالمي هذه الأمة^(١). وفي ذلك من الأحاديث ما يضيق هذا الموضع عن ذكره، وفي عامتها يذكر استحلالهم [لها].

وأصل الضلال والغيبة من هؤلاء الذين يستحسنون عشق الصور ويحمدونه ويأمرون به - وإن قيوده مع ذلك بالعفة - أن المحبة هي أصل كل حركة في العالم، فالنفس إذا لم يكن فيها حركة، ولا هي قوية الهمة والإرادة حتى تحصل لها حبّة

(١) في تفسير الطبرى (ط. بولاق) ٥٩/١٢: «عن قتادة في قوله: (وما هي من الظالمين بعید). قال يعني ظالمي هذه الأمة. قال: والله ما أجار منها ظالماً بعد».

شديدة، كانت تلك المنهيات عنها هي أصول الشر، وهي التي إذا ظهرت قامت الساعية.

كما في الصحيح عن أنس أنه قال: لأحدنكم حديثاً / لا يحدنكم أحد بعدى، سمعته من النبي ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال، وتكثر النساء حتى يكون خمسين امرأة قيم واحد»^(١).

فمن ظهور الجهل ظهور الكلام في الدين بغير علم، وهو الكلام بغير سلطان من الله - وسلطان الله كتابه - ومن ظهور الزنا ظهور اللواط - وإن كان له اسم يخصه - فهو شر نوعي الزنا، ولكون ظهور شهوات الغي - البطن والفرج - هي أغلب ما يدخل الناس النار، كما ذكر ذلك النبي ﷺ فيها أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لا يزني الرازي حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»^(٢).

والسرقة بالمال الذي [هو] أعظم مقصد الأكل، وهذا يعبر عن أخذه بالأكل، كقوله [تعالى]: «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ» . [سورة البقرة، الآية: ١٨٨]. وهذه الثلاثة هي التي يعقد الفقهاء فيها أبواب الحدود: [باب] حد الزنا،

(١) الحديث - بلفاظ متقاربة - عن أنس بن مالك رضي الله عنه في: البخاري ١/٢٣ (كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل)، ٣٧/٧ (كتاب النكاح، باب يقل الرجال ويكثر النساء)، ١٠٤/٧ (كتاب الأشربة، أول الكتاب)، ١٦٤/٨ (كتاب الحدود، باب إثم الزنا)، مسلم ٤/٢٠٥٦ (كتاب العلم، باب رفع العلم وقضيه)، سنن الترمذى ٣/٣٣٣، سنن ابن ماجة ٢/١٣٤٣ (كتاب الفتن باب أشراط الساعة)، المسند (ط. الحلبي) ٩٨/٣، ١٧٦.

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخاري ١٦٤/٨ (كتاب الحدود، باب إثم الزنا).

باب حد السرقة، باب حد شرب الخمر، ورابعها باب حد القذف - مندرجة فيها بين لحبيه وبين رجليه .

وقد روی هذا الحديث البخاري^(١) عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزِنِ الْعَبْدُ حِينَ يَزِنُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يُسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرُبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرُبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ [وَلَا يُقْتَلُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ]». قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ؟ قال: هكذا وشبيك بين أصابعه . ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبيك بين أصابعه^(٢) فإذا اقترب بهذه الكبائر تلك المحبة [في نفس صاحبها فإنها] توجب حركتها وقوة إرادتها، فيعطي من المال مالم يكن يعطيه، / ويقدم على مخاوف لم يكن يقدم عليها، ويختال ويدبر مالم يكن يختاله ويدبره قبل ذلك، ويصير واهماً من التفكير والنظر مالم يكن قبل ذلك، فلما رأوا ما فيه من هذه الأمور التي هي من جنس المحمودات حمدوه بذلك. وهذا من جنس من حمد الخمر لما فيها من الشجاعة والكرم والسرور ونحو ذلك .

وذلك أن هؤلاء كلهم لحظوا ما فيها من جنس المحبوب، وأغللوا ماتتضمنه من

(١) ١٦٤/٨ (كتاب الحدود، باب إثم الزناة) .

(٢) هذا الحديث في هذا الموضع عن ابن عباس رضي الله عنهم، وورد قبل قليل عن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري . والحديث عن أبي هريرة أيضاً في: البخاري ١٣٦/٣ (كتاب المظالم، باب النبي بغير إذن صاحبه)، ١٠٤/٧ (كتاب الأشربة، باب إنما الخمر والميسر والأنصاب والأذالم رجس من عمل الشيطان)، ١٥٧/٨ (كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر)، مسلم ١/٧٦، ٧٧ (كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله)، سنن أبي داود ٤/٣٠٦ (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)، سنن الترمذى ٤/١٢٧ (كتاب الإيمان، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن)، سنن ابن ماجة ٢/١٢٩٨ - ١٢٩٩ (كتاب الفتنة، باب النهي عن النهبة)، سنن الدارمي ٢/١١٥ (كتاب الأشربة، باب في التغليظ لمن شرب الخمر)، المسند (ط. المعارف) ٤١/١٣ .

جنس المذموم . فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم ، وفساد الخلق والدين ، والاشغال عن مصالح الدين والدنيا ، أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود .

وأصدق شاهد على ذلك ما يُعرف من أحوال الأمم وسماع أخبار الناس في ذلك ، [فهو] يعني عن معاينته ذلك وتجربته ، ومن جرّب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية ، فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته .

ولهذا قال أبو القاسم القشيري في رسالته^(١) : « ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث . ومن ابتلاء الله بشيء من ذلك في جماع الشيوخ : هذا عبد أهانه الله وخذله ، بل عن نفسه شغله ، ولو لألف ألف كرامة أهله . وهب أنه بلغ رتبة الشهداء ، لما في الخبر من التلويح بذلك ، أليس قد شغل ذلك القلب بمخلوق !؟ وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب ، حتى يعد ذلك يسيراً ، [وقد] قال الله تعالى : ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هَيْنَا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ . [سورة النور ، الآية : ١٥] .

وهذا الواسطي [رحمه الله] يقول : إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان والجيف » .

وقال^(١) : « سمعت أبا عبدالله الصوفي يقول : سمعت محمد بن أحمد النجاري يقول : سمعت أبا عبدالله الحصري / يقول : سمعت فتحاً الموصلي يقول : صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يدعون من الأبدال ، فكلهم أوصوني عند فراقهم إياهم ، و قالوا [لي] : اتق معاشرة الأحداث و مخالطتهم .

ومن ارتقى في هذا الباب عن حال الفسق ، وأشار إلى أن ذلك من بلايا

(١) ٧٤٤ - ٧٤٥ .

(٢) بعد كلامه السابق مباشرة (٧٤٥ / ٢)

الأرواح، وأنه لا يضر، فما قالوه من وساوس القائلين بالسماع^(١)، وإيراد حكايات عن [بعض] الشيوخ^(٢)، كان الأولى بهم إسبال السر على هناتهم وآفاتها، فذلك نظير الشرك وقرنين الكفر.

فليحذر المريد [من] مجالسة الأحداث ومخالطتهم، فإن اليسير منه فتح باب الخذلان، وبداء حال الهجران، ونوعذ بالله من قضاء السوء».

وهنا أصل عظيم نافع يجب اعتباره، وهو أن الأمور المذمومة في الشريعة - كما ذكرناه - هو ماترجمح فساده على صلاحة، كما أن الأمور المحمودة ماترجمح صلاحة على فساده، فالحسنات تغلب فيها المصالح، والسيئات تغلب فيها المفاسد، والحسنات درجات بعضها فوق بعض، والسيئات بعضها أكبر من بعض، فكما أن أهل الحسنات ينقسمون إلى الأبرار المقتضدين والسابقين المقربين، فأهل السيئات ينقسمون إلى الفجّار الظالمين والكفار المكذبين، وكل من هؤلاء هم درجات عند الله.

ومن المعلوم أن الحسنات كلما كانت أعظم كان صاحبها أفضل، فإذا انتقل الرجل من حسنة إلى أحسن منها، كان في مزيد التقرّب، وإن انتقل إلى ما هو دونها، كان في التأخّر والرجوع. وكذلك السيئات كلما كانت أعظم كان صاحبها أعلى بالغضب واللعنـة والعقاب.

وقد قال تعالى: «لا يُستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة». [سورة النساء، الآية: ٩٥]^(٢).
وقال: «أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام». إلى قوله: «الذين

(١) في «القشيرية» بالشاهد. وفي الأصل: «بالسما» وبعدها بياض بمقدار كلمة. ورجحت أن يكون الصواب «بالسماع».

(٢) في الأصل حرف الآية هكذا لا يُستوى المؤمنون من القاعدون

آمنوا وهاجروا وجاحدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون». [سورة التوبه، الآية: ٢٠]^(١).

وقال: «لا يُستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل». [سورة الحديد، الآية: ١٠].

وقال: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات». [سورة المجادلة، الآية: ١١].

وكذلك قال في السيئات: «إنما النسيء زيادة في الكفر». [سورة التوبه، الآية: ٣٧].

وقال: «زدناهم عذاباً فوق العذاب». [سورة سورة النحل، الآية: ٨٨].

وقال: «وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسها إلى رجسهم». [سورة التوبه، الآية: ١٢٥].

وقال: «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا». [سورة البقرة، الآية: ١٠].

وقال: «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزد الظالمن إلا خساراً». [سورة الإسراء، الآية: ٨٢].

وعلومنا أن التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات، وهذا لا يحيط جميع السيئات إلى التوبة. والردة هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات، وهذا لا يحيط جميع الحسنات إلا الردة عن الإيمان.

وكذلك ما ذكرناه في تفاوت السيئات، هو في الكفر والفسق والعصيان، فالكفار بعضهم دون بعض. وهذا يذكر الفقهاء في باب الردة والإسلام: انتقال الرجل - كأحد الزوجين - من دين إلى دين آخر: انتقال إلى دين خير من دينه، أو دون دينه، أو مثل دينه، فيقولون: إذا صار الكتابي مجوسياً أو مشركاً فقد انتقل إلى شر من دينه، وإذا صار المشرك أو المجوسى كتابياً فقد انتقل إلى خير من دينه،

(١) سقطت كلمة « وأنفسهم» من الآية الكريمة في الأصل.

وإذا تهود النصراني - أو بالعكس - فقد انتقل إلى نظير دينه . والتمجس يُقر عليه بالاتفاق ، وأما الإشراك فلا يُقر عليه إلا بعض الناس عند بعض العلماء ، والصوابة نوعان عند المحققين ، وعلى قولين عند آخرين . ومعرفة مراتب الأديان محتاج إليها في مواضع كثيرة لمعرفة مراتب الحسنات .

والفقهاء يذكرون ذلك لأجل معرفة أحكامهم وتناكحهم وذبائحهم ، وفي
دمائهم وقتاهم وإقرارهم بالجزية المضروبة عليهم ، ونحو ذلك من الأحكام التي
جاء بها الكتاب والسنة في أهل الملل والأحزاب ، الذين قال الله فيهم : ﴿وَمَن
يَكْفِرْ بِهِ مِنَ الْأَهْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ . . [سورة هود، الآية: ١٧].

وقد قال الله تعالى لنبيه: «فَلَذِلْكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمْرَتْ وَلَا تَنْفُعْ أَهْوَاءُهُمْ وَقُلْ أَمْنَتْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمْرَتْ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ». [سورة الشورى، الآية: ١٥].

والعدل وضع كل شيء في موضعه، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه. وهذا لما اقتلت فارس المجرم والروم النصارى، وكان النبي ﷺ بمكة إذ ذاك، وهو في طائفة قليلة من آمن به، كان هو وأصحابه يحبون أن تغلب الروم، لأنهم أهل كتاب، وكان المشركون يحبون أن تغلب فارس، لأنهم من جنسهم، ليسوا أهل كتاب، فأنزل الله في ذلك: **﴿آمَّا مَنْ غَلَبَ الرُّومَ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾**. [سورة الروم، الآية: ٢١]. والقصة مشهورة في كتب الحديث والتفسير والمعازى.

وإذا كان كذلك فقد يكون الرجل على طريقة من الشر عظيمة، فينتقل إلى ماهو أقل منها شرًا وأقرب إلى الخير، فيكون حمد تلك الطريقة ومدحها لكونها طريقة الخير المدوحة. مثال ذلك أن الظلم كله حرام مذموم، فأعلاه الشرك، فإن الشرك لظلم عظيم، والله لا يغفر أن يشرك به، وأوسطه ظلم العباد بالبغى والعدوان، وأدنىه ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله، فإذا كان الرجل مشركًا كافرًا فأسلم باطئًا وظاهرًا، بحيث صار مؤمنًا، وهو مع إسلامه يظلم الناس ويظلم

نفسه، فهو خير من أن يبقى على كفره ولو كان تاركًا لذلكر الظلم.

وأما إذا أسلم ظاهراً فقط، وهو منافق في الباطن، / فهذا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار. وأما في الدنيا فقد يكون أضرًّا على المسلمين منه لو بقي على كفره، وقد لا يكون كذلك، فإن إضرار المنافقين بالمؤمنين مختلف باختلاف الأحوال.

لكن إذا أسلم نفاذًا فقد يرجى له حسن الإسلام فيصير مؤمنًا، كمن أسلم تحت السيف، وكذلك من أسلم لرغبة أو لرهة أو نحو ذلك. فالإسلام والإيمان أصل كل خير وجماعة.

وكذلك [من] كان ظالماً للناس في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، فانتقل عن ذلك إلى ما يظلم به نفسه خاصة: من حمر وزنا، فهذا أخف لإنthem وأقل لعذابه. وهكذا النحل التي فيها بدعة، قد يكون الرجل راضياً فيصير زيدياً، كذلك خير له. وقد يكون جهemic قدرياً فيصير جهemic غير قدرى، أو قدرياً غير جهemic. أو يكون من الجهمية الكبار، فيتجهم في بعض الصفات دون بعض، ونحو ذلك.

فهؤلاء المتكلفة والمتصوفة ونحوهم، من مدح العشق والغناه ونحو ذلك، وجعلوه مما يستعينون به على رياضة أنفسهم وتهذيبها وصلاحها من هذا الباب، فإن هؤلاء في طريقهم من الشرك والضلال مالا يحصيه إلا ذو الحال، فإن المتكلفة قد يعبدون الأوثان والشمس والقمر ونحو ذلك، فإذا صار أحدهم يروض نفسه بالعشق لعبادة الله وحده. أو رياضة مطلقة لا يعبد فيها غير الله، كان ذلك خيراً له من أن يعبد غير الله.

وكذلك الاتحادية الذين يجعلون الله هو الوجود المطلق، أو يقولون: إنه يحل في الصور الجميلة، متى تاب الرجل منهم من هذا، وصار يسكن نفسه بعشق بعض الصور، وهو لا يعبد إلا الله وحده، كانت هذه الحال خيراً من تلك حال.

فهذه الذنوب مع صحة التوحيد، خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب. ولهذا نجد الناس يفضلون من كان من الملوك ونحوهم إنما يظلم نفسه بشرب الخمر والزنا أو الفواحش ويتجنب ظلم الرعية، ويتحرى العدل فيهم، على من كان يتتجنب الفواحش والخمر والزنا ويت慈悲 لظلم الناس في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم.

وهؤلاء الظالمون قد يجعلون الظلم ديناً يتقررون به بجهلهم، كما أن أولئك الظالمين لأنفسهم قد يجعلون ذلك بجهلهم ديناً يتقررون به. فالشيطان قد زين لكثير من هؤلاء وهؤلاء سوء عملهم فرأوه حسناً.

لكن كثير من الناس يجمعون بين هذا وهذا، فإن من عقوبة السيئة بعدها، ومن ثواب الحسنة بعدها. والحسنات والسيئات قد تتلازم ويدعو بعضها إلى بعض. كما في الصحيح عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).

فالصدق مفتاح كل خير، كما أن الكذب مفتاح كل شر. ولهذا يقولون عن

(١) الحديث - بلفاظ مقاربة - عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في: البخاري ٢٥/٨ (كتاب الأدب، باب قوله تعالى: «بِأَيْمَانِ الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَا اللَّهَ وَكَوْنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»)، مسلم ٢٠١٣/٤ (كتاب البر، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) سنن الترمذى ٣/٢٤٢ - ٢٢٥ (كتاب البر، باب ماجاء في الصدق والكذب). سنن أبي داود ٤/٤٠٧ (كتاب الأدب، باب الشديد في الكذب) وأوله: إياكم والكذب... وجاء الحديث مع اختلاف في الألفاظ في: سنن ابن ماجة ١/١٨ (المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل)، سنن الدارمي ٢/٢٩٩ - ٣٠٠) كتاب الرفاق، باب في الكذب، المسند (ط. المعارف) ٥/٢٣١، ٢٧٥، ٣٤٣. وفي عدة مواضع في الجزء السادس منه.

بعض المشايخ إنّه قال لبعض من استتابه من أصحابه: أنا لا أوصيك إلا بالصدق. فتأمّلوا فوجدوا الصدق يدعوه إلى كل خير. ولهذا فرق الله سبحانه بين أهل السعادة وأهل الشقاوة بذلك فقال: «فمن أظلم من كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مشوّى للكافرين* والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقوّن* لهم ما يشاءون عند ربّهم ذلك جزاء المحسنين* ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزّهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون». [سورة الزمر، الآيات: ٣٢ - ٣٥]^(١).

وترتيب الكبائر ثابت في الكتاب والسنّة، كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يارسول أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل الله ندًا وهو خلقك». قلت^(٢): ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك». قلت: ثم أي؟ قال: «أن تراني بحيلة جارك». وتصديق ذلك في كتاب الله: «والذين لا يدعون مع ، الله إلّا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلّا بالحق ولا يزدّنون». [سورة الفرقان، الآية: ٦٨]^(٣).

ولهذا قال الفقهاء: أكبر الكبائر الكفر، ثم قتل النفس بغير حق، ثم الزنا. لكن النبي ﷺ ذكر لابن مسعود من جنس أعلى فأعلى: الكفر: هو أن تجعل الله

(١) الآية ٣٢ في الأصل محرفة تماماً.

(٢) في الأصل: «قال: قلت».

(٣) الحديث - بآلفاظ متقاربة - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في: البخاري ٨/٨ (كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه)، ١٦٤/٨ (كتاب الحدود، باب إثم الزنا). ١٥٢/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: «فلا تجعلوا الله أنداداً»). والحديث في مواضع أخرى في البخاري، وفي: مسلم ١/٩٠، ٩١ (كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، سنن الترمذى ٥/١٧ - ١٨ (كتاب التفسير، تفسير سورة الفرقان)، سنن أبي داود ٢/٣٩٤ (كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا)، سنن النسائي ٧/٨٢ - ٨٣ (كتاب التحرير، باب ذكر أعظم الذنب)؛ المسند (ط. المعارف) ٥/٢١٧، ٦/٧٦، ٦/٨٦، ٦/٨٧ - ٨٨.

نَدَّا، بخلاف الكتَابِيَّ الذي ليس بمشرك، فإنه دون ذلك. وأعظم القتل ولدك، وأعظم الزنا [الزنا] بحليلة الجار.

وهذا كما ذكرنا أن الظلم ثلاث مراتب: الشرك، ثم الظلم للخلق، ثم ظلم النفس. فالقتل من ظلم الخلق. فإذا [كان] قتلاً للولد الذي هو بعضه منك كان فيه الظلمان، والزنا هو من ظلم النفس، لكن إذا كان بحليلة الجار صار فيه الظلمان أيضاً. لكن المغلب في القتل ظلم الغير، والظلم في الزنا ظلم النفس. وهذا كان القود حَقًّا للأدمي إن شاء استوفاه وإن شاء عفا عنه، وكان حد الزنا حَدًّا لله، ليس للأدمي فيه حق معين، لكن قد يقترن ببعض أنواع الزنا، ويقتضي أموراً تضر الناس، يكون بها أعظم من قتل لا يضر به إلا المقتول فقط.

وأيضاً فقتل النفس يدخل فيه من التأويل ما ليس يدخل في الزنا، فإن حلاله /
يُن من حرامه، بخلاف القتل فإن فيه ما يظهر تحريره، وفيه ما يظهر وجوبه أو
ستحبابه أو حله، وفيه ما يشتبه. وهذا جعل الله فيه شيئاً، ولم يجعل ذلك في الزنا
قوله: **﴿ولا يقتلون النفس﴾**. [سورة الفرقان: ٦٨].

فصل

والله قد خلق الصوت الحسن، وجعل النفوس تحبّه وتلتذّبه، فإذا استعننا بذلك في استماع ما أمرنا باستماعه، وهو كتابه، وفي تحسين الصوت به، كما أمرنا بذلك حيث قال: «زينوا القرآن بأصواتكم». وكما كان يفعل أصحابه بحضرته [مثل] أبي موسى وغيره - كنا قد استعملنا النعمة في الطاعة، وكان هذا حسناً مأموراً به، كما كان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى: «يا أبو موسى ذكرنا ربنا» فيقرأ وهم يستمعون. وكان أصحاب محمد ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أنم يقرأ والباقي يستمعون.

فهذا كان استماعهم، وفي هذا السّماع كانوا يستعملون الصوت الحسن، ويجعلون التذاذهم بالصوت الحسن عوناً لهم على طاعة الله وعبادته باستماع كتابه، فيثابون على هذا التذاذ، إذ اللذة المأمور بها المسلم يُثاب عليها كما يُثاب على أكله وشربه ونكاحه، وكما يُثاب على لذات قلبه بالعلم والإيمان، فإنها أعظم اللذات، وحلوة ذلك أعظم الحالات.

ونفس التذاذ وإن كان متولداً عن سمعه /، وهو في نفسه ثواب، فالMuslim يُثاب على عمله وعمل ما يتولد عن عمله، وثواب عما يلتذ به من ذلك ما هو أعظم لذة منه، فيكون متقلّباً في نعمة ربه وفضله.

فأما أن يُستدل بمجرد استلذاذ الإنسان للصوت أو ميل الطفل إليه، أو استراحة البهائم به، على جواز أو استحباب في الدين، فهو من أعظم الضلال، وهو كثير فيمن يعبد الله بغير العلم المنشور.

ومن المعلوم أن الأطفال والبهائم تستروح بالأكل والشرب، فهل يُستدل بذلك على أن كل أكل وشرب فهو حسن مأمور به؟!

وأصل الغلط في هذه الحجج الضعيفة أنهم يجعلون الخاص عاماً في الأدلة المخصوصة، وفي عموم الألفاظ المستنبطة، فيجذبون إلى [أن] الألفاظ في الكتاب والسنة أباحت أو حمّلت نوعاً من السماع، يدرجون فيها سماع المكاء والتصدية، أو يجذبون إلى المعاني التي دلت على الإباحة أو الاستحباب في نوع من الأصوات والسماع، يجعلون ذلك متناولاً لسماع المكاء والتصدية.

وهذا جمع بين مفارق الله بينه، بمنزلة قياس الذين قالوا إنما البيع مثل الربا. وأصل هذا قياس المشركين الذين عدلوا بالله، وجعلوا الله أنداداً سووهم برب العالمين في عبادتها أو اخاذها الهة، وكذلك من عدل رسوله متنبئاً، كمسيلمة الكذاب، أو عدل بكتابه وتلاؤته واستهاعه كلاماً آخر أو قراءته أو سماعه، أو عدل بما شرعه من الدين ديناً آخر شرعه له شركاؤه، فهذا كله من فعل المشركين، وإن دخل في بعضه من للمؤمنين قوم متأولين، فالناس كما قال الله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ». [سورة يوسف، الآية: ١٠٦].

فالشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل، وهذا مقام ينبغي للمؤمنين التدبر فيه، فإنه مابدل دين الله في الأمم المتقدمة وفي هذه الأمة إلا بمثل هذا القياس، وهذا قيل: ماعبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس.

وأصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإنه لم يعدل أحد بالله شيئاً من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به، كمن عمد إلى كلام الله الذي أنزله، وأمر باستهاعه، فعدل به سماع بعض الأشعار.

وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». رواه الترمذى وعيره^(١).

(١) لم أجده هذا الحديث في سنن الترمذى، ولكنى وجدته في سنن الدارمى ٤١/٢ (كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام) ونصه.. عن أبي سعيد الخدري قال: قال =

ورُوي أيضًا عنه: «ما تقرّب العباد إلى الله [شيء]^(١) أحب إليه مما خرج منه»^(٢) يعني القرآن. وهذا محفوظ عن خبّاب بن الأرت، أحد المهاجرين الأولين السابقين. قال: «يا هناء^(٣) تقرّب إلى الله بما استطعت، فلن يُتقرّب إليه شيء = رسول الله ﷺ: «من شغله قراءة القرآن عن مسألي وذكري أعطيته أفضل ثواب السائلين وفضل الكلام على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»، ثم ذكر الدارمي في نفس الصفحة حديثاً آخر عن شهر بن حوشب قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل الكلام على خلقه كفضل الله على خلقه». وشهر ضعيف وذكر البخاري في كتاب «خلق أفعال العباد» ص ١٣٢ (ضمن مجموعة عقائد السلف) مایلی: «وقال أبو عبد الرحمن السلمي: فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرب على خلقه» وذكر أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) المتقدم الذي أورده الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي في سنته في كتابه الرد على الجهمية، ص ٣٢٤ (ضمن مجموعة عقائد السلف) ومن روى هذا الحديث أيضاً عبد الله بن أبى في السنة ص: ٢٢ واللالكاني وأحمد في السنة على الحسن مرفوعاً. وذكر السيوطي في «الجامع الكبير» الحديث ونصله: «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الرحمن على خلقه» ثم قال: «هُب البِهْقِي في شعب الإِيَّان» عن أبي هريرة ورواه في الأسماء والصفات ص: ٢٣٩ .

(١) زدت الكلمة «شيء» إلى الأصل ليستقيم المعنى.

(٢) لم أجد الحديث بهذه الألفاظ في سنن الترمذى فلعل الشيخ رواه من حفظه ولكنني وجدت في سنن الترمذى ٤/٢٤٩ - ٥٠ (كتاب فضائل القرآن، باب منه) حديثين: الأول عن أبي أمامة قال: قال النبي ﷺ: «ما أذن الله لعبد في شيء أفضل من ركعتين يصليهما، وإن البر ليذر على رأس العبد مادام في صلاته، وما تقرّب العباد إلى الله عز وجل بمثل ما خرج منه. قال أبو النصر: يعني القرآن». وقد رُوى هذا الحديث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلاً: ثم ذكر الترمذى حديثاً آخر عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نفير قال رسول الله ﷺ: «إنكم لن ترجعوا إلى الله بأفضل مما خرج منه. يعني القرآن». ثم قال الترمذى: «هذا حديث غريب لأنعرفه إلا من هذا الوجه. وبكر بن حُنْيَس قد تكلم فيه ابن المبارك وتركته في آخر أمره». والحديث أخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك ٤٤١/٢ وعنه البهقى في الأسماء ص ٢٣٦ وقال الحاكم صحيح على شرط الشيختين والحديث صحيح بشواهده.

وأورد الإمام أحمد حديث أبي أمامة المتقدم في مسنده (ط. الحلبي) ٢٦٨/٥ .

(٣) في الأصل ياهسأه (بدون نقطة). وفي «لسان العرب» مادة «هنا» أن قولنا: ياهناء: معناه =

أحب إليه من كلامه»^(٤)، فإذا عدل بذلك مانزه الله عنه ورسوله بقوله تعالى: «وما علمناه الشعر وما ينبغي له». [سورة يس، الآية: ٦٩]. وجعله قرآن للشيطان، كما في الحديث: «فما قرآن؟ قال: الشعر» كان هذا قد عدل كلام الرحمن بكلام الشيطان. وهذا قد جعل الشيطان عدلاً للرحمن، فهو من جنس الذين قال الله فيهم: «فكبّوا فيها هم والغاوون* وجند إبليس أجمعون* قالوا وهم فيها يختصمون* تأله إن كنا لفي ضلال مبين* إذ نسوّيكم برب العالمين». [سورة الشعراء، الآيات: ٩٤ - ٩٨].

والاستدلال بكون الصوت الحسن نعمة، واستلذاذ النفوس به، على جواز استعماله في الغناء، أو استحباب ذلك في بعض الصور، مثل الاستدلال بكون الجمال نعمة، ومحبة النفوس الصور الجميلة، على جواز استعمال الجمال الذي للصبيان في إمتاع الناس به: مشاهدة و مباشرة وغير ذلك، أو استحباب ذلك في بعض الناس به: مشاهدة و مباشرة وغير ذلك، / أو استحباب ذلك في بعض الصور، وهذا أيضًا قد وقع فيه طوائف من المتكلّفة والمتصوّفة والعامّة، كما وقع في الصوت أكثر من هؤلاء، لكن الواقعون في الصور فيهم من له من العقل والدين مالبس هؤلاء، إذ ليس في هؤلاء، إذ ليس في هؤلاء رجل مشهور بين الناس شهرة عامّة، بخلاف أهل السّماع، ولكنهم طرّقوا لهم الطريق، وذرّعوا

= ياغلان. وأنه يقال للرجل: ياهناء . . . ومن قال للذكر: ياهناء وياهناه قال للأني: ياهناء أقلي وياهنتاه.

(٤) في الأصل: من كلام، وهو تحريف. وأرود البخاري الأثر عن خباب بن الأرت في كتابه «خلق أفعال العباد» صفحة ١٣٢ (مجموععة عقائد السلف) فقال: و قال عن خباب بن الأرت رضي الله عنه: تقرّب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تقرب (الكلمة في الأصل المطبوع محرفة ولعل صوابها: تقرب) إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه». قال الحازمي أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن وأحمد في السنة ص: ٢٠ وفي الزهد ص: ٣٥ وأبو سعيد الدارمي والأجري ص: ٧٧ والحاكم وإسناده صحيح.

الذرية، حتى آل الأمر بكثير من الناس أن قالوا وفعلوا في الصوت نظير ما قاله هؤلاء وفعلوه في الصور، يحتجون على جواز النظر إليه والمشاهدة بمثل قوله عليه السلام : «إن الله جيل يحب الجمال»^(١) وينسون قوله : «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٢) .

ويحتجون بما في ذلك من راحة النفوس ولذتها، كما يحتج هؤلاء ويكرمون ذا [الصورة] على ما يبذله من صورته وإشهادهم إياها، كما يكرم هؤلاء ذا الصوت على ما يبذله من صوته وإسماعهم إياه، بل كثيراً ما يجتمع في الشخص الواحد بين الصورة والصوت كما يفعل في المغنيات من القينات.

وقد زين الشيطان لكثير من المتنسكة والعباد أن محبة الصور الجميلة إذا لم يكن بفاحشة فإنها محبة لله، كما زين هؤلاء أن استماع هذا الغناء لله، ففيهم من يقول هذا اتفاقاً، وفيهم من يظهر أنه يحبه لغير فاحشة، ويبطن محبة الفاحشة، وهو الغالب.

لكن ما أظهروه من الرأي الفاسد، وهو أن يحب الله مالم يأمر الله بمحبته، هو الذي سلط المنافق منهم على أن يجعل ذلك ذريعة إلى الكبائر، ولعل هذه البدعة منهم أعظم من الكبيرة مع الإقرار بأن ذلك ذنب عظيم والخوف من الله من العقوبة، فإن هذا غايتها أنه مؤمن فاسق قد جمع سيئة وحسنة، وأولئك مبتدعة ضلال حين جعلوا مانع الله عنه مما أمر الله به، وزين لهم سوء أعمالهم فرأوه

(١) الحديث مع اختلاف في بعض الألفاظ - عن عبدالله بن مسعود وغيره من الصحابة رضي الله عنهم في : مسلم ١/٩٣ (كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه) . وأوله : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...» الحديث. وجاء الحديث في المستند (ط. الحلبي) ٤/١٣٣ - ١٥١، ١٣٤ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في : مسلم ٤/١٩٨٧ (كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم) ، سنن ابن ماجة ٢/١٣٨٨ (كتاب الزهد، باب القناعة) ، المستند (ط. المعرف) ١٤/٢٧٧ (رقم ٧٨١٤) ، ط. الحلبي ٢/٥٣٩ .

حسناً، وبمثلكم يصل أولئك حتى لا ينكروا المنكر إذا اعتقدو أن هذا يكون عبادة الله .

ومن جعل مالم يأمر الله بمحبته محبوناً لله ، فقد شرع ديناً لم يأذن الله به ، وهو مبدأ الشرك . كما قال تعالى : «**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبّاً لله**». [سورة البقرة، الآية: ١٦٥].

فإن حبّة النفوس الصورة والصوت قد تكون عظيمة جداً، فإذا جعل ذلك ديناً وسمّي لله ، صار كالأنداد والطواحيت المحبوبة تديناً وعبادة .

كما قال تعالى : «**وأشربوا في قلوبهم العجل بکفرهم**» [سورة البقرة، الآية: ٩٣]. وقال تعالى عنهم : «**أن امشوا واصبروا على آهتم**». [سورة ص: ٦].

بعخلاف من أحب المحرّمات مؤمناً بأنها من المحرّمات ، فإن من أحب الخمر والغناء والبغى والمحنث ، مؤمناً بأن الله يكره ذلك ويعغضه ، فإنه لا يحبه محبة محبّة ، بل عقله وإيمانه يبغض هذا الفعل ويكرهه ، ولكن قد غلبه هواه - فهذا قد يرحمه الله : إما بتوبه إذا قوي ما في إيمانه من بغض ذلك وكراهته حتى دفع حب الهوى ، وإما بحسنات ماحية ، وإما بمصائب مكفّرة ، وإما بغير ذلك .

أما إذا اعتقد أن هذه المحبة لله ، فإيمانه بالله يقوّي هذه المحبة ويعيدها ، وليس عنده إيمان يزعه عنها ، بل يجتمع فيها داعي الشرع والطبع ، والإيمان والهدا ، وذلك أعظم من شرب النصارى للخمر ، فهذا لا يتوب من هذا الذنب ولا يخلص من وباله إلا أن يهديه الله .

فتبيّن له أن هذه المحبة ليست محبة الله . ولا أمر الله بها ، بل كرهها ونهى عنها ، وإلا فلو ترك أحدهم / هذه المحبة لم يكن ذلك توبة ، فإنه يعتقد أن جنسها دين ، بحيث يرضي بذلك من غيره ويأمره به ويقرّه عليه ، وتركه لها كترك المؤمن بعض التطوعات والعبادات .

وليس في دين الله حبة أحد لحسنة قط ، فإن مجرد الحسن لا يثبت الله عليه ولا يعقوب ، ولو كان كذلك كان يوسف عليه السلام ، مجرد حسنة ، أفضل من غيره من الأنبياء لحسنته ، وإذا استوى شخصان في الأعمال الصالحة ، وكان أحدهما أحسن صورة وأحسن صوتاً ، كانا عند الله سواء ، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم ، يعم صاحب الصوت الحسن والصورة الحسنة ، إذا استعمل ذلك في طاعة الله دون معصيته ، كان أفضل من هذا الوجه ، كصاحب المال والسلطان إذا استعمل ذلك في طاعة الله دون معصيته ، فإنه بذلك الوجه أفضل من لم يشركه في تلك الطاعة ، ولم يُمتحن بما امتحن به ، حتى خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . ثم ذلك الغير إن كان له عمل صالح آخر يساوه به ، وإنما كان الأول أفضل مطلقاً .

وهذا عام لجميع الأمور التي أنعم [الله تعالى بها] على بني آدم وابتلاهم بها ، فمن كان فيها شاكراً صابراً ، كان من أولياء الله المتقيين . وكان من امتحن بمحبة حتى صبر وشكر ، وإن لم يكن المبتلى صابراً شكوراً بل ترك مأمور الله به ، وفعل مانهى الله [عنه] كان عاصياً أو فاسقاً أو كافراً ، وكان من سلم من هذه المحن خيراً منه ، إلا أن يكون له ذنوب أخرى يكفيه بها .

وإن جمع بين طاعة ومعصية ، فإن ترجحت طاعته كان أرجح من لم يكن له مثل ذلك ، وإن ترجحت معصيته كان السالم من ذلك خيراً منه ، فإن كان له مال يتمكن [به] في الفواحش والظلم / فخالف هواه ، وأنفقه فيما يتغير به وجه الله ، أحب الله ذلك منه وأكرمه وأثابه .

ومن كان له صوت حسن فترك استعماله في التخنيث والغناء ، واستعمله في تزيين كتاب الله والتغنى به ، كان بهذا العمل الصالح ، وبترك العمل السيء ، أفضل من ليس كذلك ، فإنه يُثاب على تلاوة كتاب الله ، فيكون في عمله معنى الصلاة ومعنى الزكاة .

ولهذا قال النبي ﷺ: «ماؤذن الله لشيء كاذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به» ، وقال: «الله أشد أذناً للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القيمة إلى قينته» .

ومن كان له صورة حسنة فعفَّ عَمَّا حَرَمَ الله تعالى، وخالف هواه وحمل نفسه بلباس التقوى، الذي قال الله فيه: «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير» . [سورة الأعراف، الآية: ٢٦]. كان هذا الجمال يحبه الله ، وكان من هذا الوجه أفضل من لم يؤت مثل هذا الجمال مالا يُكساه وجه العاصي ، فإن كانت خلقته حسنة ازدادت حُسناً ، وإلا كان عليها من النور والجمال بحسبها .

وأما أهل الفجور فتعلوا وجوههم ظلمة المعصية حتى يُكشف الجمال المخلوق . قال ابن عباس رضي الله عنه: «إن للحسنة لنوراً في القلب ، وضياء في الوجه ، وقوة في البدن ، وزيادة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق ، وإن للسيئة لظلمة في القلب ، [وغيره] في الوجه [وضعفاً] في البدن^(١) ، ونقصاً في الرزق ، وبغضه في قلوب الخلق»^(١) .

وهذا يوم القيمة يكمل حتى يظهر لكل أحد ، كما قال تعالى: «يَوْمَ تُبَيِّضُ وُجُوهٌ وَتُسُودُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدُتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِبْيَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» وأما الذين ابْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . [سورة آل عمران: الآية: ١٠٦ - ١٠٧] .

(١) وانظر كتاب «الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافي» لابن القيم فقد ذكر هذا الأثر وتكلم عليه . وكتاب المعاصي والذنوب وأثراها السيء على الأفراد والمجتمعات والشعوب لابن الحوزي بتحقيقنا .

وقال تعالى / : **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ وَجْهُهُمْ مَسُودَةٌ أَلِيسْ فِي جَهَنَّمْ مَثْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** . [سورة الزمر، الآية: ٦٠].

وقال تعالى : **﴿وِجْهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرٌ إِلَيْهَا نَاظِرٌ وَوِجْهُهُ يَوْمَئِذٍ بَاسِرٌ تَظَنُّ أَنْ يُفْعَلُ بَهَا فَاقْرَأْ﴾** . [سورة القيامة، الآية: ٢٢ - ٢٥].

وقال تعالى : **﴿وِجْهُهُمْ يَوْمَئِذٍ مَسْفَرٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرٌ وَوِجْهُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتْرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكُفَّارُ الْفَجُورُ﴾** . [سورة عبس: ٣٨ - ٤٢] ^(١).

وقال تعالى : **﴿وِجْهُهُمْ يَوْمَئِذٍ خَاسِعٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلِي نَارًا حَامِيَةٌ﴾** . [سورة الغاشية، الآية: ٤ - ٢].

و : **﴿وِجْهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لَسْعِيَهَا رَاضِيَةٌ﴾** . [سورة الغاشية، الآية: ٨ - ٩].

وقال تعالى : **﴿وَإِنْ يَسْتَغْفِلُوا يَغْلُبُوا بَهَاءُ كَالْمَهْلِ يَشْوِي الْوِجْهَ﴾** . [سورة الكهف، الآية: ٢٩].

وقال تعالى : **﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكَ يَنْظَرُونَ تَعْرِفُ فِي وِجْهِهِمْ نَّصْرَةُ النَّعِيمِ﴾** . [سورة المطففين، الآية: ٢٤ - ٢٢].

وقال النبي ﷺ : **«لَا تَرْزَالَ الْمَسْأَلَةَ بِأَحَدِهِمْ حَتَّى يَحْيَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٌ»** ^(٢).

وقال : **«مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يَكْفِيهِ جَاءَتْ مَسْأَلَتَهُ خَدُوشًا أَوْ كَدُوْحًا فِي وَجْهِهِ**

(١) في الأصل لم يذكر الناسخ الآية ٤١ من سورة عبس.

(٢) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: مسلم ٢ / ٧٢٠ (كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس) ونصه فيه: «لَا تَرْزَالَ الْمَسْأَلَةَ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهُ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةٌ لَحْمٌ». قال النووي في شرحه على مسلم ٧ / ١٣٠؟! «مُزْعَةٌ لَحْمٌ: بضم الميم وإسکان الزاي أي قطعة. قال القاضي قيل معناه يأتى يوم القيمة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله وقيل هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسائل بوجهه.

يوم القيمة»^(١).

وقال عليه السلام: «أول زمرة تلجم الجنة على صورة القمر ليلة القدر، والذين يلونهم كأشد كوكب في السماء إضاءة»^(٢). وقال يوم حنين: «شاهدت الوجه»^(٣) لوجوه المشركين.

وأمثال هذا كثير ما فيه وصف أهل السعادة بنهاية الحسن والجمال والبهاء، وأهل الشقاء بنهاية السوء والقبح والعيوب.

وقد قال تعالى في وصفهم في الدنيا: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»، إلى قوله سبحانه: «سيماهم في وجوبهم من أثر السجود»^(٤). [سورة الفتح، الآية: ٢٩]. فهذه السيماء في وجوه المؤمنين. والسيما: العلامة، وأصلها من الوسم، وكثيراً ما يستعمل في الحسن، كما جاء في صفة

(١) الحديث مع اختلاف الألفاظ عن ابن مسعود رضي الله عنه في: سنن الترمذى /٢ - ٨٠ /٨١ (كتاب الزكاة، باب من تحلى له الزكاة)، سنن النسائي /٥ - ٧٢ /٧٣ (كتاب الزكاة، باب حد الغنى)، سنن الدارمى /١ - ٣٨٦ (كتاب الزكاة، باب من تحلى له الصدقة)، مسند أحمد (ط. المعرف) /٥ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٤٩ ، ١١٤ /٦ ، ٢٤٩ ، ١١٤ /٦ .

(٢) الحديث مع اختلاف يسير في الألفاظ عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخارى /٤ - ١١٨ /٤ (كتاب بده الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة)، سنن الترمذى /٤ - ١٣٢ (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة»، مسلم /٤ - ٢١٧٨ - ٢١٧٩ (كتاب الجنة، باب أول زمرة تدخل الجنة)، سنن الترمذى /٤ - ٨٥ (كتاب الجنة، باب ماجاء في صفة أهل الجنة)، سنن ابن ماجة /٢ - ١٤٤٩ (كتاب الزهد، باب صفة الجنة)، سنن الدارمى /١٢ - ١٤٥ ، ١٤٧ - ١٤٧ ، ١٧٤ /١٣ ، ١٧٤ /١٣ .

(٣) الحديث عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في مسلم /٣ - ١٤٠٢ (كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين).

النبي ﷺ: وسيم قسيم^(١).

وقال الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيماء لاتشق على البصر^(٢)

وقال الله تعالى في صفة المنافقين: «ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم سيماءهم». [سورة محمد، الآية: ٣٠]. فجعل للمنافقين سيماء أيضاً.

وقال: «إذا تتنى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر». [سورة الحج، الآية: ٧٢].

فهذه السيماء وهذا المنكر قد [يوجد] في وجه من صورته المخلوقة وضيئه، كما يوجد مثل ذلك في الرجال والنساء والولدان، لكن بالنفاق قبح وجهه، فلم يكن فيه المجال الذي يحبه الله، وأساس [ذلك] النفاق والكذب.

وهذا يوصف الكذاب بسواد الوجه، كما يوصف الصادق ببياض الوجه، كما أخبر الله بذلك. وهذا روى عن عمر بن الخطاب أنه أمر بتعزير شاهد الزور بأن يُسُود وجهه ويركب مقلوباً على الدابة، فإن العقوبة من جنس الذنب، فلما اسود وجهه بالكذب وقلب الحديث سُود وجهه وقلب في ركوبه، وهذا أمر محسوس له قلب، فإن مافي القلب من النور والظلمة. والخير والشر، يسرى كثيراً إلى الوجه والعين، وهما أعظم الأشياء ارتباطاً بالقلب.

(١) وردت صفة النبي ﷺ في كثير من الكتب منها ماجاء في سن الترمذى ٢٥٩ / ٥ (كتاب المناقب، باب ماجاء في صفة النبي ﷺ) «... عن أبي إسحاق قال سأله رجل البراء: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، مثل القمر». وذكر النووي في كتابه «تهذيب الأسماء واللغات» (ط. الميرية) ق ١، ج ١، ص ٢٥ في صفتته ﷺ: «وجهه كالقمر ليلة البدر كأن وجهه القمر». وانظر صفتته في كتابنا «الرسول ﷺ كأنك تراه».

(٢) في الأصل: غلام وضاه.. له سيماء... والتوصيب من «لسان العرب» (سوم). وذكر ابن منظور أن البيت لأسيد بن عنقاء الفزارى.

وقال ابن منظور: «قال ابن بري: وحكى على بن حمزة أن أبا رياش قال: لا يروي بيت ابن عنقاء الفزارى: (غلام رماه الله بالحسن يافعاً) إلا أعمى البصيرة، لأن الحسن مولود، وإنما هو: رماه الله بالخير يافعاً».

ولهذا يروى عن عثمان - أو غيره⁽¹⁾ - أنه قال: «مأسراً أحد بسريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه»، والله قد أخبر في القرآن أن ذلك قد يظهر في الوجه، فقال: «ولو نشاء لأربناكم فلعرفتهم بسيماهم». [سورة محمد، الآية: ٣٠]، فهذا تحت المشيئة ثم قال: «ولتعرفهم في لحن القول». [سورة محمد، الآية: ٣٠]. فهذا مُقسم [عليه] محقق لشرط فيه. وذلك أن ظهور ما في قلب الإنسان على لسانه أعظم من ظهوره في وجهه، لكنه يبدو في الوجه بُدُّوا خفياً يلعمه الله، فإذا صار خلقاً ظهر لكثير من الناس، وقد يقوى السواد والقسمة حتى يظهر لجمهور الناس، وربما مسخ قرداً أو خنزيراً، كما في الأمم قبلنا، وكما في هذه الأمة أيضاً، وهذا كالصوت المُصرب إذا كان / مشتملاً على كذب وفجور، فإنه موصوف بالقبح والسوء الغالب على ما فيه من حلاوة الصوت. فذو الصورة الحسنة إما أن يتراجع عنده العفة والخلق الحسن، وإما أن يتراجع فيه ضد ذلك، وإما أن يتکافأ.

فإن ترَجَّحَ في الصلاح كان جماله بحسب ذلك، وكان أجمل من لم يمتحن تلك المحنَّة.

وإن ترَجَّحَ في الفساد لم يكن جميلاً بل قبيحاً مذموماً، فلا يدخل في قوله: إن الله جيل يحب الجمال.

وإن تکافأ فيه الأمران كان فيه من الجمال والقبح بحسب ذلك، فلا يكون محبوباً ولا مبغضاً.

والنبي ﷺ ذكر هذه الكلمة للفرق بين الكبر الذي يبغضه الله، والجمال الذي يحبه الله، فقال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ [كَانَ فِي] قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِّنْ كَبْرٍ»، فقال رجل: يارسول الله: الرجل يحب أن [يكون] ثوبه حسناً ونعله حسناً، ألم من

(1) ورد أيضاً عن علي بن أبي طالب: «وانظر كتابنا» فراسة المؤمن، قصص واقعية ترى فيه جميع الآيات التي أوردها الشيخ هنا وزيادة الأحاديث النبوية الصحيحة في الفراسة.

الكبر ذلك؟ فقال: لا، إن الله جمیل یحب الجمال، [الکبر] بطر الحق وغمط الناس». فأخبر أن تحسین الشوب قد يكون من الجمال الذي یحبه الله، كما قال تعالى: «خذوا زینتکم عند کل مسجد». [سورة الأعراف، الآية ٣١]، فلا يكون حیثیذ من الكبر.

وقد یرد أنه [ليس] کل ثوب جمیل وكل نعل جمیل فإن الله یحبه، فإن الله یبغض لباس الحریر ویبغض الإسراف والخيلاء في اللباس، وإن كان فيه جمال، فإذا كان هذا في لبس الثياب، الذي هو سبب هذا القول، فكيف في غيره؟.

وتفسیر هذا قوله ﷺ: «إن الله لاينظر إلى صورکم ولا إلى أموالکم، ولكن ينظر إلى قلوبکم وأعمالکم».

فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لاينظر الله إليه، وإنما ينظر إلى القلوب / والأعمال، فإن كان الظاهر مزيناً بمحلاً بحال الباطن أحبه الله، وإن كان مقبحاً مدنساً بقبح الباطن أبغضه الله، فإنه سبحانه یحب الحسن الجمیل، ویبغض السيء الفاحش.

وأهل جمال الصورة یبتلون بالفاحشة كثيراً، واسمها ضد الجمال، فإن الله سماه فاحشة وسوءاً وفساداً وخبثاً، فقال تعالى: «ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبیلاً». [سورة الإسراء، الآية: ٣٢].

وقال: «ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها وما بطن». [سورة الأنعام، الآية: ١٥١].

وقال: «أتأتون الفاحشة ماسبقکم بها من أحدٍ من العالمين». [سورة الأعراف، الآية: ٨٠].

وقال: «وجاءه قومه یهرون إليه ومن قبل كانوا یعملون السيئات». [سورة هود، الآية: ٧٨].

وقال: «ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث». [سورة الأنبياء، الآية: ٧٤].

وقال: «رَبِّ انصرنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ». [سورة العنكبوت، الآية: ٣٠].

وقال: «وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطْرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ». [سورة الأعراف، الآية: ٨٤].

والفاحش والخبيث ضد الطيب والجميل، فإذا كان كذلك أبغضه الله ولم يحبه، ولم يكن مندرحاً في الجميل.

ونظير ذلك قوله عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَلَا التَّفْحَشَ»^(١). وقوله: «إِنَّ اللَّهَ يَعْيِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»^(٢)، فلو أفحش الرجل وبذأ بصوته الحسن كان الله يبغض ذلك.

ونفي المخَشَّين سنة من سنن النبي صلوات الله عليه وسلم الثابتة عنه في موضوعين: في حق الزاني

(١) وردت هذه العبارة في حديثين مختلفين، أحدهما عن عائشة رضي الله عنها في: مسلم ٤/١٧٠٧ (كتاب السلام، باب النبي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم). ومن الحديث قوله عليه السلام: «مَنْ يَعْاَثِشْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ... وَالْحَدِيثُ الثَّانِي فِي: الْمُسْنَد (ط. الْمَعَارِفِ) ٩/٢٥١ - ٢٥٢ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم يَقُولُ: الظُّلْمُ ظُلْمَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِبَاكُمُ الْفَحْشَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَحْشَ وَلَا التَّفْحَشَ... الْحَدِيثُ . وَفِي: سِنَنِ التَّرمِذِيِّ ٣/٢٢٥ - ٢٢٦ (كتاب البر والصلة، باب ماجاء في التفحش) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم: «خَيْرُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَلَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وسلم فَاحِشًا وَلَا مُتْفَحِشًا». وَقَالَ التَّرمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيفٌ».

(٢) الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه في: سِنَنِ التَّرمِذِيِّ ٣/٢٤٤ (كتاب البر والصلة، باب ماجاء في حسن الخلق) ونصه: أَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وسلم قَالَ: «مَا شَيْءَ أُنْتَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خَلْقٍ حَسَنٍ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لِيَعْيِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». قَالَ التَّرمِذِيُّ: «وَفِي الْبَابِ عَنْ عائشَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنْسَ وَأَسَمَّةَ بْنَ شَرِيكَ. هَذَا حَدِيثٌ حَسْنٌ صَحِيفٌ» وَهُوَ كَمَا قَالَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَزْقُنَا عَلَمَهُ.

والزانية اللذين لم يحصنا، كما قال: «جلد مائةٍ وتغريب عام»^(١)، وفي حق المختَّ وهو إخراجه من بين الناس، وذلك أن الفاحشة لاتقع إلا مع قدرة ومكانة الإنسان، لا يطلب ذلك إلا إذا طمع فيه بما يراه من أسباب المكنة، فمن العقوبة على ذلك قطع أسباب المكنة. فإذا تغَّرَّبَ الرجل عن أهله وأعوانه وأنصاره الذين يعاونونه وينصرونه ذُلتْ نفسه وانقهرت، فكان ذلك جزاءً نكالاً من الله من الجَّلد، ولأنه مفسد لأحوال من يساكهه فَيُبعَدُ عنهم، وكذلك المختَّ يفسد أحوال الرجال والنساء جميعاً، فلا يسكن مع واحد من الصفين.

وقد كان [من] سنة النبي ﷺ وسنة خلفائه التمييز بين الرجال والنساء والتأهلين والعزَّاب، فكان [المندوب] في الصلاة [أن يكون] الرجال في مقدم المسجد [والنساء] في مؤخره.

وقال النبي ﷺ: «خير صنوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صنوف النساء آخرها، وشرها أولها»^(٢). وقال: «يامعشر النساء لاترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال رؤوسهن من ضيق الأزر»^(٣) وكان إذا سُلِّمَ لبيت هنفيه هو والرجال

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهمي رضي الله عنها في: البخاري ١٧٠ / ٨ - ١٧١ (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب البكران ب مجلدان وينفيان، باب من أمر غير الإمام بإقامة الحد نائباً عنه)؛ مسلم ٣٢٤ / ٣ - ١٣٢٥ (كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنبي). والحديث بمعناه عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم في مواضع أخرى في البخاري ومسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذى والنسائي وابن ماجة والدارمى وفي الموطأ والمسند.

(٢) رواه مسلم (٣٢٦ / ١) كتاب الصلاة باب تسوية الصنوف وإقامتها وأبو داود (٢٥٥ / ١).

(٣) الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه في: مسلم ٣٢٦ / ١ (كتاب الصلاة، باب تسوية الصنوف وإقامتها . . .)، ونصه: عن سهل بن سعد قال: لقد رأيت الرجال عاقدي أزرهم في أعناقهم مثل الصبيان من ضيق الأزر خلف النبي ﷺ، فقال قائل: يامعشر النساء لاترفعن رؤوسكن حتى يرفع الرجال». وهو جزء من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في: المسند (ط. الحلبي) ٣ / ٣ وأوله: أن رسول الله ﷺ قال: ألا أدل لكم على ما يكفر الله به

لينصرف النساء أولاً، لثلا يختلط الرجال والنساء. وكذلك يوم العيد كان النساء يصلين [في] ناحية، فكان إذا قضي الصلاة خطب الرجال، ثم ذهب خطب النساء، فوعظهن وحثهن على الصدقه، كما ثبت ذلك في الصحيح^(١). وقد كان عمر بن الخطاب - وبعضهم يرفعه إلى النبي ﷺ قد قال [عن] أحد أبواب المساجد، أظنه الباب الشرقي : لو تركنا هذا الباب للنساء، فما دخله عبد الله بن عمر حتى مات.

وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال للنساء : «لَا تَحْكُمْنَ الْطَّرِيقَ، وَامْشِنَ فِي حَافِتِهِ»^(٢) أي لا تمشين في حُقُّ الطريق^(٣) ، وهو وسطه . وقال علي عليه السلام : ما يغار أحدكم أن يزاحم امرأته العلوج بمنكبها^(٤)؟ يعني في السوق .

وكذلك لما قدم المهاجرون المدينة/ كان العزاب ينزلون داراً معروفة لهم متميزة عن دور المتأهلين ، فلا ينزل العزب بين المتأهلين . وهذا كله لأن اختلاط أحد الصنفين بالأخر سبب الفتنة ، فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط

الخطايا . . ومنه : يامعشر النساء إذا سجد الرجال فاغضضن أبصاركن لاترين عورات الرجال من ضيق الأزر.

(١) الخبر جاء في حديث متفق عليه عن صلاة العيد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في : البخاري ٢٢ - ٢١ / ٢ (كتاب صلاة العيدن ، باب موعظة الإمام النساء يوم العيد). وأوله : قام النبي ﷺ يوم الفطر فصل فبدأ بالصلاه ثم خطب . . الحديث . وهو في : مسلم ٢ / ٦٠٣ (كتاب صلاة العيدن ، أول الكتاب) ، وأورد مسلم حديثين آخرين عن ابن عباس رضي الله عنهما في الموضوع في نفس موضع الحديث السابق .

(٢) الحديث مع اختلاف في الألفاظ عن أبي أسد الأنصاري رضي الله عنه في : سنن أبي داود ٤ / ٤٩٨ (كتاب الأدب ، باب في منشي النساء في الطريق) وهو حديث حسن .

(٣) في الأصل : في حافة الطريق ، وهو خطأ . وفي «النهاية في عريب الحديث» لابن الأثير الحزري ١ / ٢٤٤ : «ليس للنساء أن يَحْكُمْنَ الْطَّرِيقَ، هو أن يركنن حُقُّها وهو وسطها».

(٤) هذا الأثر ورد - مع اختلاف في الألفاظ - عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المسند (ط. المعارف) ٢ / ٣٥٤ - ٣٥٥ .

النار والخطب، وكذلك العزب بين الأهلين فيه فتنة لعدم ما يمنعه، فإن الفتنة تكون لوجود المقتضى وعدم المانع، فالمخنث الذي ليس رجلاً محسناً ولا هو امرأة محسنة، لا يمكن خلطه بوحد من الفريقين، فأمر النبي ﷺ بإخراجه من بين الناس.

وعلى هذا المختَّ من الصبيان وغيرهم لا يُمكَّن من معاشرة الرجال، ولا ينبغي أن تعاشر المرأة المتشبَّهة بالرجال النساء، بل يُفَرَّقُ بين بعض الذكران وبين بعض النساء إذا خافت الفتنة، كما قال النبي ﷺ: «مروهم بالصلوة لسبعين، واضربوهم عليها لعشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع»^(١).

وقد نُهِيَ عن مباشرة الرجل الرجل في ثواب واحد، وعن مباشرة المرأة المرأة في ثواب واحد، مع أن القوم لم يكونوا يعرفون التلوط ولا السحاق، وإنما هم من تمام حفظ حدود الله، كما أمر الله بذلك في كتابه. وقد روى أن عمر بلغه أن رجلاً يجتمع إليه [نفر] من الصبيان فهو عن ذلك.

وأبلغ عن ذلك أنه نفى شَبَّبَ به النساء، وهو نصر بن حجاج، لما سمع امرأة شَبَّبَتْ به وتشهيه، ورأى هذا سبب الفتنة، فجز شعره، لعل سبب الفتنة يزول بذلك، فرأه أحسن الناس وجنتين، فأرسل به إلى البصرة، ثم إنه بعث يطلب القدوم إلى وطنه يذكر ألا ذنب [له]، فأبى عليه وقال: أما وأنا حتى فلا^(٢).

وذلك أن المرأة إذا أمرت بالاحتجاب وترك التبرج / وغير ذلك مما هو من أسباب الفتنة بها ولها، فإذا كان في الرجال من قد صار فتنة للنساء أمر أيضاً

(١) الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في سنن أبي داود ١٩٣ (كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاه)؛ المسند (ط. المعارف) ١٠/٢١٧-٢١٨ (وانظر تعليق المحقق على الحديث).

(٢) ذكر ابن الجوزي خبر نصر بن حجاج في كتابه «سيرة عمر بن الخطاب» ص ٧٤ - ٧٦ ، وأورد الخبر الأستاذان عمر وناجي الطنطاوي في كتابهما «أخبار عمر» ص ٤٢٩ - ٤٣١ ، وذكرا في تعليقهما المراجع التي أوردت الخبر.

بمباعدة سبب الفتنة، إما بتغيير هيئته، وإما بالانتقال عن المكان الذي تحصل به الفتنة فيه، لأنه بهذا يحصن دينه، ويحصن النساء دينهن، وبدون ذلك مع وجود المقتضي منه ومنهن لا يؤمن ذلك، وهكذا يؤمر من يفتن النساء من الصبيان أيضاً. وذلك أنه إذا احتج إلى المباعدة التي تزيل الفتنة كان تبعيد الواحد أيسر من تبعيد الجماعة: الرجال أو النساء، إذ ذاك غير ممكن، فتحفظ حدود الله، ويُحابى ما يوجب تعدى الحدود بحسب الإمكان، وإذا كان هذا فيمن لا ريبة فيه ولا ذنب فكيف بمن يعرف بالريبة والذنب؟ .

وهكذا المرأة التي تعرف بريبة تفتن بها الرجال تبعد عن مواضع الريب بحسب الإمكان، فإن دفع الضرر عن الدين بحسب الإمكان واجب، فإذا كان هذا هو السنة فكيف بمن يكون في جمعه من أسباب الفتنة ما الله به عليم، والرجل الذي يتشبه بالنساء في زيهن؟ .

واستعمال أسماء الجمال والحسن والزينة ونحو ذلك في الأعمال الصالحة، والقبح والشين والدنس في الأعمال الفاسدة، أمر ظاهر في الكتاب والسنة وكلام العلماء، مثل اسم الطيب والطهارة، والخبيث والنجاسة، ومن ذلك ما في حديث أبي ذر المشهور، وقد رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه، عن النبي ﷺ أنه قال: «من حكمة آل داود: حق على العاقل أن يكون له ساعة ينادي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يكون فيها مع أصحابه الذين يخربونه عن ذات نفسه، وساعة يخلو فيها بلدته فيها يحمل ويحمل»، / فذكر الحل والجمال .

وهذا يشهد لقول الفقهاء في العدالة إنها صلاح الدين والمروءة. قالوا: والمروءة استعمال ما يحمله ويزينه، وتجنب ما يدنسه ويشينه، وهذا يرجع إلى الحسن والقبح في الأعمال، وأن الأعمال تكون حسنة وتكون قبيحة، وإن كان الحسن هو الملائم النافع، والقبح هو المنافي .

فالشيء يكمل ويحمل ويزين بما يناسبه ويلائمه، وينفعه ويلتذبه، كما يفسد

ويقبح بها ينافيه ويضره ويتالم به، والأعمال الصالحة هي التي تناسب الإنسان، والأعمال الفاسدة هي التي تنافيه.

ولهذا لما قال بعض الأعراب: إن مدحني زين وذمي شين، قال النبي ﷺ: ذاك [الله]^(١)، فمدحه يزين عنده لأنه مدحه بحق، وذمه يشينه لأنه حق^(١).

وهذا الحسن والجمال الذي يكون عن الأعمال الصالحة في القلب يسري إلى الوجه، والقبح والشين الذي يكون عن الأعمال الفاسدة في القلب يسري إلى الوجه، كما تقدم. ثم إن ذلك يقوى بقوة الأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة، فكلما كثر البر والتقوى قوي الحسن والجمال، وكلما قوي الإثم والعدوان قوي القبح والشين، حتى ينسخ ذلك ما كان للصورة من حسن وقبح. فكم من لم تكن صورته حسنة، ولكن من الأعمال الصالحة ماعظم به جماله وبهاؤه، حتى ظهر ذلك على صورته.

ولهذا يظهر ذلك ظهوراً بِيَنَّا عند الإصرار على القبائح في آخر العمر عند قرب الموت، فنرى وجوه أهل السنة والطاعة كلما كبروا ازداد / حسنها وبهاؤها، حتى يكون [أحدhem] في كبره أحسن وأجمل منه في صغره، ونجد وجوه أهل البدعة والمعصية كلما كبروا عظم قبحها وشينها، حتى لا تستطيع النظر إليها من كان منبهراً بها في حال الصغر لجمال صورتها.

وهذا ظاهر لكل أحد فيمن يعظم بدعته وفجوره، مثل الرافضة وأهل المظالم

(١) زدت كلمة «الله» لستقيمه الكلام، وهي جزء من الحديث، والحديث عن البراء بن عازب رضي الله عنه في: سنن الترمذى ٥/٦٣ (كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحجرات) وأوله: «قام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين وإن ذمي شين. فقال النبي ﷺ: ذاك الله عز وجل» قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

وفي المسند (ط. الحلبي) ٤٨٨/٣ الحديث عن الأقرع بن حابس رضي الله عنه وفيه أنه هو الذي خاطب النبي ﷺ من وراء الحجرات. وجاء الحديث مرة أخرى في المسند (ط. الحلبي) ٣٩٣/٦. وفي المسند في الموضعين في آخر الحديثين: «كلما حدث أبو سلمة».

والفواحش، من الترك ونحوهم، فإن الراضي كلما كبر قبح وجهه وعظم شينه، حتى يقوى شبهه بالختزير، وربما مسخ خنزيراً وقرداً، كما قد تواتر ذلك عنهم. ونجد المردان من الترك ونحوهم قد يكون أحدهم في صغره من أحسن الناس صورة، ثم إن الذين يكثرون الفاحشة تجدهم في الكبر أقبح الناس وجهاً، حتى إن الصنف الذي يكثر ذلك فيهم، من الترك ونحوهم، يكون أحدهم أحسن الناس صورة في صغره، وأقبح الناس صورة في كبره، وليس سبب ذلك أمراً يعود إلى طبيعة الجسم، بل العادة المستقيمة تناسب الأمر في ذلك، بل سببه ما يغلب على أحدهم من الفاحشة والظلم، فيكون مخنثاً ولوطياً وظالماً وعوناً للظلمة، فيكسوه ذلك قبح الوجه وشينه.

ومن هذا أن الذين قوي فيهم العداون مسخهم الله قردة وختازير من الأمم المتقدمة. وقد ثبت في الصحيح أنه سيكون في هذه الأمة أيضاً من يمسخ قردة وختازير^(١)، فإن العقوبات والثوبات من جنس السيئات والحسنات، كما قد يُنَزَّل ذلك في غير موضع.

ولاريب أن ماليس محبواً لله، من مسخوطاته وغيرها، تَزَّين في نفوس كثير من الناس حتى يروها جحيلة وحسنة، يجدون فيها من اللذات ما يؤيد ذلك، وإن كانت اللذات متضمنة للألم أعظم منها.

كما قال تعالى: «زَرَّيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمَقْنُطِرَةِ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفَضْلَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عَنْهُ حَسَنُ الْمَثَابِ» . [سورة آل عمران، الآية: ١٤].

(١) في صحيح البخاري ١٠٦/٧ (كتاب الأشربة، باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه). حدثني أبو عامر - أبو مالك الأشعري - والله ما كذبني: سمع النبي ﷺ يقول: ليكون من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير . الحديث وفيه: ويمسخ آخرين قردة وختازير إلى يوم القيمة .

وقال: «أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يَضْلِلُ مَنْ يَشَاءُ وَهُدِيَ مَنْ يَشَاءُ». [سورة فاطر، الآية: ٨].

وقال تعالى: «وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفَرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدَ فَرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ». [سورة غافر، الآية: ٣٧].

وقال: «وَكَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فِي نِبَيْهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ». [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨].

وقال تعالى: «وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَأَغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ». [سورة الأنفال، الآية: ٤٨].

وقد قال سبحانه عن المؤمنين: «وَلَكُنَّ اللَّهُ حَبِّ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهُ إِلَيْكُمُ الْكُفْرُ وَالْفَسُوقُ وَالْعُصِيَانُ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ». [سورة الحجرات، الآية: ٧].

فهو سبحانه يزيّن لكل عامل عمله فيراه حسناً، وإن كان ذلك العمل سيئاً، فإنه لو لا يراه حسناً لم يفعله، إذ لو رأاه سيئاً لم يرده ولم يختره، إذ الإنسان مجبر على حبّة الحسن وبغض السيء، فالحسن الجميل محبوب مراد، والسيء القبيح مكرروه مبغض، والأعيان والأفعال المبغضة من كل وجه لا تقصد بحال، كما أن المحبوبة من كل وجه لا تترك بحال. ولكن قد يكون الشيء محبوباً من وجه مكرروهَا من وجهه، ويقع من وجه [وبحسن من وجهه]، وهذا كان الزاني لا يزني وهو مؤمن، والسارق لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن^(١) كامل الإيمان، فإنه لو كان اعتقاده بقيع ذلك الفعل اعتقاداً تاماً لم يفعله

(١) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخاري ١٣٦/٣ (كتاب المظالم، باب النبي بغير إذن صاحبه، ١٠٤/٧) (كتاب الأشريّة، باب إنما الخمر والميسير والأنصاف والأزلام رجس من عمل الشيطان)، ١٥٧/٨ (كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر)، مسلم ٧٦/١ (كتاب الإيمان، باب لا يزني الزاني وهو مؤمن) سنن الترمذى، وقال الترمذى: حديث أبي هريرة حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه، سنن ابن ماجة ١٢٩٨/٢ - ١٢٩٩ (كتاب الفتن، باب النبي عن =

بحال، وهذا كان [كل] عاصٍ لله تعالى جاهلاً، كما قال ذلك أصحاب محمد ﷺ، فإنه لو كان عالماً حق العلم بما فعله، لم يفعل القبيح، ولم يترك الواجب، بل قد زين لكل أمة عملهم.

لكن العاصي إذا كان معه أصل الإيمان، فإنه لا يزين له عمله من كل وجه، بل يستحسن من وجه، ويفغضه من وجه، ولكن حين فعله يغلب تزيين الفعل. ولذلك قال: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ...». [سورة آل عمران، الآية: ١٤] الآية. فإن هنا شيئاً: حب الشهوات، وأنه زين ذلك الفحش وحسن، فرأوا تلك المحبة حسنة، فلذلك استقرت هذه المحبة عندهم، وتعتبروا بهذه المحبات، فإذا رأوا ذلك الحب قبيحاً لما يتبعه من الضرر، لم يستقر ذلك في قلوبهم، فإن رؤية ذلك الحب حسناً يدعوه إليه قبيحاً ينفر عنه.

وكذلك ذكر في الإيمان أنه حبيبه إلى المؤمنين وزينه في قلوبهم حتى رأوه حسناً، فإن الشيء إذا حبب وزين لم يترك بحال.

وهنا أخبر سبحانه أنه هو الذي حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وفي الشهوات قال: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ». [سورة آل عمران، الآية: ١٤]، ولم يقل المزين بل ذكر العموم.

[وقال تعالى]: «كَذَلِكَ زَيَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ». [سورة الأنعام، الآية: ١٠٨]. وكما حذف المزين هناك قال: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهْوَاتِ». [سورة آل عمران، الآية: ١٤]. فجعل المزين نفس الحب لها، لم يجعل المزين هو المحبوب، كما أخبر أنه زين لكل أمة عملها، فإن المزين نفس الحب لها، لم يجعل المزين هو المحبوب [بل هو] حب الشهوات، فإن المزين إذا كان نفس الحب والعمل لم ينصرف القلب عن ذلك، بخلاف ما لو كان المزين هو المحبوب، فقد يزين الشيء

= النهاية، سنن الدارمي ١١٥/٢ (كتاب الأشربة، باب في التغليظ لمن شرب الخمر) المسند (ط. المعارف) ٤١/١٣.

المحوب، ولكن الإنسان لا يحبه لما يقوم بقلبه من العلم بحاله والبغض . ففرق بين التزيين المتصل بالقلب، وتزيين الشيء المنفصل عنه. فيه رد على القدرة الذين يجعلون التزيين المنفصل، وكذلك قوله : **﴿رُزِّيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾** . [سورة فاطر، الآية : ٨]، وهو سبحانه امتنَّ في الإيمان بشيئين : بأنه حبَّه إلينا، وزينَه في قلوبنا . فالنعم تتم بها : بالعلم، والمحبة .

وقد ثبت في الصحيح من غير وجه عن النبي ﷺ أنه لعن المختين من الرجال والمرجلات من النساء . وفي الصحيح أيضاً أنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال . وفي الصحيح أنه أمر بنفي المختين وإنراجهم من البيوت .

كما روى البخاري في صحيحه عن عكرمة عن ابن عباس قال : لعن النبي ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ^(١) .

وفي رواية : لعن النبي ﷺ المختين من الرجال والمرجلات ^(٢) من النساء ، وقال : أخرجوهم من بيوتكم . فأخرج النبي ﷺ فلانة ^(٣) وأخرج عمر فلاناً ^(٤) . فإذا كان الرجل الذي يتشبه بالنساء في لباسهن وزينهن وزينتهن معلوناً، قد لعنه رسول الله ﷺ، فكيف بمن يتشبه بهن في مباشرة الرجال له فيما يتمتع الرجال به بتمكينه من ذلك لغرض يأخذه أو لمحبته لذلك؟ فكلما كثرت مشابهته لهن كان أعظم للعنة ، وكان ملعوناً من وجهين : من جهة الفاحشة المحرمة ، فإنه

(١) الحديث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في : البخاري ١٥٩/٧ (كتاب اللباس ، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال) .

(٢) في الأصل : والمرجلات ، والذي أثبته هو لفظ البخاري .

(٣) فلانة : هذه رواية للبخاري . ورواية الأصل : فلاناً .

(٤) رواية البخاري المشار إليها هنا هي في ١٥٩/٧ (كتاب اللباس ، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت) .

يُلعن على ذلك ولو كان هو الفاعل . ومن جهة تختُّه لكونه من جنس المفعول
بِهِنَ .

فمن جعل شيئاً من التختَّ ديناً، أو طلب ذلك من الصبيان، مثل تحسين الصبي : صورته أو لباسه لأجل نظر الرجال، واستمتعاتهم بذلك في سماع وغير سماع، أليس يكون مبدلاً لدين الله، من جنس الذين إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء، أتقولون على الله مالا تعلمون؟! وإذا كانت فاحشة العرب المشركين كشف عوراتهم عند الطواف، لثلا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها، / فكيف بما هو أعظم من ذلك؟!!
والختَّ قد يكون مقصوده معاشرة النساء ومبادرتهن، وقد يكون تخته بمبادرة الرجال ونظرهم ومحبتهم، وقد يجمع الأمرين، وفي المتنسّكين من الأقسام الثلاثة خلق كثير.

وهؤلاء شرٌّ من يفعل هذه الأمور على غير وجه التدين، فإنه يوجد في الأمم الجاهلية من الترك ونحوهم من يتتبّّه فيهم من النساء بالرجال، ومن يتتبّه من الرجال بالنساء خلق عظيم حتى يكون لنسائهم من الإمارة والملك والطاعة والبروز للناس وغير ذلك مما هو من خصائص الرجال مالبس لنساء غيرهم، وحتى أن المرأة تختار لنفسها من شاءت من مالكيها وغيرهم لقهرها للزوج وحكمها، ويكون في كثير من صبيانهم من التخت وتقريب الرجال له وإكرامه لذلك أمر عظيم، حتى يغار بعض صبيانهم من النساء، وحتى يتذمّرهم الرجال كالسراري، لكنهم لا يفعلون ذلك تديناً، فالذين يفعلون ذلك تديناً شرًّا منهم، فإنهم جعلوا الفجور ديناً، والفاحشة حسنة، [لا] لما في ذلك من ميل الطباع . فهكذا من جعل مجرد الصوت الذي تحبه الطباع حسناً في الدين فيه شبه من هؤلاء، لكن في المشركين من هذه الأمة من يتدين بذلك لأجل الشياطين، كما يوجد المشركين من الترك التتار وساحرهم الطاغوت صاحب الجبٍ الذي تسميه

الترك البوّق^(١)، وهو الذي تستخفه الشياطين وتخاطبه، ويسألهما يريد، ويقرب لها القرابين من الغنم المنخنقة وغير ذلك، ويضرب لها بأصوات الطبول ونحو ذلك، ومن شرطه أن يكون مختنّاً، يؤتى كما تؤتى المرأة، فكلما كانت الأفعال أولى بالتحرّم كانت أقرب إلى الشياطين.

وهذا الذي ذكرناه من أن الحسن الصورة والصوت، وسائر من أنعم الله عليه بقوّة أو بجهال أو نحو ذلك، إذا أتّقى الله فيه كان أفضّل من لم يؤت مالم يمتحن فيه - فإن النعم محن - فإن أهل الشهوات من النساء والرجال يميلون إلى ذي الصورة الحسنة، / ويعشقونه ويعشقونه، ويرغبونه بأنواع الكرامات، ويرهبونه عند الامتناع بأنواع المخوقات، كما جرى ليوسف عليه السلام وغيره. وكذلك جماله يدعوه إلى أن يطلب ما يهواه، لأن جماله قد يكون أعظم من المال المبذول في ذلك. وكذلك حَسَن الصوت قد يُدعى إلى أعمال في المكرهات، كما أن المال والسلطان يحصل بها من المكنة ما يُدعى مع ذلك إلى أنواع الفواحش والمظالم، فإن الإنسان لا تأمره نفسه بالفعل إلا مع نوع من القدرة، ولا يفعل بقدرته إلا ما يريده، وشهوات الغي مستكنة في النفوس، فإذا حصلت القدرة قامت المحنّة، فإذا شقي وإما سعيد، ويتوّب الله على من تاب، فأهل الامتحان إما أن يرتفعوا وإنما أن ينخفضوا. وأما تحرك النفوس عن مجرد الصوت، فهذا أيضًا محسوس، فإنه يحركها تحرييًّا عظيًّا جدًا بالتفريح والتحزّن، والإغضاب والتخيّف، ونحو ذلك من الحركات النفسيّة، كما أن النفوس تحرك أيضًا عن الصور بالمحبة تارةً وبالبغض أخرى، وتتحرّك الأطعمة بالبغض تارةً والنفرة أخرى، فتحرك الصبيان والبهائم عن الصوت هو من ذلك، لكن كل ما كان أضعف كانت الحركة به أشد، فحركة النساء به أشد من حركة الرجال، وحركة الصبيان

(١) وفي نشرة مجموع الرياض ٣٥/١١٢: «يقال لأحدّهم (البوى) أي المخت». والكلمة أعمجية تركية وأما ما بعدها فالأرجح أن يكون: «أي المخت».

أشد من حركة البالغين، وحركة البهائم أشد من حركة الأدميين، فهذا يدل على أن قوة التحرك عن مجرد الصوت لقوة ضعف العقل، فلا يكون في ذلك حمد إلا وفيه من الذم أكثر من ذلك، وإنما حركة العقلاء عن الصوت المشتمل على الحروف المؤلفة المتضمنة للمعاني المحبوبة، وهذا أكمل ما يكون في استماع القرآن.

وأما التحرك بمجرد الصوت، فهذا أمر لم يأت الشرع بالندب إليه، ولا عقلاء الناس يأمرن بذلك، بل يعدون ذلك من قلة العقل، وضعف الرأي، كالذى يفزع عن مجرد الأصوات / المفزعه المزعجة، وعن مجرد الأصوات المغضبة.

قال أبو القاسم^(١) : «وقال النبي ﷺ : «ماؤذن الله لشيء كاذنه [لنبي] يتغنى بالقرآن». وروى حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «ماؤذن الله لشيء ماؤذن الله لنبي يتغنى بالقرآن».

قال : «وقيل : إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءاته الجهن والإنس، والوحش والطير إذا قرأ الزبور، وكان يحمل من مجلسه أربعينات جنازة من قد مات سمعوا قراءاته . وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري : «لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود» ، وقال معاذ لرسول الله ﷺ : «لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيراً» .

قلت : هذا القول لأبي موسى كان ، لم يكن لمعاذ . ومضمون هذه الآثار استحباب تحسين الصوت بالقرآن ، وهذا مما لا نزاع فيه . فالاستدلال بذلك على تحسين الصوت بالغناء أفسد من قياس الربا على البيع ، إذ هو من باب تنظير الشعر بالقرآن .

وقال تعالى : «وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين» .

[سورة يس ، الآية : ٦٩] .

(١) في القشيرية (٦٤٢/٢) .

وقال تعالى: «وَمَا تَنْزَلْتُ بِهِ الشَّيَاطِينَ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْ يَزُولُونَ». [سورة الشعرا، الآيات: ٢١٢ - ٢١٠]. «أَلَمْ ترَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَبِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ». [سورة الشعرا، الآيات: ٢٢٥، ٢٢٦]. وقال تعالى: «وَمَا هُوَ بِقُولٍ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَاتَّؤْمِنُونَ * وَلَا بِقُولٍ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَاتَذَكَّرُونَ». [سورة الحاقة، الآية: ٤١، ٤٢].

وهذا القياس مثل قياس سماع المكاء والتصدية - الذي ذمَّه الله في كتابه وأخبر أنه صلاة المشركين - على سماع القرآن الذي أمر الله به في كتابه، وأخبر أنه سماع النبيين والمؤمنين، وقياس لأنَّمَة الصلاة - كالخلفاء الراشدين وسائر أئمَّة المؤمنين - بالمخثتين المغاني الذين قد يسمون الجد أو القوَالين، وقياس للمؤذن الداعي إلى الصلاة وسماع القرآن بالزمار الداعي إلى حركة المستمعين للمكاء والتصدية.

وقد روى الطبراني في معجمه عن ابن عباس عن النبي ﷺ: أن الشيطان قال: يارب اجعل لي / قرآنًا، قال: قرآنك الشعر. قال: اجعل لي مؤذنًا، قال: مؤذنك المزمار. قال: اجعل لي كتابةً. قال: كتابتك الوشم. قال: اجعل لي بيَّناً. قال: بيتك الحَمَام. قال: اجعل لي طعامًا. قال: طعامك^(١) مالم يذكر اسم الله عليه». (١). فمن قاس قرآن الشيطان بقرآن الله، فالله يجازيه بما يستحقه.

وقد قال الله تعالى: «فَخَلَفَ مَنْ بَعْدِهِمْ خَلْفَ أَصْنَاعِهِمْ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا». [سورة مريم، الآية: ٥٩]. فهؤلاء يستغلون بالشهوات عن الصلاة.

(١) في «الجامع الكبير» للسيوطى ٦٠٢/١: «قال إبليس لربه: يارب اهبطت آدم وقد علمت أنه سيكون كتاب ورسل، فما كتابهم ورسلهم؟ قال: رسلهم: الملائكة والنبيون منهم، وكتبهم: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم، وقراءتك الشعر، ورسلك الكهنة، وطعامك مالا يذكر اسم الله عليه، وشرابك كل مسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمام، ومصايدك النساء، ومؤذنك المزمار، ومسجدك الأسواق» - طب (الطبراني) عن ابن عباس

ولهذا [فإن] من هؤلاء الشيوخ من يقصد الاجتماعات في الحمام، ويكون له فيها حال وظهور، لكون مادته من الشياطين، فإن الشيطان يظهر أثره في بيته وعند أوليائه وتآذين مؤذنه وتلاوة قرآن، كما يظهر ذلك على أهل المكاء والتصدية. وإذا كان السماع نوعين: سماع الرحمن، وسماع الشيطان، كان ماينها من أعظم الفرقان. لكن الأقسام هنا أربعة: إما أن يستغل العبد بسماع الرحمن دون سماع الشيطان، أو بسماع الشيطان دون سماع الرحمن، أو يشتغل بالسماعين، أو لا يستغل بواحد منها.

فالأول: حال السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

وأما الثاني: فحال المشركين الذين قال الله فيهم: «وما كان صلاتهم عند الميت إلا مكاء وتصدية». [سورة الأنفال، الآية: ٣٥]. وهو حال من يتخذ ذلك ديناً، ولا يستمع القرآن. فإن كان يشتغل بهذا السماع شهوةً لادينا، ويعرض عن القرآن، فهم الفجار والمنافقون إذا أبطنوا حال المشركين.

وأما الذين يشتغلون بالسماعين فكثير من المتصوفة.

والذين يعرضون عنها على ماينغي كثير من المتعربة.

فهذه النصوص المؤثرة عن النبي ﷺ [التي] فيها مدح الصوت الحسن بالقرآن، والترغيب في هذا السماع، فيُحتج بها على المعرض عن هذا السماع الشرعي الإيماني، لا يحتج بها على حسن السماع البدعي الشركي.

بل الراغبون في السماعين جيئاً، والزاهدون / في السماعين جيئاً: خارجون عن محض الاستقامة والشريعة القرآنية الكاملة. هؤلاء معتدلون، وهؤلاء مفترطون. وإنما الحق الرغبة في السماع الإيماني الشرعي، والزهد في السماعي الشركي البدعي.

ثم ذكر أبو القاسم^(١) حكاية أبي بكر الرقي^(٢) في الغلام الذي حدا بالجمال حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم، فلما حطَّ عنها ماتت، وحدا بجمل فهام على وجهه وقطع حباله. قال الرقي^(٣): ولم أظن أني سمعت صوتاً أطيب منه ووَقَعَتْ لوجهِيْ، حتى أشار عليه بالسكت فسكت، فقال: حدثنا أبو حاتم السجستاني، حدثنا أبو نصر السراج، قال: حكى الرقي.

قلت: مضمون هذه الحكاية أن الصوت البليغ في الحُسْن قد يحرّك النفوس تحرِيـًـا عظيـًـا خارـجـا عن العادة، وهذا ما لا ريب فيه، فإنَّ الأصوات توجب الحركات الإرادية بحسـنـها، وهي في الأصل ناشـةـةـ عن حركـاتـ إرادـيةـ، وـيـخـتـفـ تـأـثـيرـهاـ باختـلـافـ نوعـ الصـوتـ وقدـرهـ، بلـ هيـ منـ أعـظـمـ المـحـرـكـاتـ أوـ أعـظـمـهاـ،ـ وإـذـاـ اـتـفـقـ قـوـةـ المؤـثـرـ واستـعـدـادـ المـحـلـ قـويـ التـأـثـيرـ، فالـنـفـوـسـ المـسـتـعـدـةـ لـصـغـرـ أوـ أـنـوـثـةـ أوـ جـزـعـ أوـ نـحـوـ، أوـ لـفـرـاغـ وـعـدـمـ شـغـلـ أوـ ضـعـفـ عـقـلـ: إـذـاـ اـتـصـلـ بـهـ صـوتـ عـظـيمـ حـسـنـ قـوـيـ أـزـعـجـهاـ غـاـيـةـ الإـزـعـاجـ،ـ لـكـنـ هـذـاـ لـاـيـدـلـ عـلـىـ جـوـازـ ذـلـكـ،ـ وـلـافـيهـ مـاـيـوـجـبـ مـدـحـهـ وـحـسـنـهـ،ـ بـلـ مـثـلـ هـذـاـ أـدـلـ عـلـىـ الذـمـ وـالـنـبـيـ مـنـهـ عـلـىـ الـحـمـدـ وـالـمـدـحـ،ـ فـإـنـ هـذـاـ يـفـسـدـ النـفـوـسـ أـكـثـرـ مـاـيـصـلـحـهاـ،ـ وـيـضـرـهاـ أـكـثـرـ مـاـيـنـفـعـهاـ،ـ وـإـنـ كـانـ فـيـهـ نـفـعـ فـإـنـمـهـ أـكـثـرـ مـنـ نـفـعـهـ.

وقد قال الله للشيطان: «وَاسْتَفْرَزْ مِنْ أَنْتَ مَنْهُمْ بِصَوْتِكَ». [سورة الإسراء، الآية: ٦٤]. فالصوت الشيطاني يستفز بني آدم. وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنْ صَوْتِيْنِ أَحْقَيْنَ فَاجْرِيْنَ»^(٤) وذكر صوت النعمة وصوت المعصية،

(١) الكلام التالي هو تلخيص لما في «القشيرية» ٦٤٢/٢ - ٦٤٣.

(٢) في الأصل: الدقى. وهو تحرير. وفي القشيرية أنه: أبو بكر محمد بن داود الدينوري الرقي.

(٣) رواه الترمذى (٢٣٧/٢) كتاب الجنائز وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه البغوي في شرح السنة ٤٣١/٥) وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلٍ وفيه ضعف وذكره الهيثمي ونسبة إلى البزار ورواه أبو يعلى.

ووصفهما بالحمق والفجور، وهو الظلم والجهل.

وقال لقمان لابنه: «أقصد في مشيك واغضض من صوتك». [سورة لقمان، الآية: ١٩]، والمغنى بهذه الأصوات لم يغض من صوته، والمحركون بها/ الراقصون لم يقصدوا في مشيهم، بل المصوّتون أتوا بالأحمق الجاهل الظالم الفاجر من الأصوات، والمحركون أتوا بالأحمق الجاهل الظالم الفاحش من الحركات، وربما جمع الواحد بين هذين النوعين، وجعل ذلك من أعظم العبادات.

الجمال

فضله . حقيقته . أنواعه

تأليف

العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

دراسة وتحقيق

ابراهيم بن عبدالله الحازمي

عفا الله عنه وسدد خطاه

(أمين)

قال العلامة المحقق ابن قيم الجوزية:

ذكر فضيلة الجمال، وميل النفوس إليه على كل حال

اعلم أن الجمال ينقسم قسمين: ظاهر وباطن، فالجمال الباطن هو المحبوب لذاته، وهو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهذا الجمال الباطن هو محل نظر الله من عبده وموضع محبته، كما في الحديث الصحيح: إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم^(١)، وهذا الجمال الباطن يزيّن الصورة الظاهرة وإن لم تكن ذات جمالٍ فتكسو صاحبها من الجمال والمهابة والحلاؤة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطي مهابة وحلاؤة بحسب إيمانه، فمن رأه هابه، ومن خالطه أحبه. وهذا أمر مشهود بالعيان فإنك ترى الرجل الصالح المحسن ذا الأخلاق الجميلة من أحل الناس صورة وإن كان أسود أو غير جميل، ولا سيما إذا رزق حظا من صلاة الليل فإنها تنور الوجه وتحسنه. وقد كان بعض النساء تكثر صلاة الليل فقيل لها في ذلك فقالت: إنها تحسن الوجه وأنا أحب أن يحسن وجهي. وما يدل على أن الجمال الباطن أحسن من الظاهر أن القلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه.

فصل

وأما الجمال الظاهر فزينة خص الله بها بعض الصور عن بعض، وهي من زيادة الخلق التي قال الله تعالى فيها: «يزيد في الخلق ما يشاء». قالوا: هو الصوت الحسن والصورة الحسنة. والقلوب كالملطوعة على محبته كما هي مفطورة على استحسانه. وقد ثبت في الصحيح عنه عليه السلام أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤) (٣٤) في البر والصلة ورواه ابن ماجة رقم (٤١٤٣) في الزهد وأحمد (٢٨٥) / ٢ و٥٣٩.

في قلبه مثقال ذرة من كبر قالوا: يا رسول الله الرجل يحب أن تكون نعله حسنة وثوبه حسناً أفال ذلك من الكبر؟ فقال: لا. إن الله جيل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس^(١). فبطر الحق جحده ودفعه بعد معرفته، وغمط الناس النظر إليه بعين الازدراء والاحتقار والاستصغار لهم. ولا بأس بهذا إذا كان الله وعلامته أن يكون لنفسه أشد ازدراء واستصغاراً منه لهم. فاما إن احترفهم لعظامه نفسه عنده فهو الذي لا يدخل صاحبه الجنة.

فصل

وكما أن الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على عبده فالجمال الظاهر نعمة منه أيضاً على عبده يوجب شكرًا، فإن شكره بتقواه وصيانته ازداد جمالاً على جماله، وإن استعمل جماله في معااصيه سبحانه شيناً ظاهراً في الدنيا قبل الآخرة، فتعود تلك المحسن وحشةً وقبحاً وشيناً، وينفر عنه من رأه، فكل من لم يتق الله عز وجل في حسنه وجماله انقلب قبحاً وشيناً يشينه به بين الناس، فحسن الباطن يعلو قبح الظاهر ويستره، وقبح الباطن يعلو جمال الظاهر ويستره.

[ياحسن الوجه توق الخنا لا تبدل الزين بالشين
ويابقبح الوجه كن محسناً لا تجتمعن بين قبيحين]

وكان النبي ﷺ يدعو الناس إلى جمال الباطن بجمال الظاهر كما قال جرير بن عبد الله - وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسميه يوسف هذه الأمة^(٢) - قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أنت امروء قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك»^(٣). وقال بعض الحكماء: ينبغي للعبد أن ينظر كل يوم في المرأة، فإن رأى صورته حسنة لم يشنها بقبيح فعله، وإن رأها قبيحة لم يجمع بين قبح الصورة [و]قبح]

(١) أخرجه مسلم (٩١) وأبوداود والترمذى في الإيابان. باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) وقال عنه عبد الملك بن عمير: رأيت جريراً كأن وجهه شقة قمر.

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس وفيه ضعف

ال فعل . ولما كان الجمال من حيث هو محبوباً للنفوس معظماً في القلوب لم يبعث الله نبياً إلا جميلاً الصورة حسن الوجه كريم الحسب حسن الصوت ، كذا قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وكان النبي ﷺ أجمل خلق الله وأحسنهم وجهًا كما قال البراء بن عازب رضي الله عنه وقد سئل أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال : لا [بل] مثل القمر^(١) . وفي صفتته ﷺ : لأن الشمس تجري في وجهه يقول واصفه لم أر قبله ولا بعده مثله^(٢) . وقال ربيعه الجرجشى : قسم الحسن نصفين : في بين سارة ويوسف نصف الحسن ، ونصف [الحسن] بين سائر الناس . وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه رأى يوسف ليلة الإسراء وقد أعطي شطر الحسن^(٣) . وكان رسول الله ﷺ يستحب أن يكون الرسول الذي يرسل إليه حسن الوجه حسن الإسم ، وكان يقول : «إذا أبردتم إلى بريداً فليكن حسن الوجه حسن الإسم»^(٤) وقد روى الخرائطي من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه : من آتاه الله وجهًا حسناً واسماً حسناً وخلقاً حسناً وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفة الله من خلقه وقال وهب : قال داود : يارب أي عبادك أحب إليك؟ قال : مؤمن حسن الصورة . قال : فأي عبادك أبغض إليك؟ قال كافر قبيح الصورة . وينذكر عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يتنتظره نفرٌ من أصحابه على الباب فجعل ينظر في الماء ويسوّي شعره ولحيته ثم خرج إليهم فقلت : يا رسول الله وأنت تفعل هذا؟ قال : «نسم إذا خرج

(١) ذكره البخاري في صحيحه ، ورواه مسلم عن جابر بن سمرة وانظر تخرجه في كتابنا الرسول ﷺ كأنك تراه

(٢) رواه الترمذى وانظر كتابنا «النبي ﷺ كأنك تراه» .

(٣) رواه مسلم وأحمد في مسنده

(٤) رواه البزار في مسنده ص : ٢٤٢ . وقال المحيى : (صحيح) وأقره السيوطي في «اللآلئ» وهو كما قال : فرجاله رجال الصحيح ورواه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص : (٢٧٤) والعقيلي في الضعفاء والبغنو في شرح السنة ١٢/٣٢٧ - ٣٢٨ .

الرجل إلى إخوانه فليهيء من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال»^(١) وقال يحيى بن أبي كثير: دخل رجل على معاوية غمصاً يعني رمص العينين فحط من عطائه فقال: ما يمنع أحدكم إذا خرج من منزله أن يتعاهد أديم وجهه؟ وكانت عائشة بنت طلحة من أجمل أهل زمانها أو أجملهم فقال أنس بن مالك: والله ما رأيت أحسن منك إلا معاوية على منبر رسول الله ﷺ فقالت: والله لأننا أحسن من النار في عين المفروض في الليلة القارة. ودخل عليها أنس يوماً في حاجة فقال: إن القوم يريدون أن يدخلوا عليك فينظروا [إلى] جمالك قالت: أفلأ قلت لي فأليس ثيابي.

وكان مصعب بن الزبير من أجمل الناس وكان يحسد الناس على الجمال فيبينا
هو يخطب يوماً إذ دخل ابن جودان من ناحية الأزد وكان جميلاً، فأعرض بوجهه
عن تلك الناحية إلى ناحية أخرى، فدخل ابن حمران من تلك الناحية، وكان
جميلاً، فرمى ببصره إلى مؤخرة المسجد، فدخل الحسن البصري وكان من أجمل
الناس، فنزل مصعب عن المنبر. وخرج نسوة يوم العيد ينظرون إلى الناس فقيل
لهم: من أحسن من مر بكن؟ قلن: شيخ عليه عامة سوداء يعني الحسن
البصري، وأخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار فأمر بضرب عنقه،
فقال الرجل: أينما الأمير ما أتيح من أن أقوم يوم القيمة إلى صورتك هذه الحسنة،
ووجهك هذا الذي يستضاء به فاتعلق بأطرافك وأقول: يارب سل مصعباً فيم
قتلتني؟ فقال مصعب: أطلقوه. فقال الرجل أينما الأمير اجعل ما وهبت لي من
حياتي خفض ف قال مصعب: أعطيه مائة ألف درهم فقال: إنيأشهد الله أن لعبد
الرحمن بن قيس الرقيات^(٢) نصفها قال مصعب: ولم ذلك؟ قال لقوله:
إنما مصعب شهاب من الد — ه تجلت عن وجهه الظلاء

(١) تقدمت الفقرة الأخيرة من هذا الحديث أما القصة فلم أجدها في مابين يدي من كتب الحديث
وقول المؤلف في أوها «ويذكرا» يدل على الضعف.

(٢) كذا في النسختين والذى في الأغانى وغيره إن اسمه عيد الله .

فضحك مصعب وقال: إن فيك لوضعاً للصناعة، وأمره بزلزمه.

وقال الزبير بن بكار: حدثنا مصعب الزبيري، حدثنا عبد الرحمن بن أبي الحسن قال: خرج أبو حازم يرمي الجمار ومعه قوم متبعدون وهو يكلمهم ويحدثهم ويقص عليهم، فبينما هو يمشي وهم معه إذ نظر إلى فتاة مستترة بحمارها ترمي الناس بطرفها يمنة ويسرة، وقد شغلت الناس وهم ينظرون إليها مبهوتين، وقد خطب بعضهم بعضاً في الطريق، فرأها أبو حازم فقال: يا هذه اتقى الله فإنك في مشعرٍ من مشاعر الله عظيم، وقد فتنت الناس، فاضرب بحمارك على جيبيك فإن الله عز وجل يقول: **﴿وليضر بن بحمرهن على جيوبهن﴾** فأقبلت تضحك من كلامه وقالت: إني والله

من اللائ لم يحججن بيفين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغللا^(١) فأقبل أبو حازم على أصحابه وقال: تعالوا ندعوا الله أن لا يعذب هذه الصورة الحسناء بالنار، فجعل يدعوا وأصحابه يؤمنون^(٢).

وقال ضمرة بن ربيعة، عن عبد الله بن شوذب: دخلت امرأة جميلة على الحسن البصري فقالت: يا أبا سعيد ينبعي^(٣) للرجال أن يتزوجوا على النساء؟ قال: نعم قالت: وعلى مثلي؟ ثم أسرفت عن وجهه لم يُرَ مثله حسناً وقالت: يا أبا سعيد لا تفتوا الرجال بهذا. ثم ولت فقال الحسن: ما على رجلٍ كانت هذه في زاوية بيته ما فاته من الدنيا؟

وقال عبدالملك بن قريب^(٤): كنت في بعض مياه العرب فسمعت الناس يقولون: قد جاءت قد جاءت. فتحول الناس فقامت معهم فإذا جارية قد وردت

(١) البيت للعرجي.

(٢) في الأغاني وتحفة العروس: قال وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال: أما والله لو كان بعض بغضاء أهل العراق لقال لها: اغريني قبحك الله ولكنك ظرف عباد الحجاز.

(٣) في تحفة العروس: أجمل وهو الأنسب هنا.

(٤) هو الأصمعي

الماء ما رأيت مثلها قط في حسن وجهها وعما خلقها، فلما رأت تشوف الناس إليها أرسلت برقعها فكأنه غمام غطت شمساً فقلت: لم تمنعينا النظر إلى وجهك هذا الحسن؟ فأنشأت تقول:

لقلبك يوماً أتعبك المناظر
عليه ولا عن بعضه أنت صابر
ونظر إليها أعرابي فقال: أنا والله من قل صبره ثم قال:

أبا الحزن حلواً أم محلهم السهل
أراك من الفردوس إن فتش الأصل
شربت ومن أين استقل بك الرحل
عليك وإن الشكل يشبهه الشكل
لبدر الدجى نسل فأنت له نسل
أوحشية العينين أين لك الأهل
وأية أرض أخرجتك فإني
ففي خبرينا ما طعمت وما الذي
لأن علامات الجنان مبينة
تنتهيت حسناً في النساء فإن يكن
وقال آخر^(١):

لما أنته في المعزينا
فقم من يضحكن ويبكينا
عن حزنه من كان مخزونا
يامنني المحزون أحزانه
استقبلتهن بتمثالمها
حق لهذا الوجه أن يزدهي
وقال آخر:

أنييري مكان البدر إن أفل البدر
ففيك من الشمس المنيرة ضوءها
وقال آخر:

رقادي ياطرفى عليك حرام
ففي الدمع إطفاء لنار صباة

(١) هو أبو نواس ورواية الأغاني:
يامنني المأتم أحزانه
لما أتاهم في المعزينا

وياكبدي الحري التي قد تصدعت
ويواجهه من ذلت وجوه أعزه
أجر مستجيراً في الهوى بك باسطاً
وذكر الخرائطي عن بعض العلوين قال: بينما أنا عند الحسن بن هاني^(١) وهو

ينشد:

ويلي على سود العيون النهد الضمر البطنون
الناطقات عن الضمي ر لنا بالسنة الجفون
فوقف عليه أعرابي ومعه ابن فقال: أعد على فأعاد عليه فقال: يا ابن أخي
ويلك أنت وحدك من هذا؟ ويلي أنا وأنت، وويل ابني هذا، وويل هذه الجماعة،
وويل جيراننا كلهم. وقال الخرائطي: حدثنا يموم بن المزرع، حدثنا محمد بن
حيد، حدثنا محمد بن سلمة قال: حدثني أبي قال: أتيت عبدالعزيز بن المطلب
أسأله عن بيعة الحن للنبي ﷺ بمسجد الأحزاب ما كان بدؤها فوجدته مستلقياً
يتغنى:

فما روضة بالحزن طيبة الشرى
بأطيب من أرдан عزة موهنا
من الخفرات البيض لم تلق شقوة
فإن بربت كانت لعينيك قرة
يمج الندى جثجاتها وعرارها
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها
وبالحسب المكنون صاف نجارها
وإن غبت عنها لم يغمك عارها

فقلت له: [أتغنى] أصلحك الله وأنت في جلالك وشرفك؟ فقال: أما والله
لأحملنها ركبان نجد قال: فوالله ما أكثرت بي وعاد يتغنى:

فما ظبية أدماء خفافة الحشا
بأحسن منها إذ تقول تدللاً
تجوب بظفيفها متون الخمائل
وأدعها تذرين حشوا المكاحل
رهين بأيام الصدود الأطاؤل
تمتّع بما اليم القصير فإنه

(١) هو أبو نواس

قال: فندمت على قولي وقلت له: أصلحك الله أتحدثني في هذا شيء؟ قال: نعم حدثني أبي قال: دخلت على سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم وأشعب يعنيه:

مُطْهَرَةُ الْأَثْوَابِ وَالْعَرَضِ وَافْرَأَتْ
وَعَنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ مِّنَ الْأَمْرِ زَاجِرُ
وَلَمْ يَسْتَمِلْهَا عَنْ تَقْيَةِ اللَّهِ شَاعِرٌ
مُغَيْرَيَةً كَالْبَدْرِ سَنَةً وَجَهَهَا
لَهَا حَسْبٌ زَالِكٌ وَعَرَضٌ مَهْذِبٌ
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضُ لَمْ تَلْقَ رِبَيْةً
فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: زَدْنِي فَغَنَّاهُ:

جَنَاحُ غُرَابٍ عَنْهُ قَدْ نَفَضَ الْقَطْرَا^١
وَمَا احْتَمَلَتْ لَيْلَةً سُوَى طَبِيبَاهَا عَطْرَا
فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تَدَالُهُ الرُّوَاةُ لَأَجْزَلْتَ جَائِزَتَكَ إِنْكَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ
بِمَكَانٍ.

قال الخرائطي: حدثنا العباس بن الفضل، عن بعض أصحابه قال: حججت سنة من السنين فإني لباليربذة^(١) إذ وقفت علينا جارية على وجهها برقعْ
قالت: يامعشر الحجاج نفر من هذيل، ذهب بنعمهم السيل، وقعدت بهم
الأيام، مابهم نجعة، فمن يراقب فيهم الدار الآخرة ويعرف لهم حق الأخوة؟
ـ جزاه الله خيراً قال: فرضخنا لها فقلت لها: هل قلت في ذلك شيئاً؟ فأنشأت
ـ تقول:

كَفُّ الزَّمَانِ تُوْسِدْنَا عَنْهُ
شَلَّتْ أَنَامْلَهَا عَنِ الْأَعْرَابِ
قَوْمٌ إِذَا حَلَ الْعُفَافَةَ بِيَابِسِهِمْ
ـ فَقَلَّنَا لَهَا: لَوْ أَمْتَعْتَنَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، فَكَشَفْتَ الْبَرْقَعَ عَنْ وَجْهِ لَا وَاللَّهِ
ـ لَا تَهْتَدِي الْعُقُولَ لِوَصْفِهِ، فَلِمَا رَأَتْنَا قَدْ بَهَتْنَا لِحْسَنَاهَا أَنْشَأْتَ تَقُولَ:

(١) قال ياقوت: الربذة: قرية من قرى المدينة.

(٢) في ن: الفوا

الدهرُ أبدي صفةً قد صلنا
أبواي قبل ترُّس الأيام
فتمتعوا بعيونكم في حسنها
وانهوا جوارحكم عن الآثام
ثم انصرفت . وكان محمد بن حميد الطوسي يهوى جاريةً فأرسل إليها مرةً ترجمةً
فيكت بكتء شديداً، فقيل [لها]: يوجه إليك من تحبّيه بهديه فتكتين هذا
اللقاء؟ فغفت:

أهدى له أحبابه أترجمة
فبكي وأشفق من عيافة زاجر^(١)
خاف التلؤن والفرق لأنها
لونان باطنها خلاف الظاهر
فلما جاءه الرسول أخره عنها بما أغاظه فكت إليها^(٢):

لعيني إلى الرقاد شفيع
لاتراني بخلت عنك بدمع
إن قلبي إليك صب حزين
ليس في العطف ياحبيبي بدع
ثم كتبت إليه: أنا ملوكه لا أملك من أمري شيئاً، فإن كان لك في حاجة
فاشترني لأكون طوع يديك، فاشتراها فمكثت عنده وكانت من أحظى إماء حتى
قتل في وقعة بابك الخرمي، فكانت لتمثل في رياه بقول أبي تمام:
محمد بن حيد أخلقت رمه أريق ماء المعالي مذ أريق دمه
رأيته بنجاد الشيق محبياً في النوم بدرأ جلت عن وجهه ظلماً

(١) عيافة الطير: زجرها وهو أنه تعتبر بأسئتها ومساقطها بأسئتها ومساقطها فتستعد أو تتشاءم.

٢) الشعر لابن أبي عبيدة.

فقلت والدمع من حزِّن ومن كمد
ألم تمت ياشقيق [النفس] مذ زمن
وهذا فصل في ذكر حقيقة الحسن والجمال ماهي^(١). وهذا أمر لا يدرك إلا
بالوصف وقد قيل: إنه تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها. ورب صورةٍ متناسبةٍ
الخلقة، وليس في الحسن هناك. وقد قيل: الحسن في الوجه والملاحة في
العينين. وقيل الحسنُ أمرٌ مركبٌ من أشياءٍ: وضاءةٌ وصاحةٌ وحسنٌ تشكيلاً
وتخطيطٌ ودمويةٌ في البشرة. وقيل: الحسنُ يعني لاتثاله العبارة ولا يحيط به
الوصف، وإنما للناس منه أوصافٌ أمكن التعبير عنها. وقد كان رسول الله ﷺ
في الذروة العُليَا منه، ونظرت إليه عائشة رضي الله عنها يوماً ثم تبسمت، فسألها
مم ذاك؟ فقالت: كأن أباً كبيراً الهذلي إنما عناك بقوله:
وَمُبْرِأً مِنْ كُلِّ غُرْبَ حِيْضَةٍ وَفَسَادِ مَرْضَعَةٍ وَدَاءِ مُغْيِلٍ

(١) قال ابن حزم في كتابه «مداراة النفوس» ص: ٥٦ الحلاوة رقة المحسن، ولطف الحركات،
وخفة الإشارات وقبول النفس لأعراض الصور وإن لم تكن ثم صفات ظاهرة. القوام جمال
كل صفة على حدتها، ورب جميل الصفات، على افراد كل صفة منها بارد الطلعة، غير ملبيع،
ولاحسن، ولارائع، ولا حلو؟ والروعة بهاء الأعضاء الظاهرة، مع جمال فيها، وهي أيضاً
الفراهة (الملاحة والحسن أو هي النشاط والحدف) والعتق. الحسن هو شيء ليس له في اللغة
اسم يعبر به عنه، ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رأه، وهو بُرُد مكسو على الوجه
وإشراق يستميل القلوب نحوه، فتجمع الآراء على استحسانه. وإن لم تكن هناك صفات جليلة
- فكل من رأه راقه واستحسنه وقبله، حتى إذا تأملت الصفات إفراطاً لم تر طائلاً، وكأنه شيء
في نفس المئي يمجده نفس الرائي، وهذا أجل مراتب الصباحة، ثم تختلف الأهواء بعد هذا،
فمن مفضل للروعة ومن مفضل للحلاوة، وما وجدنا أحداً قط يفضل القوام المفرد الملحة
اجتماع شيء فشيء مما ذكرنا. انتهى

(١) غير الحيض: بقاياه وأوصاف الفساد إلى المرضعة لأنه أراد الفساد الذي يكون من قبلها والمغيل
وهو أن تغشى المرأة وهي تربيع فذلك اللبن الغيل وبروى وداء معرض. قاله التبريزى في شرح
الخمسة. والحديث في الخلية لأبي نعيم.

وإذا نظرت إلى أسرة وجهه برق كبر العارض المتهلل

ولقي بعض الصحابة راهبًا فقال: صف لي محمدًا كأني أنظر إليه فإني رأيت صفتة في التوراة والإنجيل فقال: لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير، فوق الربعة أبيض اللون مُشربًا بالحمرة جعدًا ليس بالقطط، جمعته إلى شحمة أذنه، صلت الجبين، واضح الخد أدعع العينين، أقنى الأنف، مُفلح الشفاف، كأن عنقه إبريق فضة، ووجه كدارة القمر. فأسلم الراهب^(١) توفي صفة هند بن أبي هالة له عليه السلام: لم يكن بالطويل المغط، ولا بالقصير المتعدد، كان ربعة من الرجال، ولم يكن بالجعد القطط ولا بالبسط، ولم يكن بالمطعم ولا بالمكلم وكان في الوجه تدوير، أبيض مُشرب أدعع العينين، أهدب الأشفار، جليل المشاش والكتد، شلن الكفين والقدمين، دقيق المسربة إذا مشى تقلع كأنها ينحط من صبب، وإذا التفت جميًعاً. كأن الشمس تجري في وجهه. وكان عليه السلام مع هذا الحسن قد أقيمت عليه المحبة والهبة، فمن وقعت عليه عيناه أحبه وهابه^(٢) وكمال الله سبحانه له مراتب الجمال ظاهراً وباطناً. وكان أحسن خلق الله خلقاً وخلقًا، وأجملهم صورة

(١) البائن المفرط في الطول، والقطط: الشديد الجعود كالزنوج بل شعره عليه الصلاة والسلام بين الجعود والسبوطة كما سيأتي بعد هذا والجملة: الشعر المجموع على الرأس وقبيل الشعر مطلقاً. والصلت الواسع: والأدعع: الشديد سواد العين في شدة بياضها. والقنا طول الأنف ودقة أربتها وحدب في وسطه: والحديث انظره في كتابنا «الرسول عليه السلام كأنك تراه» وهو حديث لابن سواهede كثيرة ومتعددة

(٢) قال الأصممي في تفسير غريب هذه الأوصاف ماملحصه: المغط الذاهب طولاً، والمتعدد: الداخل بعضه في بعض، وأما المطعم فالبادن (أي الضخم) الكثير اللحم، والمكلم: المدور الوجه، والمشرب: الذي في بياضه حمرة، والأهدب، الطويل الأشفار، المشاش: يزيد رؤوس المناكب، والكتد: مجتمع الكفين وهو الكاهل، والشن: الغليظ الأصابع، والمسربة: هو الشعر الدقيق الذي كأنه قصيب من الصدر إلى السرة، والتقلع: أن يمشي بقوة، والصبب: الخدور، وحديث ابن أبي هالة رواه الترمذى في الشسائل. وغيره وانظر تخرجه في كتابنا الرسول عليه السلام كأنك تراه.

ومعنىٌ . وهكذا كان يوسف الصديق ﷺ . وهذا قالت امرأة العزيز للنسوة لما أرتهن إياه ليغدرنها في محبته ﴿فَذلِكَ الَّذِي لَمْ تُنْتَنِ فِيهِ﴾^(١) . أي هذا هو الذي فتنت به وشغفت بمحبته ، فمن يلومني على محبته وهذا حسن مظنه؟ ثم قالت: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمْ﴾^(٢) . أي فمع هذا الجمال ، فباطنه أحسن من ظاهره ، فإنه في غاية العفة والتزاهة والبعد عن الخنا ، والمحب وإن عيب محبوبه فلا يجري على لسانه إلا محاسنه ومدحه . ويتعلق بهذا قوله تعالى في صفة أهل الجنة: ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرَةُ وَرَوْرَا﴾^(٣) . فجمل ظواهرهم بالنصرة وبواطنهم بالسرور ومثله قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^(٤) . فإنه لاشيء أشهى إليهم وأقر لعيونهم ، وأنعم لبواطنهم من النظر إليه فنصر وجوههم بالحسن ، ونعم قلوبهم بالنظر إليه . وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَحُلُوا أَسَاوِرُ مِنْ فَضْلَةٍ﴾^(٥) فهذا زينة الظاهر ثم قال: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾^(٦) . أي مظهر لبواطنهم من كل أذى . فهذا زينة الباطن . ويشبه قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾^(٧) فهذا زينة الظاهر ثم قال: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٨) فهذا زينة الباطن . وينظر إليه من طرف خفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَا السَّمَاوَاتِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحْفَاظًا﴾^(٩) فزيّن ظاهرها بالصابيح ، وباطنها بحفظها من الشياطين . وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ النَّزَادِ التَّقْوَى﴾^(١٠) فذكر الزاد الظاهر والزاد الباطن . وهذا من زينة

(١) سورة يوسف: ٣٢ .

(٢) سورة الدهر: ١١ .

(٣) سورة القيامة: ٣٢ - ٣٣ .

(٤) سورة الدهر: ٢١ .

(٥) سورة الأعراف: ٢٦ .

(٦) سورة الصافات الآياتان ٦ ، ٧ . وكانت في النسختين ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً وهو جمع من آيتين آخر بين كل منها من سورة .

(٧) سورة البقرة: ١٩٧ .

القرآن الباطنة المضافة إلى زينة ألفاظه وفصاحته وبلاغته الظاهرة. ومنه قوله تعالى لآدم: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تُعْرِىٰ . وَأَنْكَ لَا تَنْظِمُ فِيهَا وَلَا تَضْحِي﴾^(١) فقابل بين الجوع والعرى دون الجوع والظلم، وبين الظلم واضح دون الظلم والجوع، فإن الجوع عري الباطل وذله، والعرى جوع الظاهر وذله. فقابل بين نفي ذل باطنه وظاهره، وجوع باطنه وظاهره، والظلم حُرُّ الباطن، والضحى حر الظاهر، فقابل بينها. وسئل المتنبي عن قول امرئ القيس:

كأني لم أركب جواداً للذلة ولم أتبطّن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبِّ الزق الرويَّ ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال
فقيق له: إنه عيب عليه سبي الزق الروي بالكر وكان الأحسن مقابلته بتبطّن
الكاعب جمعاً بين اللذتين. وكذلك مقابلة ركوب الجواد للكر أحسن من مقابلته
لتبطّن الكاعب فقال: بل الذي أتى به أحسن فإنه قابل مركوب الشجاعة
بمركوب اللذة واللهو، فهذا مركب الطرف وهذا مركب الحرب والطلب، وكذلك
قابل بين السباءين سباء الزق وسباء الرق. قلت: وأيضاً فإن الشارب يفتخر
بالشجاعة كما قال حسان:

ونشرها فتركتنا ملوكاً وأسدًا ما ينهننا اللقاء
وهذه جملة اعترافية من ألطاف الاعتراض^(٢).

وقيل الحسنُ ماستنطّق أفواه الناظرين بالتسبيح والتهليل كما قيل:
ذى طلعة سبحان فالق صبحه ومعاطفِ جلت يمين الغارس
وقال علي بن الجهم:

طلعت فقال الناظرون إلى
تصويرها مأعظم الله
والتف بالتفاح خداها
ودنت فلما سلمت خجلت

(١) سورة طه: ١١٨ - ١١٩.

(٢) قال في هامش [مخطوطه] من: أي جملة ماذكرناه من أمثلة التقابل ليست من مقصود الكتاب لكنها لا تخلو من فائدة يحملوها الخطاب ويستحسن عند أولي الألباب.

وكأن غصن البان أعلاها
قرأت كتاب الباه عيناه
تسنط الأفواه بالتسبيح
تسنط الأفواه بالتسبيح (كذا)
وتستفرّ حشا الرائي بإرعاد
صّور ليس البدر يحكّيك
بنظرة فالعين تفديك
إإن تحرّجت لهذا فكم
قال ابن شبرمة: كفاك من الحسن أنه مشتق من الحسنة. وقال عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه: إذا تمّ بياض المرأة في حسن شعرها فقد تمّ حسنها.
وقالت عائشة رضي الله عنها: البياض شطر الحسن. وقال بعض السلف: جعل
الله البهاء والهوج مع الطول، والدهاء والدمامة مع القصر، والخير فيما بين ذلك.
ومن يذمُّ في النساء القصيرة الغليظة وهي التي عناها الشاعر بقوله:
وأنت التي حبّبت كل قصيرة إلّي لم تشعر بذلك القصائر
عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصار الناشر النساء البحاتر
والبحاتر هنَّ النساء القصار الغلاظ. وبعضهم يبالغ في هذا حتى يفضل
المهازيل على السوان.
أشد الزمخشري:
لا أُعشق الأبيض المنفوخ من سمنٍ
لكنني أُعشق السمر المهازيل

إني أمرُّ أركب المهر المضرم في يوم الرهان فدعني واركب الفيلا
وطائفة تفضل السمان وتقول: السمنُ نصفُ الحسن وهو يستر كل عيب في
المرأة ويبدي محاسنها. وخيار الأمور أوسطها.

وما يستحسن في المرأة طول أربعة وهنَّ: أطراها، وقامتها، وشعرها،
وعنقها، وقصر أربعة: يدها، ورجلها، ولسانها، وعينها، فلا تبذل مافي بيت
زوجها، ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيل بلسانها، ولا تاطمع بعينها، وبياض
أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينها. وسود أربعة: أهدابها،
وحاجبها، وعينها، وشعرها. وحمرة أربعة: لسانها، وخدتها، وشفتها مع لعس،
وإشراب بياضها بحمرة. ودقة أربعة: أنفها، وبنانها، وخصرها، وحاجبها.
وغلظ أربعة: ساقها، ومعصمها، وعجيزتها، وذاك منها. وسعة أربعة، جبينها،
ووجهها، وعينها، وصدرها. وضيق أربعة: فمها، ومنخرها، وخرق أذنها، وذاك
منها. فهذه أحقُّ النساء بقول كثيرٍ:

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى
في الحسن عند موفق لقضى لها
وقال آخر:

ليلًا وأعدَّه من خلقه وقفًا
ولو أبصر الوجه منها وهو منزهٌ
وقال آخر:

ياطيب مرعى مقلةٍ لم تخف
بوجنتيها زجر حُرَّاسٍ
حلت بوجهِه لم يغض ماؤه
وقال آخر:

فلم يزل خذها ركناً الوذ به
والخالٌ في خذها يغنى عن الحجر
وقول الآخر وأنشده المبرد:

وأحسنُ من ربع ومن وصف دمنةٍ
له مقلةٌ في خد معشوقة ترعى
تلاحظ عيني عاشقين كلامها

وأنشد ثعلب:

خزاعة الأطراف مرية الحشا
ومكية في الطيب والعطر دائماً
ثم قال: وصفها بما يستحسن من كل قبيلة.

وقال صالح بن حسان يوماً لأصحابه: هل تعرفون بيتاً من الغزل في امرأة
خفرة؟ قلنا: نعم بيت لحاتم في زوجته ماوية.

يضيء لها البيت الظليل خصاصه إذا هي يوماً حاولت أن تبسمها
قال: ما صنعتم شيئاً قلنا: فيبيت الأعشى:
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لاريث ولا عجل
قال: جعلها تدخل وتخرج قلنا: يا أبا محمد فأي بيت هو؟ قال: قول أبي قيس
بن الأسلت.

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل [عن] إتيانهن فتعذر
قلت: وأحسن من هذا كله ما قاله إبراهيم بن محمد الملقب بنقطويه رحمه الله:
وخبرها الواشون أن خيالها إذا نمت يغشى مضجعي ووسادي
فخفوها فرطُ الحياة فأرسلت تعيّرني غضبي بذول رفادي
ومما يستحسن في المرأة رقةً أديمها ونعمومة ملمسه كما قال قيس بن ذريح:
تعلق رُوحي رُوحها قبل خلقنا ومن بعد ماكنا نطاقةً وفي المهد
فزاد كما زدنا فأصبح ناماً
ومؤنسنا في ظلمة القبر واللحد
إذا اغتسلت بالماء يخداش جلدها
يكاد مسيل الماء يخداش جلدها
ولي من أبيات:
يُدمي الحرير أديمها من مسّه

فأديمها منه أرقَّ وأنعم

فصل

في أيها العاشق سمعه قبل طرفه فإن الأذن تعشق قبل العين أحياناً، وجيش المحبة قد يدخل المدينة من باب السمع كما يدخلها من باب النصر. والمؤمنون يشاقون [إلى] الجنة ومارأوها، ولو رأوها لكانوا أشد لها شوقاً، والصورة^(١) يكاد قلبه يذوب شوقاً إلى رؤية البيت الحرام. فإن شاقتك هذه الصفات وأخذت بقلبك هذه المحسن.

فاسمُ بعينيك إلى نسوة مهورهن العمل الصالح
وحذث النفس بعشق الألٰي في عشقهن التجُّر الرايح
واعمل على الوصول فقد أمكنت أسبابه وقتها رائح

فصل

وقد وصف الله سبحانه [حور] الجنة بأحسن الصفات، وحلاهُنَّ بأحسن الخلٰن، وشوق الخطاب إليهِنَّ حتى كأنهم يرونها رؤية العين. قال الطبراني: حدثنا بكر بن سهل الدمياطي [حدثنا] عمرو بن هشام البيروني، حدثنا سليمان بن أبي كريمة، عن هشام بن حسان، عن الحسن، عن أمه، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل: «حور عين»^(١) قال: حور بيض، عين ضخام العيون شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر قلت: أخبرني عن قوله عز وجل: «كما مثال اللؤلؤ المكنون»^(٢) قال: صفاوهنَّ صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي قلت: يارسول الله أخبرني عن

(١) الصورة: الذي لم يمح.

(٢) سورة الواقعة: ٢٢ - ٢٣.

قوله : «**فِيهِنَّ خَيْرَاتٍ حَسَانٌ**»^(١) قال : خيراتُ الأخلاق حسانُ الوجوه قلت : أخبرني عن قوله : «**كَأَنَّهُنَّ بِيِّضٍ مَكْتُونٌ**»^(٢) قال : رقتُهُنَّ كرقة الجلد الذي رأيتُ في داخل البيضة مَا يلي القشر وهو الغرقيء قلت : يارسول الله أخبرني عن قوله عز وجل : «**عُرُبًا أَتَرَابًا**»^(٣) قال : هن اللوالي قُبضن في دار الدُّنيا عجائزَ رُمْصًا شُمُطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عُرُبًا متعشقات متحجبات أتاربًا على ميلاد واحد قلت : يارسول الله نساءُ الدُّنيا أفضل أم الحور العين؟ قال : بل نساءُ الدُّنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة . قلت : يارسول الله وبم ذلك؟ قال : بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله أليس الله وجوهن النور، وأجسادهن الحرير، بيضُ الألوان، خضر الشياط، صفر الخل مجاسرهن الدر، وأمشاطهن الذهب . يُقلُّن : نحن الحالات فلا نموت، نحن الناعمات فلا نبأس أبداً . نحن المقيمات فلا نضعن أبداً، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا، قلت : يارسول الله المرأة منا تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها؟ قال : أيام سلمة إنها تُخَيَّر فتحتار أحسنهم خُلُقًا فتقول : أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خُلُقًا في دار الدُّنيا فزوجنيه، أيام سلمة ذهب حسنُ الخلق بخيري الدنيا والآخرة^(٤) .

(١) سورة الرحمن : ٧٠ .

(٢) سورة الصافات : ٤٩ .

(٣) سورة الواقعة : ٥٧ .

(٤) ذكره المؤلف رحمة الله تعالى في كتابه حادي الأرواح وعقب عليه بقوله : تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدي : عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال : لا يعرف إلا بهذا السند .

فصل

وقد وصفهنَ الله عز وجل بأنهنَ كواكب، وهو جمع كاعب وهي المرأة التي قد تكعَّب ثديها واستدار ولم يتدار إلى أسفل. وهذا من أحسن خلق النساء، وهو ملازم لسن الشباب. ووصفهنَ بالحور وهو حسن أولانهن وبياضه قال عائشة رضي الله عنها: البياضُ نصف الحسن وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا تمَ بياضُ المرأة في حسن شعرها تم حسنها. والعرب تدح المرأة بالبياض. قال الشاعر:

بيضُ أوانس ماهمن بريمة كظباء مكة صيدهن حرام
يحسن من لين الحديث زوانيا ويصدهن عن الخنا الإسلام
والعين جمع عيناء وهي المرأة الواسعة العين مع شدة سوادها وصفاء بياضها
وطول أهدابها وسوادها. ووصفهنَ بأنهنَ خيرات حسان وهو جمع خيرة وأصلها
خيرة بالتشديد كطيبة ثم خفف الحرف، وهي التي قد جمعت المحسن ظاهراً
وباطناً فكمل خلقها وخلقها فهنَ خيرات الأخلاق حسان الوجه، ووصفهنَ
بالطهارة فقال: «ولم فيها أزواج مطهرة»^(١) طهرن من الحيض والبول والنَّجْو
وكل أذى يكون في نساء [الدنيا]، وظهرت بوطنهن من الغيرة وأذى الأزواج
وتجنيهنَ عليهم وإرادة غيرهم. ووصفهنَ بأنهنَ مقصورات في الخيام أي منوعات
من التبرج والتبدل لغير أزواجهنَ، بل قد قصرنَ على أزواجهنَ لا يخرجن من
منازلهم، وقصرنَ عليهم فلا يردن سواهم. ووصفهن سبحانه بأنهنَ قاصرات
الطرف، وهذه الصفة أكمل من الأولى، وهذا كنَ لأهل الجنتين الأوليين^(٢)،

(١) سورة البقرة الآية: ٢٥، وسورة النساء الآية: ٥٧. بغير واو(٢) قال الله تعالى في سورة الرحمن: «ولن خاف مقام ربِّه جتنا»، فوصفها وقال: «فيهنَ قاصرات الطرف»، ثم قال: «ومن دونها =

فالمرأة منها قد قصرت طرفها على زوجها من صحبتها له ورضاهما به، فلا يتتجاوز طرفها عنه إلى غيره كما قيل:

أذود سوام الطرف عنك وماله على أحد إلا عليك طريق وكذلك حال المقصورات أيضاً لكن أولئك مقصورات، وهؤلاء قاصرات. ووصفهن سبحانه بقوله: «أَبْكَارًا. عَرْبًا أَتَرَابًا»^(١) وذلك لفضل وطء البكر وحلاؤته ولذاته على وطء الشيب. قالت عائشة رضي الله عنها: يارسول الله لو مررت بشجرة قد رُعِيَ منها وشجرة لم يُرَعِ منها ففي أيهما كنت ترتع بغيرك؟ فقال: في التي لم يرع منها تعني أنه لم يتزوج بكرًا غيرها^(٢). وصح أنه قال لخابر لما تزوج امرأة ثييًّا: هلاً بكرًا تلأعها وتلأعُك؟ فإن قيل: فهذه الصفة تزول بأول وطء فتعود ثييًّا قيل: الجنواب من وجهين: أحدُها أن المقصود من وطء البكر أنها لم تذق أحدًا قبل وطئها فترع محبته في قلبها، وذلك أكمل لدوم العشرة وهذه بالنسبة إليها، وأما بالنسبة إلى الواطيء فإنه يرعى روضةً أُنفًا لم يرها أحدٌ قبله، وقد أشار تعالى إلى هذا المعنى بقوله: «لَمْ يطْمِثْهُنَّ إِنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانَ»^(٣) ثم بعد هذا تستمر له لذة الوطء حال زوال البكار، الثاني أنه قد رُوي أن أهل الجنة كلما وطى أحدُهم امرأة عادت بكرًا كما كانت فكلما أتتها وجدتها بكرًا^(٤). وأما الغُرب فجمع عروب وهي التي جمعت إلى حلاوة الصورة حسن التأني والتبعُل والتحبُب إلى الزوج بدها وحديثها وحلاؤه منطقها وحسن حركتها، قال البخاري في صحيحه: وأما الأتراك فجمع ترب يقال: فلان تربى إذا كنتما في سن واحدٍ

= جتنان» فوصفهما وقال: «حُورٌ مقصورات في الخيام» فهذا دليل المؤلف على أن صفة قاصرات الطرف أكمل من صفة المقصورات في الخيام لأن الله سبحانه جعل القاصرات لأهل الجنتين الأوليين والمقصورات لأهل الجنتين اللتين من دونهما.

(١) سورة الواقعة الآياتان ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة الرحمن الآياتان ٥٦، ٧٤.

(٣) رواه الطبراني في معجممه وسيأتي بعده.

فهُنَّ مُسْتَوِيَّاتٌ فِي سَنِّ الشَّابِ لَمْ يَقْصُرْ بِهِنَّ الصَّغَرُ، وَلَمْ يُزَرِّهِنَّ الْكَبَرُ، بَلْ سَنَهُنَّ سَنِّ الشَّابِ. وَشَبَهُنَّ تَعَالَى بِاللَّؤْلُؤِ صِفَاءَ لَوْنِهِ وَحُسْنَ بِيَاضِهِ وَنِعْوَمَةَ مَلْمَسِهِ، وَخَذَ مِنَ الْبَيْضِ الْمَكْنُونِ وَهُوَ الْمَصُونُ الَّذِي لَمْ تَنْلِهِ الْأَيْدِي اعْتِدَالَ بِيَاضِهِ وَشَوْبِهِ بِهَا يُحِسِّنُهُ مِنْ قَلِيلٍ صُفْرَةٌ بِخَلْفِ الْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ الْمُتَجَاوِرِ فِي الْبَيْاضِ، وَخَذَ مِنَ الْبِلَاقِوتِ وَالْمَرْجَانِ حُسْنَ لَوْنِهِ فِي صِفَائِهِ وَإِشْرَابِهِ بِيَسِيرٍ مِّنَ الْحَمْرَةِ.

فصل

فَاسْمَعُ الْآنَ وَصَفَهُنَّ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ، فَإِنْ مَالَتِ النَّفْسُ وَحَدَّثْتُكَ بِالْخُطْبَةِ وَإِلَّا فَإِلَيْهَا مَدْخُولٌ . فَرُوِيَ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ^(١) مِنْ حَدِيثِ أَيُوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَيْرِينَ إِمَّا تَفَخَّرُوا إِمَّا تَذَاكَرُوا الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ أَمِ النِّسَاءِ؟ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَوْلَمْ يَقُلَّ أَبُو الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ أَوْلَ زَمْرَةَ تَدْخُلِ الْجَنَّةِ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَصْوَاءِ كَوْكَبِ درِي فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَكُلِّ امْرِيٍّ مِّنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْتَانٍ يَرَى مَعْ سُوقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ الْلَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ عَزْبٌ».

وَقَالَ الطَّبَرَانيُّ فِي مَعْجَمِهِ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ الْحَلَوَانِيِّ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ الْقَسْوَى قَالَا: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سَلَيْهَانَ (حَدَّثَنَا فَضْلُ ابْنِ مَرْزُوقٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوْلَ زَمْرَةَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ صُورَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالْزَّمْرَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى أَحْسَنِ كَوْكَبِ درِي فِي السَّمَاءِ لَكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمْ زَوْجَتَانِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حَلَةً يَرَى مَعْ سُوقَهُمَا مِنْ وَرَاءِ لَحْوَهُمَا وَحَلَّلَهُمَا كَمَا يَرَى الشَّرَابُ الْأَحْمَرُ فِي الزَّجَاجَةِ الْبَيْضَاءِ». قَالَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْدِسِيُّ: هَذَا عِنْدِي عَلَى شَرْطِ الصَّحِيفَةِ .

وَفِي الصَّحِيفَيْنِ^(٢) مِنْ حَدِيثِ هَمَامَ بْنِ مَنْبَهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

(١) (ج٤/٢١٧٨) رَقْمٌ (٢٨٣٤)

(٢) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ (٦/٢٥٠) وَمُسْلِمٌ (٢٨٣٤).

قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلجم الجنة صورهم على صورة القمر ليلة القدر لا يصقون فيها ولا يمتحنون فيها ولا يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألواة^(١) ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشية».

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده^(٢): حديثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرج بن عثمان السعدي، حدثنا أبو أيوب مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قيد سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومثلها معها ولقب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها. ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها قال قالت: يا أبا هريرة وما النصيف؟ قال: الخمار فإذا كان هذا قدر الخمار فما قدر لابسه؟».

وقال ابن وهب: أنبأنا عمرو أن دراجاً أبا السمع حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل في الجنة لتأتيه امرأة تضرب على منكبه فينظر وجهه في خدتها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغارب فتسلم عليه فيرد عليها السلام ويسألها من أنت فتقول أنا المزید، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان من طوى فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغارب». وبعض هذا الحديث في جامع الترمذى وهو على شرطه^(٣).

(١) الألواة: قال الأصمسي أراها فارسية عربت العود الهندي الذي يتبحز به.

(٢) (ج/٢١٥ و٤٨٢ و٤٨٣).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣/٧٦)، والترمذى في جامعه (٢٥٦٥) والبغوى في شرح السنة، ورواه أحمد (١٤٧/١٣) (٣١٦/٢). ورواية دراج عن أبي السمع فيها مقال.

وفي صحيح البخاري^(١) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لقدوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها ولقب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه خير من الدنيا وما فيها ولو طلعت امرأة من نساء الجنة إلى الأرض ملأة ما بينها ريحًا وأضاءت ما بينها ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» .

وفي المسند من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : للرجل من [أهل] الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حله يرى مخ ساقها من وراء الثياب .

وقال ابن وهب : حدثنا عمرو أن درجًا أبا السمع حدثه عن ابن الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادمًا واثنان سبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤٍ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء»^(٣) رواه الترمذى .

وفي معجم الطبراني من حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : «خلق الحور العين من الزعفران»^(٤) .

(١) ج ٦ / في الجهاد باب الجور العين وصفتها ورواه أحمد ١٤٧/٣ .

(٢) ٣١٦/٢ .

(٣) رواه أحمد في المسند (٣٧٦) والترمذى في جامعه (٢٥٦٥) والبغوى في شرح السنّة .

(٤) ذكره المصنف في حادى الأرواح بمسند الطبراني وقال : قال الطبراني : لا يروى إلا بهذا الإسناد انفرد به علي بن الحسن بن هارون ثم ذكره من طرق أخرى موقوفة وقال : ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل إلى ابن عباس .

فصل

فإن أردت سماع غنائهم فاسمع خبره الآن . ففي معجم الطبراني من حديث عمر رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ إن أزواج أهل الجنة يغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط إن مما يغنين به : نحن الخيرات الحسان أزواج قوم كرام ، ينظرون بقرة أعيان ، وإن مما يغنين به : نحن الخالدات فلا تنتمنه ، نحن الامنات فلا تحفنه ، نحن المقيعات فلا نضعه . وقد قيل في قوله تعالى : «**فِيهِمْ فِي رَوْضَةِ يَمْبُرُونَ**»^(١) إنه السماع الطيب ولا ريب أنه من الخبرة .

وقال عبدالله بن محمد البغوي : حدثنا علي ، أئبنا زهير ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ، عن علي رضي الله عنه قال : «**وَسَيِّقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زَمْرًا**»^(٢) حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان ، فعمدوا إلى إحداها فكأنما أمروا به فشربوا منها فأذهب الله ما في بطونهم من قذى أو أذى أو بأس ، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نصرة النعيم ولم تتغير أشعارهم بعدها أبداً ولم تشعث رؤوسهم كأنما أدهنوا بالدهان ، ثم انتهوا إلى الجنة فقالوا : «**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّتْمُ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**»^(٣) ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف أهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبته فيقولون له : أبشر بما أعد الله تعالى لك من الكرامة ، ثم ينطلق غلام ، من أولئك الولدان إلى بعض أزواجها من الحور العين فيقول : جاء فلان باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا قالت ، أنت رأيته ؟ قال : أنا رأيته وهو بأثرى فيستخف إحداهم الفرح حتى تقوم على أسكفه بابها ، فإذا انتهى إلى منزله نظر

(١) سورة الروم : ١٥ .

(٢) سورة الزمر : ٧٣ .

(٣) سورة الزمر : ٧٣ .

إلى [أساس] بنيانه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأحمر وأصفر من [كل] لون، ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا مثل البرق ولو لا أن الله عزوجل قدره لألم أن يذهب بصره، ثم طاطأ رأسه فإذا أزواجة وأكواب موضوعة ونهاق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكأوا فقالوا «الحمد لله الذي هدانا هذا وما كنا لننهدي لو لا أن هدانا الله»^(١) ثم ينادي منادٍ يحيون فلا يموتون أبداً، ويقيمون فلا يطغون أبداً، ويصحون فلا يمرضون أبداً.

وفي سنن ابن ماجه^(٢) عن أسماء بن زيد رضي الله عنها قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجه وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهه وخضره وحبره ونعمه في محله عالية بهية قالوا: نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها قال: قولوا إن شاء الله فقال القوم: إن شاء الله [تعالى]».

فصل

فهذا وصفهن وحسنهن فاسمع الآن لذة وصالهن و شأنه ففي مسند أبي يعلى الموصلي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فذكر حديثاً طويلاً وفيه: «فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة فيقول الله تعالى [قد] شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول الله ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله وثنتين من ولد آدم لها فضل على من أنشأ الله بعبادتها الله في الدنيا يدخل على الأولى منها في غرفة من ياقوته على سرير من ذهب مكمل باللؤلؤ عليه

(١) سورة الأعاف: ٤٣

(٢) رقم (٤٣٣٢) وابن حبان (٢٦٢٠) والبغوي في شرح السنة ولا يأس بإسناده.

سبعون زوجاً من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحماها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلق في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدها له مرآة فيبنا هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء فيبنا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن يكون لك أزواج غيرها فيخرج فيأتهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك». وهذا قطعة من حديث الصور الطويل الذي رواه إسماعيل بن رافع^(١).

وفي صحيح مسلم^(٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طوتها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» رواه البخاري وقال: ثلاثون ميلاً.

وفي جامع الترمذى من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء قلت: يا رسول الله ويطيق ذلك؟ قال: يعطى قوة مائة» قال: هذا حديث صحيح^(٣) غريب.

(١) قال المؤلف في كتابه حادى الأرواح وذكر هذا الحديث: تفرد به إسماعيل ابن رافع وقد روى له الترمذى وابن ماجة وضففه أحمى ومحى وجماعة وقال الدارقطنى وغيره: مترونك الحديث وقال ابن عدي: عامة أحاديثه فيها نظر وقال الترمذى: ضففه بعض أهل العلم وسمعت محمدًا يعني البخاري يقول: هو ثقة مقارب الحديث وقال لي شيخنا أبو الحاج الحافظ: هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وماتضمنه معروف في الأحاديث والله أعلم. وذكر قطعة منه في موضع آخر من الكتاب وعقب عليها بهذا وزاد قوله قلت: ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته، وأيضاً فالرجل الذي روى عنه القرطبي لا يدرى من هو.

(٢) (٤٠٠ / ٤) (٢٨٣٨) والبخاري ٨، ١٣ في التوحيد والتفسير وأحمد في المسند (٤ / ٤١٨٢).

(٣) وهو كما قال رحمة الله ورزقنا علمه ورواه أيضاً ابن حبان

وفي معجم الطبراني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يارسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء» وفي لفظ: قلنا يارسول الله نفسي إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: «إي والذى نفسي بيده إن الرجل [ليفضي] في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء». قال الحافظ أبوعبد الله المقدسي: ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح.

وفي حديث لقبيط العقيلي الطويل [الذى] رواه الطبراني وعبد الله بن أحمد في السنة^(١) وغيرهما أنه قال: [قلت] يارسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات قال: «الصالحات للصالحين تلذوهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذذنكم غير أن لا توالد».

وذكر ابن وهب عن عمرو بن الحارث، عن [دارج]، عن عبد الرحمن بن حجيرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أنطأ في الجنة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم والذى نفسي بيده دحماً، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا^(٢) قال الحافظ أبوعبد الله: [دارج] اسمه عبد الرحمن بن سمعان المصري، وثقة يحيى ابن معين: وأخرج عنه أبوحاتم بن حبان في صحيحه وكان بعض ينكر بعض حديثه والله أعلم.

وفي معجم الطبراني من حديث أبي الم توكل، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً وفيه أيضاً عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل أجمع أهل الجنة؟ قال: دحماً دحماً ولكن لا مني ولا منية».

(١) ج ٤/٤٨٨ وهو جزء من حديث طويل في صفحتين ورواه أحمد (٤/١٣) وفيه ضعف.

(٢) رواية دراج عن أبي السمع فيها ضعف.

قصيدة^(١)

لوصاهمن بجنة الحيوان
ت بذلت ما تحوي من الأئمان
ت السعي منك لها على الأجنان
مسراك هذا ساعة لزمان
ذل مهرها مادم ذا إمكان
م الوصل يوم الفطر من رمضان
نحو الحبيب ولست بالمتواني
وأجعل حديثك ربة الإحسان
حفت بذاك الحجر والأركان
ومحرر مسعاه كل أوان
والخيف يحجبه عن القربان
ضع حلة منه فليس بدان
متجرداً يغري شفيع قران
هذى مناسكه بكل زمان
حثوا ركائبهم إلى الأوطان
نحو المنازل ربة الإحسان
ل فشمروا ياخية الكسان
ت مشرقات النور والبرهان
فيهن أقماراً بلا نقصان
محبوها من سائر الشبان

ياخاطب الحور الحسان وطالباً
لو كنت تدرى من خطبت ومن طلب
أوكنت تعرف أين مسكنها جعل
أسرع وحث السير جهلك إنما
فاعشق وحدث بالوصال النفس واب
وأجعل صيامك دون لقياها ويو
وأجعل نعوت جمالها الحادى وسر
واسمع إذن أوصافها ووصاها
يامن يطوف بکعبـة الحسن التي
ويظل يسعى دائماً حول الصفا
ويروم قربـان الوصال على مني
فلذا تراه محـماً أبداً ومو
يـغـيـ التـمـتـعـ مـفـرـداًـ عـنـ حـبـهـ
ويـظـلـ بالـجـمـرـاتـ يـرمـيـ قـلـبـهـ
وـالـنـاسـ قـدـ قـضـواـ منـاسـكـهـمـ وـقـدـ
وـخـدـتـ بـهـمـ هـمـ لـهـمـ وـعـزـائـمـ
رـفـعـتـ لـهـمـ فـيـ السـيـرـ أـعـلـامـ الـوـصـاـ
وـرـأـواـ عـلـىـ بـعـدـ خـيـامـاـ مـشـرـفـاـ
فـتـيـمـمـواـ تـلـكـ الـخـيـامـ فـأـنـسـواـ
مـنـ قـاـصـرـاتـ الـطـرـفـ لـاـ تـبـغـيـ سـوـىـ

(١) هي قطعة من قصيدة للمؤلف في السنة سماها الكافية الشافية في الانتصار للفرقـة الناجـية.

والطرف منه مطلق بأمان
قد أعطيت فالطرف كالحران
سبحان معطي الحسن والإحسان
فترة مثل الشارب النشوان
كالبدر ليل الست بعد ثمان
والليل تحت ذوائب الأغصان
ليل وشمس كيف يجتمعان
سبحان متقن صنعة الإنسان
د مجئه حتى الصباح الثاني
يتصاحبان كلامها أخوان
ماشاء يبصر وجهه يريان
وترى محسنها به بعيان
سود العيون فواتر الأجفان
فيضيء سقف القصر بالجدران
ب فقصنها بالماء ذو جريان
حمل الشمار كثيرة الألوان
غضنٌ تعالى نمارس البستان
حسن القوم كأوسط القضبان
علي النقا أو واحد الكثبان
بلواحقٌ للبطن أو بدوان
فشيئنْ كأحسن الرُّمان
واعتدالٌ ليس ذا نكران
أيام وسوسٌ من الهجران

قصرت عليه طرفها من حسنها
ويحار منه الطرف في الحسن الذي
ويقول لما أن يشاهد حسنها
والطرف يشرب من كؤوس جماها
كملت خلائقها وأكمل حسنها
والشمس تجري في محاسن وجهها
فيظل يعجب وهو موضع ذاك من
ويقول سبحان الذي ذا صنعه
لا الليل يدرك شمسها فتغيب عن
والشمس لا تأتي بطرد الليل بل
وكلامها مرآة صاحبه إذا
فيري محسن وجهه في وجهها
حر الخدود ثغورهن لآلية
والبرق يبدو حين يرسم ثغرها
ريانة الأعطاف من ماء الشبا
لما جرى ماء النعيم بغضنها
فالورد والتفاح والرمان في
والقد منها كالقضيب اللدان في
في مغرس كالعاج تحسب أنه
لا الظهر يلحقه وليس ثديها
لكنهن كواكبٌ ونواهٌ
والجيد ذو طولٍ وحسنٍ في بياضٍ
يشك الحليٌ بعاده فله مدي الـ

بسبيكتين عليهما كفان
أصداف در دورت بوزان
والخصر منها مغرم بشمان
للبطن قد غارت من الأعکان
حبات مسکِ جلٌ ذو الإتقان
ما للصفات عليه من سلطان
شيء من الآفات في النسوان
فجنابه في عزٌّ وصيانته
نها وحقٌّ طاعةُ السلطان
بأته طوعاً وهو غير جبان
فالصلب منه ليس بالضجران
سراً مثل ما كانت مدي الأزمان
قال الرسولٌ لمن له أذنان
يارب معدنة من الطغيان
من فوقها ساقان ملتفان
مُغِّ العظام تناه العينان
واللون كالياقوت والمرجان
زادت على الأوتار والمعيدان
وتحبب للزوج كل أوان
سنُّ الشباب لأجمل الشُّباب
محبوب من إنسٍ ولا من جان
ستمعت لأقوى واحد الإنسان
م واحدٌ مائةً من النسوان

والعصمان فإن شأْ شبها
كالزبد لينا في نعومة ملمس
والصدر متسع على بطنها
وعليه أحسن سرّه هي زينة
حُقّ من العاج استدار وحشوة
وإذا نزلت رأيت أمراً هائلاً
لا الحين يغشاه ولا بول ولا
فخذان قد حفّا به حرساً له
قاما بخدمته هو السلطان يد
وهو المطاع إذا هو استدعى الحبيب
وجماعها فهو الشفاء لصباها
وإذا أتاهما عادت الحسناً بك
وهو الشهي الْذُّ شيء هكذا
يارب غفراً قد طفت أقلامنا
أقدامها من فضّة قد رُكّبت
والساق مثل العاج ملموم به
والرّيح مسك والجسم نواعم
وكلامها يسي العقول بنغمة
وهي العُروب بشكلها وبدها
أتراب سنّ واحدٍ متماثلٍ
بكرٌ فلم يأخذ بكارتها سوى الـ
يُعطي المجمع قوة المائة التي اجـ
ولقد أتانا أنه يغشى بيم

فيه وذا في معجم الطبراني من بعد فاطر^(١) يأخذ العرفان متفاوتٌ بتفاوتِ الإيمان تلك النصوص بمنة الرحمن سبعون أيضًا ثم جاء تنان درجات فالأمران مختلفان أفضى إلى مائةٍ بلا خواران أقوى هناك لزهده في الفاني لك الطرف واصبر ساعةً لزمان مة ظفر واحدةً من النساء فيها إذا كانت من الأئمان تفعل رجعت بذلةٍ وهوان وقاليت كتمايل النساء وردد وتفاح على رمان كملتها في جنة الرضوان وعلى شمائلها وعن أيمان غسلت الذجى بکواكب الميزان دهش وإعجاب وفي سبحان تبدو فسبحان العظيم الشان والعرس إثر العرس متصلان

ورجاله شرط الصحيح رواهـم وبذاك فسر شغـلـهـمـ في سورة هذا دليل أن قدر نـسـائـهـمـ وبـهـ يـزـوـلـ توـهـمـ الإـشـكـالـ عنـ فـيـ بـعـضـهـاـ مـائـةـ أـتـىـ وـأـتـىـ بـهـ فـتـفـاـوـتـ الزـوـجـاتـ مـثـلـ تـفـاـوـتـ الـ وـبـقـوـةـ المـائـةـ الـتـيـ حـصـلـتـ لـهـ وـأـعـفـهـمـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ هـوـ الـ فـاجـمـعـ قـوـاـكـ لـاـ هـنـاـكـ وـغـضـ مـنـ ماـ هـاـهـنـاـ وـالـلـهـ مـاـيـسـوـيـ قـلـ وـنـصـيـفـهـاـ خـيـرـ مـنـ الدـنـيـاـ وـمـاـ لـأـتـئـرـ الـأـدـنـيـ عـلـىـ الـأـعـلـىـ إـنـ وـإـذـ بـدـتـ فـيـ حـلـلـ مـنـ لـبـسـهـاـ تـهـنـزـ كـالـغـصـنـ الرـطـبـ وـحـمـلـهـ وـتـبـخـتـ فـيـ مـشـيـهـاـ وـيـحـقـ ذـاـ وـوـصـائـفـ مـنـ خـلـفـهـاـ وـأـمـامـهـاـ كـالـبـدـرـ لـيـلـةـ تـمـهـ قـدـ حـفـ فـيـ فـلـسـانـهـ وـفـؤـادـهـ وـالـطـرـفـ فـيـ تـسـتـنـطـقـ الـأـفـوـاهـ بـالـتـسـبـيـحـ إـذـ وـالـقـلـبـ قـبـلـ زـفـافـهـاـ فـيـ عـرـسـهـ

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة يس: «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون» فقد فسر كثير من السلف [الشغل في هذه الآية بافتراض الأبكار].

رأيت إذ يتقابلُ القمران
ضمٌ وتقبيلٌ وعن فلتان
في أيٍّ وادٍ أم بأي مكان
ملئت له الأذنان والعينان
كِم به للشمس من جريان
وهما عَلَى فرشيهما خلوان
من بين منظومٍ كنظم جان
محبوب في روح وفي ريحان
بأكف أقمارِ من الولدان
والخدود أخرى ثم يتکان
شوقين بعد البعد يلتقاين
وهما بثوب الوصول مشتملان
وحياةِ ربك ماهمَا ضجران
إذ باعها غنباً بكل هوان
ييفي - وهذا وصفه - بالفافِ (*)

حتى إذا مواجهته تقابلا
فسل المَتَيْم هل يَحْلُّ الصَّبْرُ عن
وسل الْمُتَيْم أين خلف صبره
وسل المَتَيْم كيف حالته وقد
من منطقِ رَقَّتْ حواشيه ووج
وسل المَتَيْم كيف عيشته إذا
يتَسَاقِطَان لَا لَئَا منثُورةً
وسل المَتَيْم كيف مجلسه مع الـ
وتَدُور كاسات الرِّحْيق عليهما
يتَنَازَعُانِ الْكَاسُ هذَا مَرَّةً
فيضمها وتضمّه أرأيت معـ
غَاب الرَّقِيبُ وغَاب كُلُّ منكِـ
أَتَرَاهُما ضَجَرَيْنِ مِنْ ذَا العِيشِ لَا
يَا عَاشَقًا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُه
أَتَرَى يُلِيقُ بِعَاوِلٍ بَيْعُ الَّذِي

(*) لقد أنكر بعض الناس أن يكون نعيم الجنة مادياً يباشره الخلق ب أجسامهم ويرونه بأ بصارهم وهم يدعون أن النعيم في الآخرة وهي عرض ليس للأ جسام علاقة به . ولا يخفى ما في هذا الرأي من الزيف والضلاله ، وأي زيف أشد من رد ماجاءت به الآيات البينات والأحاديث الصحيحة الثابتة؟

إن أحوال البرزخ والقيمة وما بعدها من الأمور المغيبة التي لا يمكن أن يكون المرجع فيها إلى الرأي والاجتهاد، بل لابد من المصير فيها إلى ماجاء عن الله ورسوله ﷺ. إذن ليس لنا من حميد على أن نعتقد اعتقاداً جازماً لتردد فيه أن الحال في الآخرة على ما وصف في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وهو ما عليه عامة السلف والخلف.

على أن الجنة ليست كما يفهمها آخرون مقصورة على التمتع بالشهوات من النساء والطعام والشراب ونحوها وإنما هنالك أمور هي أسمى من ذلك وأعلى، منها اجتماع أهل الجنة بعضهم

بعض وتذاكرون ما كان بينهم في الدنيا ومنها وهو أفضليها وأعظمها على الإطلاق رؤبة الله
سبحانه وتعالى عياناً بغير حجاب وسماع كلامه بلا وسفة ومحاضرته العباد وتذكيره عز وجل إياهم
بما أتوا في الدنيا من غدرات وغير ذلك مما هو ثابت لا يمترى فيه إلا من هم في ربهم يترددون .
وبعد فلا أدرى ما هو السبب الحامل على إنكار كون نعيم الجنة مما يشترك في الإحساس به
الأجسام والأرواح ، مع أن الناس جميعاً إنما يسعون في الدنيا لتحصيل اللذة والنعم ، وهما
لديهم الغاية القصوى من الحياة المضبوطة بالألام والأسقام والفقر وخوف الانقطاع ، ومما من
أحد إلا وهو يتمنى بعمله أي عمل كان ما يتواخاه العامل من الأجر ، حتى أولئك الذين يدعون
أنهم إنما يعملون ما يعملون قياساً بالواجب وإجابةً لداعي الضمير فإن قصاراً لهم منه الذة
وموضعها النفوس والأجسام .

إن تعجب فعجب فعجب شأن أولئك الذين يستنكرون عيش الآخرة لما فيه من الإقبال على النعيم
الخالص ، ويعذبون القلب في افياهه وامتناع النفس بذلك من الأمور التي يحسن بالعقل أن يرباً
بنفسه عن الرضا بها والركون إليها ، وإنما هي شيمة العاطلين أولى النفوس الشهوانية والمهمم
الدنية ، يقولون ذلك وهم يركبون رؤوسهم في اتباع الشهوات الموبقة بين سمع الخلق
وبصرهم ، وينعون على أهل الصلاح أنهم عن صراطهم ناكبون ، وأنهم عن صفو هذا العيش
ونعمته غافلون . ولقد قال قائلهم وكان في تيه غيه وهواد سادراً :

ومن أجل كرهي للمخانث

أنكرت يدي أن تخل في الجنان أساوراً

ألا فليعلم هؤلاء أن للمتقين مفارقاً وأن هم في الجنة ماتشتهي أنفسهم وهم فيها ما يدعون
نزلاؤ من غفور رحيم وفيها ماتشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون .
تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار .

المراجع

- * القرآن الكريم - تنزيل من رب العالمين
- * كتب اللغة.
- * لسان العرب لابن منظور. دار صادر.
- * مختار الصحاح للفخر الرازي - المكتبة الأموية - بيروت.
- كتب الحديث:
- * فتح الباري بشرح صحيح البخاري - ابن حجر - الطبعة السلفية.
- * صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . توزيع دار الافتاء.
- * سنن الترمذى تحقيق أحمد شاكر.
- * سنن أبو داود - دار الحديث - محمد على السيد.
- * سنن ابن ماجة بتحقيق الأعظمى - الرياض.
- * سنن النسائي - دار القلم.
- * رياض الصالحين للنووى . دار المأمون للتراث.
- * شرح السنة للإمام البغوى - المكتب الإسلامي .
- * مشكاة المصايبع - للتبريزى - بتحقيق الألبانى - المكتب الإسلامي .
- * جامع الأصول لابن الأثير - تحقيق الأرناؤوط .
- * صحيح الجامع الصغير- للألبانى - المكتب الإسلامي .
- * ضعيف الجامع الصغير- للألبانى .
- * السلسلة الصحيحة - للألبانى - المكتب الإسلامي .
- * السلسلة الضعيفة - للألبانى - المكتب الإسلامي .
- * مسند أحمد بن حنبل - المكتب الإسلامي - ط. البابى.
- * مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر - دار المعارف - مصر.

- * مصنف ابن أبي شيبة - الهند.
- * تهذيب التهذيب - ابن حجر - الهند.
- * ماهية الجمال والفن - عبدالله عووضة - الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٨ م.
- * دراسات نفسية - التذائق الفني - شاكر سليمان - القاهرة.
- * الظاهرة الجمالية في الإسلام - صالح الشامي - المكتب الإسلامي .
- * سطوع البدر بفضائل ليلة القدر - إبراهيم الحازمي - توزيع الجريسي - الرياض.
- * فصول في علم الجمال - عبدالرؤوف برجاوي - بيروت .
- * الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي - عماد الدين خليل - مؤسسة الرسالة - فلسفة الجمال في الفكر المعاصر - محمد زكي - بيروت .
- * فلسفة الجمال في الفكر المعاصر - محمد زكي - بيروت .
- * مشارق أنوار القلوب وصفائي أسرار الغيوب - ابن الدباغ - دار صادر.
- * مشارق أنوار القلوب وصفائي أسرار الغيوب - ابن الدباغ - دار صادر بيروت .
- * الأسس الجمالية في النقد العربي - عز الدين إسماعيل - دار الفكر
- * الدوريات والمحليات .
- * فلسفة الجمال - مجلة المقتطف - مصر - عام ١٣٩٩ هـ .
- * لماذا يعيش الإنسان الجمال - نبيل راغب - مجلة الفيصل - عام ١٤٠٣ هـ .
- * الفرق بين جمال الطبيعة وجمال الفن - المجلة العربية - عام ١٤٠٣ هـ .
- * مدارس الجمال عند العربين - منير العجلاني - المجلة العربية - ١٤٠٦ هـ .
- * الإحساس بالجمال - راضي حكيم - المنهل - ١٤٠٤ هـ .
- * هكذا علمتني الحياة - مصطفى السباعي - المكتب الإسلامي .
- * الأخلاق والسير في مداواة النفوس - ابن حزم - دار الآفاق .

- * البداية والنهاية لابن كثير - دار المعرفة.
- * تفسير ابن كثير.
- * فتح القدير - للشوکانی.
- * أصوات البيان - الشنقطي - توزيع دار إفتاء السعودية.
- * عمل اليوم والليل - النسائي - تحقيق فاروق حمادة - المغرب.

الفهرس

٥	المقدمة
٦	تعريف الجمال والحسن
٧ - ٦	الفرق بين الحسن والجمال
٨	الألفاظ الجمالية
٩	تأملات
١٠	ما ورد في حسنة الباهر <small>رض</small>
١٣	أمور تزيد من الجمال الظاهري والباطني
١٥	الجمال المعنوي
١٦	التذوق الجمالي
١٩	الجمال جزء العمل الصالح
٢٤	من الآثار الجمالية في الحضارة الإسلامية
٢٥	من كان يضرب به المثل من الصحابة في الجمال
٢٧	الجمال عنصر مقصود
٢٩	الجمال في الكون
٣٣	الجمال في الإنسان
٣٨	وسائل جمالية
٤٠	«الظاهر والباطن» والجمال
٤٢	المنهج و«خصالية الظاهر والباطن»
٤٣	الإحساس بالجمال وأثره في النفس
٤٧	مكانة الجمال
٥٠	ماقيل من الشعر والثر في الجمال وحسن الوجه

٥٣	أمثال العرب في الجمال
٥٦	ما قيل من الخاطر العاطر في الجمال
٥٦	مسابقات ملكات الجمال
٥٧	قصة ظريفة غالب فيها الدهاء (الذكاء) الجمال
٥٨	حقيقة الجمال
٦٣	الجمال والقيم
٦٤	ميا狄ن جمالية أتى بها الإسلام
٦٩	ترجمة ابن تيمية
٧٤	ترجمة ابن القيم
٨٣	القسم الثاني المحقق

فهرس كتاب الجمال لابن تيمية

٨٥	فصل في محنة الجمال
٨٦	الله بحب الجمال والجميل
٨٦	استحباب التجمل في الجمع والأعياد
٨٦	حسن الثياب
٨٧	كل مصنوع للرب جيل
٨٨	التدين يحب الصور الجميلة
٨٨	الاتحاد والخلول المطلق في الصورة الجميلة وغيرها.
٨٨	الجمال الظاهر لا ينفع عند الله.
٨٩	لماذا حرم الله لباس الحرير والذهب
٩٠	حرثيم اللباس الذي فيه فخر وخيانة وإسبال الثياب.
٩١	كراهية لبس الأحمر المشبع حمرة.
٩٢	الأمر بغض البصر.
٩٢	الحب والبغض مما أصل الأمر والنهي.
٩٢	هل يجتمع في الشخص الثواب والعقاب.
٩٣	هل الإرادة والمحبة والرضا واحدة، أم متلازمة هل كل مأرادة الله أحبه، وغضبه.
٩٤	أنواع الإرادة.
٩٥	العدل بالتسوية بين المماثلين.
٩٦	أنواع الحسنة، المقصد.
٩٧	معنى حديث: إن الله جيل يحب الجمال.
٩٨	الله سبحانه يحب صفات الكمال.
١٠٠	كون الشيء جميلاً يقتضي محنة الله له.

الجمال الخاص ١٠٠

لباس التقوى واللباس الظاهر ١٠١

أحب خلقه إليه المؤمنون ١٠٢

الله سبحانه يبغض الفواحش ولا يحبها ١٠٢

إذا كان الجمال متضمناً لعدم ما هو أحب إليه ١٠٢

الله لا يحب كل مختال فخور ١٠٢

لم ينفع المنافقين حسن الصورة والصورة ١٠٣

إذا كان المرأة والصبي جميلاً مع الفجور الداخلي فيما الحكم؟ ١٠٤

الله يحب الحسنات وأهلها ١٠٤

محبة الإنسان للشيء الجميل إذا خلا من المفسدة ١٠٥

حكم محبة النساء والمردان الأجانب ١٠٥

لم يأمر الله ولا رسوله بعشق الصور الجميلة ١٠٦

مشاهدة الله في الصورة الجميلة؟ ١٠٦

تأويل حديث: إن الله جميل على غير تأويله ١٠٦

سبب نزول قوله تعالى: «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا» ١٠٦

من أسباب دخول النار ١٠٨ - ١٠٧

الزنا وقدف المحسنات من الكبائر ١٠٩

الخوض في الدين بالبدع والضلالات ١١٠

ضلال من عشق الصور الجميلة ١١١

المعاصي المدرجة بين اللحين والرجلين ١١٢، ١١١ - ١٠٨

اقتران الكبائر بالمحبة ١١٣

العشق ضرره أعظم من منفعته ١١٤

كلام أبو القاسم القشيري في رسالته ١١٤

١١٤ ، ١١٥	محبة المردان والأحداث
١١٥	الأمور المذمومة في الشريعة ماترجمح فساده على ضلاله
١١٥	الحسنات كلما كانت أعظم كان صاحبها أفضل
١١٦	التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات
١١٦	تفاوت السيئات
١١٧	العدل وضع الشيء في موضعه
١١٧	النفاق والتدرج فيه
١١٨	ضلال الاتحادية الذين يقولون: إن الله يحل في الصور الجميلة
١٢٠ ، ١١٩	الصدق مفتاح كل خير
١٢١	ترتيب الكبائر
١٢١	الظلم ثلاث مراتب
١٢٢	فصا الصوت الحسن ومحبة الناس له
١٢٢	الالتذاذ بالصوت الحسن عَوْنَا عَلَى طاعة الله
١٢٢	لا يستدل بالصوت الحسن على جواز أو استحباب في الدين.
١٢٣	الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل.
١٢٤ ، ١٢٣	فضل كلام الله
١٢٥	الشعر قرآن إبليس
١٢٥	الاستدلال بكون الصوت الحسن على جواز استعمال الغناء وبطلانه
١٢٦	الاستدلال بكون الجمال نعمة على جواز امتاع النفس به وبطلانه
١٢٧	محبة النفوس الصورة والصوت قد تكون نذراً لله
١٢٨	ليس في دين الله محبة أحد لحسنه فقط
١٢٨	الجمع بين المعصية والطاعة
١٢٨	من كان ذا صوت حسن وترك الغناء لله

١٢٩	من كان ذا صورة حسنة فعف عنها حرم الله .
١٢٩	أهل الفجور تعلوهم ظلمة المعصية .
١٣١	وصف أهل السعادة بنهاية الحسن والجمال وصف أهل الشقاء بنهايةسوء والقبح
١٣٢	يوصف الكذاب بسواد الوجه
١٣٢	تعزير شاهد الزور بأن يسود وجهه
١٣٣	صاحب الصورة الحسنة إذا لم يكن عفيفاً فهو قبيح مذموم
١٣٤	مجرد الجمال الظاهر لا ينظر الله إليه
١٣٤	أهل جمال الصورة يتلون بالفاحشة كثيراً
١٣٥	نفي المختين سنة النبي ﷺ
١٣٦	من سنة النبي ﷺ التمييز بين الرجال والنساء المتأهلين والعزاب
١٣٦	عدم اختلاط الرجال بالنساء عند الخروج من المسجد
١٣٧	عدم مشي النساء في وسط الطريق
١٣٧	عدم نزول العزاب بين المتأهلين
١٣٨	التفريق بين بعض الذكران وبعض النساء
١٣٨	النبي عن مبادرة الرجل الرجل والمرأة المرأة في ثوب واحد
١٣٨	نفي من شباب النساء
١٣٩	استعمال أسماء الجمال والحسن في الأعمال الصالحة
١٤٠	الحسن يسري إلى الوجه
١٤٠	وجوه آهل السنة كلما كبروا ازدادوا حسناً
١٤١	الرافضي كلما كبر شان وجهه حتى أصبح كالختزير أو مسخ قرداً
١٤١	مالييس محبوباً عند الله تزين عند أصحابها فيرونها جميلة
١٤٣	العاشي لا يزين له عمله بل يستحسن؟

١٤٣	تزين الله الإيمان في قلب المؤمن
١٤٣	لعن من فعل به اللواط من وجهين
١٤٤ ، ١٤٤	المختين وأنواعهم
١٤٦	الحسن والصورة والصوت إذا اتقى الله كان أفضل من لم يؤت مالم يمتحن فيه؟
١٤٦	التحرك والاهتزاز بالصوت الحسن؟
١٤٧	أدلة تحسين الصوت.
١٤٨ - ١٤٧	الاستدلال بتحسين الصوت بالغناء أفسد من قياس الربا على البيع.
١٤٩	اجتماع بعض الصوفية في الحمّام والسبب في ذلك
١٤٩	أنواع السماع
١٥٠	الصوت الحسن قد يكون سبباً لموت الآخرين.
١٥٠	تحريك الصوت الحسن للنفوس تحريكاً خارجاً عن العادة

الفهرس الموضوعي لكتاب ابن القيم

١٥٥	في ذكر فضيلة الجمال وميل النفوس إليه على كل حال.
١٥٥	الجمال الظاهر زينة خصا الله بها بعض الصور عن بعض
١٥٦	الجمال الباطن من أعظم نعم الله تعالى على العبد.
١٧١	فصل : في أيها العاشق سمعه قبل طرفه.
١٧١	فصل : وقد وصف الله سبحانه حور الجنة بأحسن الصفات.
١٧٣	فصل : وقد وصفهن الله عز وجل بأنهن كواكب.
١٧٥	فصل : فاسمع الآن وصفهن عن الصادق المصدق.
١٧٨	فصل : فإن أردت سماع غنائهن فاسمع خبره الآن.
١٧٩	فصل : فاسمع الآن لذة وصاحتين وشأنه.
١٨٢	قصيدة لابن القيم ..

فهرس الفوائد والمطالب

١٥٥	صلوة الليل تنور الوجه وتحسنها
١٥٥	تأويل الزيادة في الخلق
١٥٦	سبب ورود حديث: «إن الله جمیل یحب الجمال».
١٥٦	جریر بن عبد الله يوسف هذه الأمة وهو أجمل صحابي.
١٥٧	ما بعث الله نبیاً إلا جمیل الصورة.
١٥٧	كان النبي ﷺ أجمل الخلق.
١٥٧	اعطی يوسف الصدیق شطر الحسن
١٥٨	غیره مصعب بن الزبیر من كل جمیل
١٥٨	جمال الحسن البصري
١٥٨	قصة مصعب بن الزبیر مع أحد أصحاب المختار
١٥٩	نصیحة أبي حازم للثابة التي فتنت الناس ودعاؤه لها.
١٥٩	فتوى الحسن البصري في التزوج على الحسناء.
١٥٩	حكایة الأصمی علی جاریة أرسلت برفعها.
١٦١	أبو نواس والأعرابی
١٦٢ ، ١٦١	سیاع السلف
١٦٢	استجداء الحاریة الهدلیة وشعرها
١٦٣	قصة محمد بن حمید مع جاریته التي كان یهواها
١٦٤ ، ١٦٤	صفة رسول الله ﷺ
١٦٦	زینة الظاهر وزینة الباطن وأمثلة من المقابلة في القرآن والشعر
١٦٨	ما یذم في النساء وما یستحسن

١٧٠	أحسن ما قيل في امرأة خفرة
١٧٢	نماء الدنيا أفضل من الحور العين
١٧٢	المرأة في الجنة لأحسن أزواجهما خلقاً في الدنيا
١٧٣	الدليل على أن صفة قاصرات الطرف أكمل من صفة المقصورات في الخيام
١٧٤	فضل البكر على الثيب وفيه حديث عائشة
١٧٤	تعريف العرب والأبكار
١٩٣	فهرس الموضوعات